علم النص وتحليل الخطاب

الثانية/ قسم اللغة العربية وآدابها

أ.م.د. حمد الله عبد الحكيم محمد

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد

بيانات الكتاب

الكلية: كلية الآداب/ عربي.
الفرقة: الثانية (ساعات معتمدة).
المقرر: علم النص وتحليل الخطاب
التخصص: قسم اللغة العربية وآدابها.
عدد الصفحات: مائة وإحدى وثمانون صفحة.

قال تعالى:

(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)

(سورة ص: الآية٢٠)

"بحثنا عن الإنسان فلم نجده، ووجدنا بقاياه، وهي النصوص"

"كلود ليفي ستروس"

مقدمة

تتكون الدراسة من ثلاثة فصول في الفصل الأول تعريف بعلم النص، والنص لغة واصطلاحا ثم بيان بالمعايير النصيةالسبعة وهي:

السبك أو الانساق (الربط النحوي)

الحبك أو التماسك الدلالي.

القصدية وهو الهدف من إنشاء النص.

القبول أو المقبولية ويتعلق بموقف المتلقي من النص من حيث قبوله أو رفضه.

الإخبارية أو الإعلامية وتتعلق بأفق انتظار المتلقي وتوقعه للمعلومات الواردة في النص .

السياق أو المقامية وتتعلق بمناسبة النص للموقف والظروف المحيطة به.

وأخيرا التناص .

وفي الفصل الثاني عرض لبلاغة النص وتطبيقاته على نص قرآني هي سورة الممتحنة من خلال عدة محاور هي:

- المناسبة.

- التناسق بين أجزاء السورة ومقاطعها.

- تنوع الجمل وأثره على تماسك نظم السورة (الجملة الطلبية والجملة الشرطية).

- أساليب التأكيد والتقرير ودورها النصي (ويشمل: التكرار، والتوكيد).

- العدول في بناء الجملة وأثره على تماسك نظم السورة وتناسقها.

- دور الفواصل في التماسك والتناسق في السورة.

الفصل الثالث: تحليل الخطاب وتطبيقاته، وفي هذا الفصل تعريف بالخطاب وجذوره التاريخية بين الفكر العربي والغربي ثم عرض لخطاب شيخ الأزهر في المؤتمر العالمي للسلام، وتناولت الدراسة هذا الخطاب من عدة محاور وهي:

الإشاريات في الخطاب ودلالاتها.

الحذف أو النص الموازي دراسة وعرض لما سكت عنه الخطاب من ملفوظات.

طريقة تنظيم الخطاب والتناسب بين فقره وأجزائه.

أدوات التحليل الأسلوبي والبلاغي للخطاب.

التناص والاستشهاد بالنصوص والأحداث التاريخية.

الروابط والعوامل الحجاجية في الخطاب، و القياس الحجاجي، والسلم الحجاجي.

ردود أفعال الجمهور تجاه الخطاب عن طريق ظاهرة التصفيق.

الفصل الأول

علم النص والمعايير النصية

أولاً: مفهوم النص:

أ- النص لغةً:

ورد مفهوم النص في المعاجم العربية للدلالة على الارتفاع وبلوغ منتهى الشيء، والوصول إلى الغاية المنشودة، ومفهوم كلمة "نص" ذُكرت في المعاجم في مادة "نصَّ": النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء[١]، وورد في تاج اللغة وصحاح العربية: نصصت ناقتي، قال الأصمعي: النص: السير الشديد حتى يستخرج أقصى ما عندها؛ قال: ولهذا قيل: نصصت الشيء: رفعته، ومنه منصة العروس، ونصصت الحديث إلى فلان، أي رفعته إليه... ونصصت الرجلَ إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده. ونصُّ كلّ شيء منتهاه، وفي حديث علي- رضي الله عنه-: "إذا بلغ النساء نص الحقاق" يعني منتهى بلوغ العقل... ويقال: نصصت الشيء: حركته[٢]، والنصُّ: "الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما".[٣]

يتضح مما سبق أن كلمة "نص" استعملت بدلالة السير الشديد والانتهاء والبلوغ والرفع ثم تطورت إلى إسناد الكلام ورفعه إلى منشئه الأصلي، فالرفع والظهور للنص يعني خروجه من الخفاء إلى التجلي، فضلًا عن تضمنه الاستواء وهو ضرب من التناسق أو التناظم[٤]، وهي دلالة مترسخة في اللغة العربية منذ عصر ما قبل الإسلام، يقول طرفة بن العبد البكري[٥]:

وُنص الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصه

---

١ مقاييس اللغة لابن فارس: (مادة: ن ص ص).

٢ تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري.

٣ لسان العرب، لابن منظور.

٤ – النص الأدبي مكوناته وحدوده.

٥ – أساس البلاغة ٢/ ٢٧٥.

وقد ترجمت كلمة Text الإنجليزية وكلمة "Texte" الفرنسية إلى اللغة العربية بكلمة نص، والأصل اللاتيني يحيل إلى"النسيج" وهذه المادة توحي بدلالات منها: دقة التنظيم، وبراعة الصنع، والجهد والقصد، والكمال والاستواء[1] ، وهذا يعني أن النصَّ هو النسيج؛ لما فيه من تسلسل في الأفكار، وتوالٍ في الكلمات، ومن هنا تلتقي تعريفات علماء لغة النص ـ في الأعم الأغلب ـ على خصيصة ترابط النص، وقد توفرت هذه الخصيصة ـ أولًا ـ في الدلالة المعجمية لكلمة "Text" ،"لذا وصف النص بأنه نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض[2].

وهذا النسيج يوصف بأنّه نتاج وستار يختفي وراءه المعنى، وقد شبه نسيج النص بأنه نسيج عنكبوت؛ لبراعة نسجه وتماسكه؛ بحيث يتعلق بعضه ببعض، وهنا تبرز خصيصة أساسية وجوهرية، وهي ترابط مكوناته وتشابكها على نحو يشكل وحدته الكلية[3].

ويتكون نسيج النص من حروف وكلمات ترتبط فيما بينها مكونة نصًا متماسكًا، ولتكوين جملة نحوية سليمة - إذ تعدُّ أساس النص السليم- يرى د. حماسة عبد اللطيف – رحمه الله- أنه لابد من توافر:

- مفردات يتم اختيارها وتنسيقها لتكون جملة .
- وظائف نحوية تظهر بين الجمل المكوَّنة .
- علاقات دلالية كعلاقة الكل بالجزء، والنتيجة بالسبب، والعموم بالخصوص.
- السياق وما يقتضيه من حذف أو وصل أو تقديم أو تأخير أوغيرها .

[1] – تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص.

[2] – ينظر: التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق.

[3]– ينظر: لذة النص، رولان بارط، ترجمة فؤاد صفا وحسين سبحان.

ب- النص اصطلاحًا:

النص يمثل إشكالية معقدة وكبيرة في النقد الحديث ودلالته لا تتضح بسهولة بسبب تداخله مع عدد من المصطلحات المجاورة له كالخطاب والأثر وغيرها.

وإذا ما حاولنا استخلاص المقومات الأساسية لمصطلح النص فإن المظهر الكتابي يكاد يشكل الأساس الذي تبنى عليه المقومات الأخرى[١] فهو "كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة[٢]" ويأخذ النص شكل متوالية خطية ذات علاقة مرئية على الورق[٣]، ويذهب كل من هاليداي Halliday و رقية حسن Hasan Ruqaiya إلى أن مصطلح نصTextيستخدم في اللغويات ليشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متماسكة٤، ذلك أن كل عنصر من عناصر هذا النص يستدعي بعضُهُ بعضًا ليتحقق الفهم، فيكون بذلك لحمة واحدة لا يمكن فصل أجزائه عن بعضها.

ومن التعريفات التي تركز على الوظيفة الاتصالية للنص، تعريف "شميت(S.J.Schmidt) للنص بأّنه كل تكوين لغوي منطوق من خلال حدث اتصالي، محدد من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها، أي يحقق قدرة إنجازية يقصدها المتحدث ويدركها شركاؤه في الاتصال، وتتحقق في موقف اتصالي ما، إذ يتحول كم من المنطوقات اللغوية إلى نص متماسك، يؤدي بنجاح وظيفة اجّتماعية اتصالية، وينتظم على وفق قواعد أساسية ثابتة٥.

ويقول "زتسيسلاف": "إن النصوص وحدات تواصلية تتحقق لغويًا، وتوجد أيضًا وحدات تواصل غير لغوية، مثل: حركات اليدين، والنظرات، وتعبيرات الوجه، وتعمل كل

---

[١]- ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق.

[٢]- بلاغة الخطاب وعلم النص،د. صلاح فضل.

[٣]- انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين .

[٤]- ينظر:أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي.

[٥] ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، وينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية

من وحدات التواصل غير اللغوية واللغوية في سياق اجتماعي أكبر كما يؤكد أن جميع أنواع النصوص اللغوية يجب أن تكون قادرة على أداء وظيفتها التواصلية، فمن"دون الوظيفة التواصلية لا يتكون نص[1].

مفهوم النص عند مُحَمَّد مفتاح[2] : في تعريفه للنص قد اعتمد على تحديد المقومات والركائز الجوهرية التي يستند عليها النص ليصل في الأخير إلى أن النص:

(مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة توالدي، تواصلي، مغلق) وهذه المقومات كما شرحها هي:

مدونة كلامية: بمعنى أنه سرد كلام يعتمد على النطق لا الصورة.

حدث: أي النص يحدث في زمان و مكان معينين، و لا يتكرر نفسه في زمان ومكان آخر.

توالدي: بمعنى أن النص قد نتج من خلال تجمع أحداث تاريخية وقعت سابقا.

تواصلي: أي المغزى منه هو التواصل والتفاعل ونقل المعارف و المهارات إلى الملتقي وتحقيق وظيفته الأساسية والتي تمكن من إقامة علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع.

مغلق: يقصد به الكتابة الأيقونية المعروفة والتي لها بداية ووسط ونهاية (نص له بداية، مقدمة، عرض، خاتمة).

وتعرَّفُ لسانيات النص أو علم لغة النص بأنه: هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص بوصفه وحدة لغوية كبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها: الترابط أو

[1] مدخل إلى علم النص(مشكلات بناء النص).

[2] -١ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص).

التماسك ووسائله وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي ودور المشاركين في النص(المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء[١].

وعلم لغة النص لا يلغي أهمية الجملة في الدراسات النصية، بل يجعلها جزءًا من مكونات النص فهو« تيار جديد جعل من النص مادته الأساسية... حيث حصل نوع من الإجماع على ضرورة التغيير وفق منهجية لا تغفل الجملة، ولكنها في مقابل ذلك تعدها أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنص، إضافة إلى علاقتها كذلك بالسياق الذي أنتجت فيه وبمنتجها ومستقبلها[٢]، فنحو النص لا يدرس الجملة منعزلة، بل يدرس علاقة الجمل بعضها ببعض.

ثانيًا: المعايير النصية

علم النص ينطلق من النص وينظر إليه على أنه وحدة كبرى، ويبحث في كيفية ترابط أجزائه، وبم تترابط؟ أبالوسائل الشكلية أم بروابط معنوية؟ ثم ما سمات النصية؟ وما مقومات النص التي تفرق بين النص واللانص[٣]؟ وقد حدد كل من "دي بوجراند و"دريسلر سبعة معايير للنصية تمثل قواعد وأسس يقوم عليها المنطوق أو المكتوب ليكون نصًا[٤] وقد عرفا النص استنادًا إلى هذه المعايير بأّنه: فعل اتصالي تتحقق نصيته، إذا اجتمعت له سبعة معايير، وهي: الترابط اللفظي، والتماسك المعنوي، والقصدية، والتقبلية، والإعلامية، والموقفية، والتناص.

وصنف "روبرت دي بوجراند" هذه المعايير إلى: معيارين تبدو لهما صلة وثيقة بالنص، وهما معيارا "السبك والحبك"، واثنان نفسيان، وهما معيارا "المقامية والتناص"، وترك المعيارين

---

[١] علم اللغة النصي: صبحي إبراهيم الفقي.

[٢] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة.

[٣] لسانيات النص بين النظرية والتطبيق

[٤] علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:

المتصلين بمنتج النص ومتلقيه، وهما "القصدية "و" التقبلية" من دون أن يصنفهما، وترك أيضًا "الإعلامية" لتقدير المنتج والمتلقي[1].

واستند د. سعد مصلوح إلى التصنيف السابق، مصنفًا المعايير السبعة إلى :

١- ما يتصل بالنص ذاته: الربط (السبك)، التماسك (الحبك).

٢- ما يتصل بمن يتعامل مع النص منتجًا ومتلقيًا: القصدية ، المقبولية.

٣- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي: الإخبارية(الإعلامية)، الموقفية(السياق)، التناص.

وبناءً على ما سبق فإن المعايير النصية السبعة هي:

السبك أو الربط النحوي.

الحبك أو التماسك الدلالي وترجمه تمام حسان إلى الالتحام.

القصدية وهو الهدف من إنشاء النص.

القبول أو المقبولية ويتعلق بموقف المتلقي من النص من حيث قبوله أو رفضه.

الإخبارية أو الإعلامية وتتعلق بأفق انتظار المتلقي وتوقعه للمعلومات الواردة في النص .

المقامية وتتعلق بمناسبة النص للموقف والظروف المحيطة به.

التناص .

وتجدر الإشارة إلى أن تحقق النصية لا يلزم تحقق المعايير السبعة في كل نص، إذ يمكن أن تتشكل نصوص بأقل قدر من هذه المعايير، ولكن بوجودها جميعًا يتحقق ما يسمى بـ

[1] النص والخطاب والإجراء.

(الاكتمال النصي)، ولعل أهم أربعة معايير تحقق نصية النص تتجسد في الربط، والتماسك، والقصدية، والموقفية[1].

[1] : ينظر علم لغة النص، واتجاهات لغوية معاصرة.

المعيار الأول: السبك أو (الاتساق Cohesion):

ركز علم اللغة النصي على دراسة الترابط الشكلي للنصوص، وقد عرف هذا النوع من الترابط بمصطلحات عديدة فقد سماه سعد مصلوح السبك، وبسميه تمام حسان أيضًا التضام، ويسميه مُحَمَّد خطابي التماسك، ويسميه سعيد بحيري الربط النحوي، غير أن مصطلحي السبك والاتساق هما أكثر المصطلحات استعمالًا؛ لدقتهما في الدلالة على التماسك الشكلي.

السبك لغة: سَبَكَ :سبَكَ يسبُك ويَسبِك ، سَبْكًا ، فهو سابِك،والمفعول مَسْبوك وسَبِيك، وسَبَكْتُ ، أسْبُكُ ، أُسْبُكْ ، أسْبِكُ ، اسْبِكْ(مصدر سَبْكٌ)، وسَبكَ الصَّائِغُ الفِضَّةَ : أذَابَهَا وَصَنَعَ مِنْها أَشْكالاً لِلْحَلْيِ، وتَعْرِفُ كَيْفَ تَسْبِكُ كَلاَمَها : تُحَسِّنُهُ وَتُرَصِّفُهُ وَتُهَذِّبُهُ، وقولنا: سَبَكَتْهُ التِّجارِبُ : حَنَّكَتْهُ ، عَلَّمَتْهُ ، هَذَّبَتْهُ.

وقد وردت لفظة السبك في التراث العربي؛ فأسامة بن منقذ يقول: السبك هو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ، ولهذا قيل: خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض.[١]

والاتساق لغة بمعنى الضم والجمع ففي االلسان اتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة٢، وفي القاموس المحيط: اتسق أي انتظم٣، وفي لسان العرب «: الوسوق : ما دخل فيه الليل وما ضم، وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انظم: فقد اتسق والطريق يأتسق ويتسق؛ أي ينظم٤.

والسبك والاتساق اصطلاحًا يعني التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص، وهو عبارة عن ربط عناصر النص في المستوى السطحي، مما يحقق تماسك أجزائه من خلال علاقات

---

[١] البديع في نقد الشعر ص ٣٧.

[٢] لسان العرب: ابن منظور.

[٣] القاموس المحيط: الفيروزآبادي.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، ج١٠ ،مادة(و س ق)

الترابط اللفظية « وهي تلك العلاقات النصية الرابطة أو الواصلة بين وحدات النصوص عبر الوسائل الخطية أو القرائن اللفظية[١].

أي أنه الكيفية التي يتم بها ربط العناصر اللغوية على مستوى البنية السطحية في النص بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق[٢] ؛ أي أنه يعني بكيفية ربط مكونات سطح النص (المفردات) التي تترابط مع بعضها من خلال علاقات نحوية تتحدد تبعًا لأوجه التبعية النحوية في المستوى السطحي أي الوظائف التي تشير إلى علاقات جوهرية بين الواقع والاستعمالات، والدلالات.

ويؤكد روبرت دي بوجراند أن غاية الانساق هي تحقيق الترابط الرصفي للنصوص حيث يتحقق هذا المعيار عنده بوساطة الترابط الرصفي القائم على النحو في بنيته السطحية، حيث المساحة للجمل، والتراكيب، والتكرار، والإحالات، والحذف، والروابط، ويقصد بالترابط الرصفي: كل نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توال زمني[٣].

وقد ذكر"هاليداي ورقية حسن" في كتابهما : " Cohesion in English : "أن جزءًا من السبك يتحقق عبر النحو ، وجزءًا آخر عبر المفردات، وعليه فقد أشارا إلى أن السبك ينقسم إلى قسمين هما: السبك النحوي"Grammatical Cohesionl، "والسبك المعجمي" Lexical Cohesion، "وأضاف بعض الباحثين قسما ثالثًا، وهو السبك الصوتي، الذي أفاده من توقف"روبرت دي بوجراند" أمام مصطلح "التنغيم" الذي عده من المحاور الصوتية الرئيسة لمصطلح السبك[٤].

---

[١] العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم،

[٢] لسانيات النص النظرية والتطبيق:

[٣] روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء.

[٤] بديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، نظرية علم النص.

ويشمل السبك أوالاتساق عددًا من المنسقات كالإحالات إلى الضمائر، والإشارة، والحذف والاستبدال، والوصل، والاتساق المعجمي[١]، فالترابط النصي بين هذه العناصر هو الذي يخلق النصية ويسهم في وحدة النص الشاملة، ويؤوله لكي يُعدَّ نصًا، وهو الفيصل في الحكم على نصية النص أو لا نصيته، وأن يحكم عليه بأنه نصٌ مترابطٌ نحويًا ومعجميًا ودلاليًا أو تنتفي عنه هذه الصفة.

أنواع السبك (الاتساق) :

أولا: السبك النحوي (الاتساق النحوي):

يعد المظهر الأول من مظاهر السبك في النص، ويتحقق من خلال الوسائل اللغوية، التي تربط عناصر النص، وهذا ما دعا بعض الباحثين إلى أن يقصر علم النحو على دراسة الوسائل اللغوية المتحققة نصيًا والعلاقات بينهما .

آليات السبك النحوي (الاتساق النحوي):

١- **الإحالة** يعرف دي بوجراند الإحالة بقوله هي العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي تدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص[٢]" فالإحالة عبارة عن لفظ محيل، وآخر محال إليه، وتتحقق العلاقة بينهما من خلال العناصر العائدة.

ويعرفها جون ليونز بأنها: "العلاقة بين الأسماء والمسميات"[٣] هذه العلاقة ذات طبيعة دلالية تشترط تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[٤] لأن العناصر

---

[١] محمد خطابي: لسانيات النص.

[٢] روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء.

[٣] أحمد عفيفي: نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي) .

[٤] لسانيات النص.

المحيلة غير مكتفية بذاتها من حيث التأويل، بل تكتسب دلالتها بالعودة إلى ما تشير إليه، فهي "علاقة من العلاقات الموجودة في النص تقع بين العبارات والأحداث والمواقف، فاللفظة لا تقوم مستقلّة بذاتها عن سائر المكونات المورفيمية المشكِّلة للنص، وإنّما تتمثَّلُ في عودةِ بعض عناصر الملفوظ على عناصر لفظية أخرى يمكن أن نقدرها داخل السياق، أو في المقام، والأخيرة علاقات يمكن رصدها بين مكوناته، وتتفرع هذه الإحالة إلى إحالة قبلية، وإحالة بعدية"[1].

أدوات الإحالة:

إحالة عن طريق الضمائر: وهي نوعان ضمائر تحيل إلى خارج النص إذ تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب ، وضمائر تؤدّي دورا هاما في اتساق النص سمّاها هالداي ورقية حسن " أدوارا أخرى " تندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا إذ تحيل داخل النص، والأصل في المرجع أو المحال إليه أن يكون سابقا على الضمير لفظا ورتبه مطابقا له لفظا ومعنى كما في قوله تعالى: "ونَادَى نُوحٌ رَبَّهُ " فالضمير الهاء إحالة قبلية إلى سابق وهو نوح المُحال إليه.

إحالة عن طريق اسماء الإشارة: تعدّ الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق النصي الداخلة في نوع الإحالة فمنها ما يدلّ على الزمان (الآن و غدا)، ومنها للمكان (هنا و هناك)، ومنها للبعد (ذلك و تلك)، ومنها للقرب (هذه ، هذا) فهي تقوم بالربط القبلي والبعدي ومن ثَمّة تسهم في اتساق النص. ومن أمثلته في القرآن الكريم: قوله تعالى: "هوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(النحل:١١) نلاحظ احتواء هذه الآية على عناصر إشاريّة معجميّة وعنصر إشاريّ نصّيّ واحد فقط ، وتتمثّل الأولى في(السّماء ، شراب

[1] لسانيات النص ص ١٢٢.

، شجر ، الزّرع ، الزّيتون ، النّخيل ، الأعناب ، الثّمرات)، بينما يتمثّل الثّاني في الملفوظ السّابق على العنصر الإحالي وهو اسم الإشارة (ذلك) حيث ورد هذا الأخير اختزالاً للكلام واقتصادًا للجهد واجتنابًا للتّكرار حين أحال إلى ملفوظ يحتوي عناصر إشاريّة معجميّة ومجموعة أحداثٍ تلتقي كلّها في نتيجة ينبني عليها الحدث أو المعنى الّذي يحيل عليه العنصر الإحاليّ الجامع لكلّ ما تقدّم عليه.

إحالة عن طريق المقارنة: كل عملية مقارنة تتضمن شيئين -في الأقل- يشتركان في سمة مشتركة بينهما. ويمكن التمييز بين نوعين من المقارنة: مقارنة عامة، ومقارنة خاصة.

المقارنة العامة : وهي تأتي ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التشابه: ومنها "شبيه"، و"مشابه". ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التطابق، ومنها "نفسه"، و"عينه". مطابق"، "مكافئ"، "مساو"، "مماثل" قبيل"، "مثيل"، "نظير"، "مرادف" ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التخالف : ومنها "مخالف"، "مختلف"، "مغاير". ألفاظ المقارنة التي تعبر عن الآخرية : ومنها "الآخر"، "أيضا"، "البديل"، "الباقي".

وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك؛ ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل عليه المتكلم. وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء الإشارة، يحتمل أن يكون المرجع خارجيا، ويحتمل أن يكون داخليا، فإذا كان داخليا، فإما أن يكون المرجع متقدما، أو متأخرا ومن أمثلتها: قوله تعالى: "قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ" (آل عمران:١١٨) فقد ربطت كلمة أكبر (التي هي لفظ من ألفاظ المقارنة) الجملة الثانية بالأولى؛ لأنّه لا يكون الشيء أكبر إلا بالموازنة بشيء آخر، ولا يعرف ذلك الشيء الآخر إلا بالرجوع إلى ما سبق في الآية، ومن هنا تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض، وعدم استغناء أحدها عن الآخر.

الإحالة عن طريق الموصولات يعدّ الاسم الموصول وسيلة من وسائل التماسك النصي؛ لأنّه يستلزم وجود جملة بعده، وعادة ما تكون هذه الجملة فعلية، وقد يعطف على هذه الجملة بعدة جمل فيطول الكلام، ويكون نصًا كاملا، ويظل مرتبطًا كله بالاسم الموصول الأول . ومن جهة أخرى يعد الموصول أداة من أدوات الإحالة فيرتبط بمذكور سابق، وقد يتكرر بصورة واحدة ، ويظل مرتبطًا بهذا المذكور السابق محدثًا نسقًا واحدًا للنص كله. ومن ذلك الآيات الأولى من سورة المؤمنون ، يقول تعالى : " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (المؤمنون:١- ٧) فقد تكرّر فيها اسم الموصول " الذين" سبع مرات ، وكلها يعود إلى الاسم الأول الذي يمثل نواة النص.

وقد عدّ د. تمام حسان الموصولات من عناصر الإحالة مستشهدا عليها بقوله تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ" (الأعراف: ١٥٧) فالاسم الموصول (الذي) قد قوّى المعنى وذلك بإحالته إلى سابقة إلى (الرسول النبي) لكون المراد وصف الرسول بأنّه مكتوب في التوراة، كما أُحيل إليه بالعائد الضمير في (يجدونه) ؛ وبذلك يكون للموصول إحالتان قبلية وبعدية.

والإحالة نوعان:

إحالة نصية **إحالة مقامية**

الإحالة النصية

قبلية　　بعدية

الإحالة نصية (لغوية) (الإحالة الداخلية): الإحالة الداخلية تستخدم لتدل على ذلك النوع الذي يحال فيه المخاطب على عنصر لغوي داخل النص وتتم بوساطة الضمائر وأسماء الإشارة، والاسم الموصول، وهذه الإحالة تتفرع إلى: إحالة قبلية، وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه وهي الأكثر شيوعًا، وإحالة بعدية، وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه[١].

مثال: قول الرسول- ﷺ-: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" فالضمير في كل من لسانه ويده يعود على المسلم والإحالة هنا داخلية قبلية، وقولنا: هو مُحَمَّد النبي الأمي خاتم الأنبياء والمرسلين ، الضمير هنا يعود على مُحَمَّد فالإحالة داخلية بعدية.

وتعد الإحالة علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات وهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى لفظة متقدمة عليها، أو متأخرة عنها، والعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، ومن صور الإحالة، استعمال الضمير ليعود على اسم سابق أو لاحق، بدلا من تكرار الاسم نفسه، ويؤدي ذلك إلى ضمان وحدة النص في ضوء ترابط جمله.[٢]

أما النوع الآخر من الإحالة هي الإحالة المقامية (الخارجية) وهي ما يمكن أن يحيل إليه خارج النّص، ويشمل علاقة المفردة والتركيب بالعالم الخارجي، أي الإحالة إلى السياق الخارجي فهي

---

[١] لسانيات النص،مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي.

[٢] .ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص: ٨١ .

إحالة خارجية، ويُقصد بها ذلك النوع الذي يوجّه المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي حيث تُسهم في خلق النص بوصفها تربط اللغة بسياق المقام حيث يحيل فيها عنصر في النص إلى شيء خارج النص، يفهم من خلال السياق، نحو قوله تعالى: " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ "[1] فضمير الغيبة في أنزلناه يعود على القرآن الكريم رغم عدم ذكر اللفظ، كذلك ضمير المتكلمين (نا) في "إنا" و"أنزلناه" يحيل إلى(الله) –عزوجل- رغم عدم وجود المفردة اللغوية الدالة على ذلك وإنما فهم ذلك من السياق الخارجي فالإحالة هنا مقامية خارجية.

ويمكن التمثيل للإحالة الخارجية أيضًا باسم الإشارة "هذا" الذي ورد في قوله تعالى: " قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ" (الأنبياء:٦٣) وأشير به إلى كبير الأصنام، التي جعلوها آلهة، وهذا النوع من الإحالة لا يمنح النص سمة التماسك ؛ لأنّه لا يربط عنصرين معا في السياق بل يقتضي النظر خارج النص القرآني نفسه لتحديد المُحال إليه . وأمّا الإحالة الداخلية فيمكن التمثيل له من الآية نفسها بالضمير "هم" في قوله تعالى: "كبيرهم" الذي يحيل على الآلهة التي وردت قبل ذلك في قوله: "قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ "[2] كما أنه في الضمير (أنت) في الآية السابقة إحالة نصية بعدية، وفي اسم الإشارة هذا إحالة مقامية خارجية إذ يشير إلى تحطيم الأصنام من قبل إبراهيم عليه السلام رغم عدم ذكر ذلك.

٢-الاستبدال:

من الناحية النصية فالاستبدال- وفقاً لنظرية هاليداي- هو عملية تتم داخل النص لا من خارجه، فيعوض عنصر من عناصر النص بعنصر آخر منه أيضًا، مما يعني أن الاستبدال يمثّلُ شكلاً من أشكال العلاقات النصانية القبلية، فالعنصر المتأخِّر لا يكون بديلاً لعنصرٍ متقدمٍ مما

[1] سورة القدر (آية:١)

[2] سورة الأنبياء (آية:٦٢)

يفضي إلى تماسك النص واتِّساقه[1]، ويمكن تعريفه أيضًا بأنه: "عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر.

والفرق بين الإحالة والاستبدال، هو أن العلاقة بين عنصري الإحالة المحيل والمحال إليه هي علاقة تطابق، والعلاقة بين عنصري الاستبدال المستبدل والمستبدل علاقة تقابل، تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد.

أنواع الاستبدال:

استبدال اسمي: يذكر فيه اسم ثم يعوض عنه بآخر داخل النص، ويتم بواسطة استخدام عناصر لغوية اسمية مثل:آخر، آخرون، نفس... نحو قوله تعالى " قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ..."[2] فتم استبدال كلمة "أخرى " بكلمة " "فئة".

ونحو قول أحمد عبد المعطي حجازي في قصيدته أغنية لشهر أيار:

نحن ما زلنا نغنّي

لك يا أيار، يا شهر النهار.

وهذا النوع من الاستبدال نطلق عليه الاستبدال الاسمي، فقد أحدثه بين كلمتي (أيار) و(شهر).

استبدال فعلي: وفيه يستبدل فعل بآخر داخل النص يؤدي معنى الفعل المستبدل، مثل قوله تعالى "فوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ"[3]

---

[1] لسانيات النص.

[2] سورة ىل عمران(آية:١٣)

[3] سورة طه (آية:١٢٠).

حيث استبدل قال بوسوس، ونحو: نحن لم نبخل عليه بدم، لكن ضن علينا بانتصار حيث استبدل الفعل (ضن) بالفعل (بخل)، وهما يحملان الدلالة نفسها تقريبًا.

استبدال قولي: ويكثر مجيئه بعد أسماء الإشارة التي تشير لكلام سابق نحو قوله تعالى :" قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ"[1] حيث تشير كلمة ذلك إلى كلمتي فارض وبكر، ونحو استبدال الخبر أو المسند في موضع من المواضع بجملة طلبية، وذلك في قول أحمد عبد المعطي حجازي:

يومك التاسع والعشرون يا أيار

سل عنه الجدار.

فالمتلقي يتوقع بعد المسند إليه (يومك التاسع والعشرون...) الخبر كأن يكون (جميل، صعب، كريه،...) ولكنّه أورد المسند على هيئة جملة طلبية، وهي (سل عنه الجدار).

وهذا النوع من الاستبدال ليس استبدالًا لكلمة داخل الجملة، و إنما هو استبدال لجملة بكاملها، وعليه تقع في البداية جملة الاستبدال لتأتي بعدها الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة، باستخدام بعض الكلم نحو هذا وذلك، ومثاله أيضًا قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بالحق" أي فعلوا ما ذكر سابقًا من الشهادة والصلاة والزكاة .

٣-الحذف

يتحدد الحذف في الدراسات اللسانية النصية في كونه « علاقة من علاقات الاتساق المعجمية النحوية تتم داخل النص، تتكون بافتراض عنصر غير ظاهر في

[1] سورة البقرة (آية : ٦٨).

النص، يهتدي المتلقي إلى تقديره اعتمادا على نص سابق مرتبط به، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية؛ لأنه في معظم الأمثلة يوجد العنصر المحذوف المفترض في النص السابق، أو الجمل السابقة»

و"الحذف" بوصفه وسيلة من وسائل السبك يختلف عن "الاستبدال" إذ إن الاستبدال يتضمن تعويض عنصر لغوي في النص بعنصر آخر، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، فنجد في الجملة التي يقع فيها الحذف فراغًا بنيويًا يهتدي المتلقي إلى ملئِه اعتمادًا على ما يرد في النص أو الخطاب، ولذلك وصف الحذف بأّنه"استبدال صفري"[1]

ولا يكون الحذف عشوائيًا، و إنما تحكمه ضوابط و قوانين تسمح للمتكلم أو الكاتب أو خاصة الشاعر إلى اللجوء إلى عدم الذكر، ذلك أن الحذف« لا يتم إلا إذا كان باقي بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في حذف أحد العناصر؛ لأن أداء المعنى، و قد يكون هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه و تدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره٢.

ويتحقق الاتساق من خلال الحذف بواسطة المتلقي الذي هو جزء من تشكل النص، و ذلك بسعيه إلى« الكشف عن المحذوف و يكون بإمعان النظر في البنية العميقة التي شكلت البنية السطحية، والتي تخضع بدورها للسياق، ولا يشترط أن يكون العنصر المحذوف مشابها تمامًا للمذكور فقد يوسع أو يعدل، وقد يفهم المحذوف من سياق الموقف.

---

[1]- مدخل إلى انسجام الخطاب ص,١١٧

٢- محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية ص٧٦.

[2] المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة ص٩٩.

أنواع الحذف:

حذف اسمي: حذف اسم داخل المُركب الاسمي: كحذف الاسم المضاف، أو المعطوف، أو المعطوف عليه، أو الصفة ، أو الموصوف، أو غيرهم، ومثاله قوله تعالى: " قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ "[1] والمراد لا نسقي غنمنا حذف المفعول لدلالة السياق عليه.

حذف فعلي: يُقصد به الحذف داخل المُركّب الفعلي؛ أي أن المحذوف يكون عنصرًا فعليًا، ومثاله قوله تعالى: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"(البقرة :١٨٦)؛ أي فقل : إني قريب.

حذف جملي : وهو أن يذكر كلام متعدد ثم يحذف آخر لوجود قرينة دالة عليه؛ كحذف جملة القسم، أو جواب القسم، أو حذف جملة الشرط ، أو جملة جواب الشرط... ومثاله قول الشاعر:

قالت بنات العم يا سلمى وإن كان فقيرًا معدمًا قالت وإن

أي قالت: وإن كان فقيرًا معدمًا.

٤- الوصل (الربط)

تقنية الوصل من أهم التقنيات التي تؤكِّد اتِّساق الخطاب من عدمه، وفي الدراسات البلاغية هو الوصل بين الجمل أو عطف بعضها على بعض[2] ولا يتضمن الوصل إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيأتي (السابق واللاحق)، بل يقوم على تحديد الطريقة التي يترابط فيها اللاحق مع السابق، ويعني هذا أن يتشكَّل النَّص من مجموعة من الجمل أو التراكيب الكلامية المتطابقة خطّياً مما يجعله بحاجة إلى عناصر ربط متنوعةٍ تصل بين

[1] سورة القصص (آية:٢٣)

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ٣٥٤/٣ .

الجمل، وينقسم إلى أقسام: العطف الإضافي، والعطف السببي، والعطف العكسي، والعطف الزمني. وأشهر أدوات الوصل أو الربط حروف العطف وأدوات الشرط.

أنواع الوصل:

الوصل الإضافي: وأطلق عليه دكتور تمام حسان الربط الجمعي، وهو يربط بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما، ويمكن استعمال "الواو" في هذا النوع، ومثاله قوله تعالى: " إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى"(طه::١١٨)
حيث شبه حاجة المعدة للطعام كحاجة الجسد للثياب فعطفهما وربط بينهما، مع أن الربط بين الجوع والعطش هو الأكثر في لغة العامة إلا أن المناسبة الدلالية للنص تغلب، وكذلك في عطف الظمأ على تضحى، وقد عدد في الآية أشكال الشقاء وهي الجوع والعري والظمأ والكن، وذكرها بهذه الطريقة لبيان مشقة كل واحدة منفردة عن مقابلها.

الوصل الاستدراكي: ويضم صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض، حيث يكون بين الجملتين علاقة ترابط بالسلب فالجملة التالية مخالفة للجملة المتقدمة، وتزيل فهما خاطئا لها، ويمكن استعمال الأدوات "لكن، بل"، وبعض التعبيرات مثل: بيد أن، وغير أن نحو قول النبي ﷺ: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش".

الوصل السببي: ويشير هذا النوع من الوصل إلى العلاقة بين صورتين بينهما حالة تدرج، وتحقق إحداهما يتوقف على تحقق الأخرى، ويستعمل لذلك، أدوات منها: "لام التعليل، لأن، لكي، لذلك، ولهذا " وبعض التعبيرات نحو من: أجل وبسبب ومادام ومن حيث.

ومثاله قوله تعالى: "فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا " (الأحزاب:٣٧).

جاء الربط بكي حتى يبطل الله عزوجل أمر التبني وذلك بزواج- النبي ﷺ - من زينب بنت جحش بعد أن يطلقها زيد بن حارثة.

ثانيا: السبك (الاتساق) المعجمي: هو المظهر الثاني من مظاهر السبك، وينقسم السبك المعجمي إلى نوعين هما: "التكرار و"التضام أو المصاحبة المعجمية.

١- التكرار

وسيلة من وسائل السبك، وربما الأكثر شيوعًا منهًا ذلك بأن له أنماطًا عديدة، ويعرف كل من هاليداي ورقية حسن التكرار بأنه: " أية حالة تكرار يمكن أن تكون الكلمة نفسها أو مرادف أو شبه مرادف، كلمة عامة أم اسمًا عامًا"، وعندما يحيل اللاحق إلى السابق أو العكس يحدث السبك بينهما ولتوضيح ذلك يذكر هاليداي ورقية حسن المثال التالي: اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن مقاوم للنار، فالضمير (ها) في المثال السابق يحيل إلى (ست تفاحات) في الجملة الأولى، كما أنه لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى ما يحيل إليه، وبالتالي ترتبط الجملتان وتشكلان نصًا، والإحالة بهذه الصورة تسمى إحالة قبلية، وهي إحالة إلى سابق وهي تحيل عندما تعود على عنصر لغوي متقدم.

والتكرار يكون بإعادة العنصر المعجمي، ويقصد به التكرار التام المحض أي تكرار الكلمة في النص، أكثر من مرة وبلا تغيير، نحو قوله تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ"[١]، وقد تكرر جملة بأكملها سواء بأداة من أدوات الربط أو بدونها كما في أسلوبي الإغراء والتخذير، ومنه الترادف أو شبه الترادف، والكلمات العامة.

[١] سورة البقرة (آية:١٣)

أنواع التكرار: قُسم التكرار عند جل الباحثين والدارسين إلى أربعة أنواع، هي[1]:

أ- التكرار التام وهو إعادة العنصر المعجمي؛ قصد به تكرار الكلمة كما هي دون تغيير.

ب- التكرار الجزئي وهو تكرار الكلمة مع شيء من التغيير في الصيغة؛ أي بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي.

ج- تكرار المعنى باختلاف اللفظ ويقصد به الترادف وشبه الترادف، فاللفظ مختلف أما الدلالة فهي واحدة.

د- التوازي وهو مظهر من مظاهر الاتساق، وهو عبارة عن الجمل التي يقوم الشاعر بتقطيعها متساويًا بحيث تتفق في البناء اللغوي اتفاقًا تامًا، سواء اتفقت هذه الجمل في الدلالة أم لم تتفق[2].

هـ- الأسماء العامة[3] وهي عبارة عن مجموعة صغيرة من الكلمات لها إحالة عامة، و تستخدم كوسائل للربط بين الكلمات في النص.

٢- التضام (المصاحبة المعجمية)

يعرف معظم الباحثين والدارسين التضام بأنه: « يعني المصاحبة اللغوية بين أجزاء الجملة الواحدة، أو أجزاء النص، وهو نوع من الاتساق المعجمي، ويعني توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة؛ نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك، فثمة أزواج من الألفاظ متصاحبة دوما، بمعنى أن ذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر، وهذا ما يسمى بالمصاحبة المعجمية، التي يعرفها بعض الباحثين الغربيين بأنها:"الارتباط الاعتيادي لكلمة ما، في لغة ما، بكلمات أخرى

[1] الترابط النصي بين الشعر والنثر: زاهر مرهون الداودي ص١١.

[2] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب: نعمان بوقرة ص١٢٢.

[3] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي ص٤٥.

معينة"، أو هي:"استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين، استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى[1]"ومثالها الليل والنهار، الشمس والقمر، القوس والسهم، الشعر والشاعر، وقد تتسع المصاحبة المعجمية، لتشمل ما يتجاوز زوجًا من الكلمات، ومثال ذلك: "شعر/أدب/قارئ/كاتب/أسلوب"، وهذه المصاحبات تعد وسيلة من وسائل السبك حين تظهر في جمل متجاورة[2].

يمكن تقسيم التضام المعجمي إلى الأقسام الآتية:

التضاد مثل: أحب/أكره، أمر/أطاع، ومثاله من القرآن قوله تعلى: "وأنه هو أضحك وأبكى وأنه أمات وأحيا".

الدخول في سلسلة مرتبة، مثل:السبت، الأحد، الإثنين، الثلاثاء، ... نحو " ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ "(المؤمنون:١٤).
علاقة الكل الجزء، أو الجزء الجزء، مثل : بيت/نافذة/باب مثال: قوله تعالى "كتاب أحكمت آياته" فالآيات جزء من الكتاب.

الاندراج في قسم عام، مثل: طاولة، كرسي، وقد يتسع التضام ليشمل مجموعة من الكلمات لا زوجًا واحدًا، مثل:"شعر/ أدب/كاتب/ قارئ/أسلوب".

[1] – علم الدلالة:د. أحمد مختار عمر ص٣٧.

[2] – البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص٦٥.

أهمية السبك (الاتساق):

للسبك أهمية كبيرة في الدراسات النصية ذلك أنه يعد من الوسائل التي تتحقق بها خاصية "الاستمرارية في ظاهر النص" ويقصد بظاهر النص مجموعة الأحداث اللغوية التي ينطق بها أو تُسمع في تعاقبها الزمني.

الاختصار: وذلك بما تحمله علاقات السبك من حمل المتلقي على إعمال عقله وتنشيطه فيما يلقى عليه من نصوص، مثال ذلك قوله تعالى " وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "(النحل:١٢)
فليس فقط ما سخره الله لنا هو ما ذكر في الآية الكريمة وإنما جيء ببعض ما سخره الله لنا، وترك للإنسان التفكير وإعمال العقل لمعرفة ذلك بنفسه.

الإحساس بأن النص جملة واحدة حيث يعمل السبك على التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية(الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب أو النص يسلك المحلل أو الواصف طريقة خطية متدرجا من بداية الخطاب حتي نهايته، إذ تعمل آليات ووسائل الاتساق على تحقيق الترابط الشكلي لعناصر الخطاب مما يجعله لحمة واحدة متماسكة الأجزاء ومترابطة المكونات .

يساعد على الفهم الصحيح للمفردات داخل النص، إذا تفهم المفردات من خلال ما توجد فيه من تراكيب ومن خلال معرفة العلاقات بينها وبين ما يجاورها، هذه العلاقات يحددها معيار السبك بما يشمله من علاقات نحوية أو معجمية.

المعيار الثاني: الحبك (الانسجام):

الحبك يعني الإحكام ومنه حبكت الثوب إذ أحكمت نسجه، وفي قوله تعالى: " وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ" (الذاريات : ٧)، يعني الخلق الحسن البهي المحكم.

والنص المحبوك هو النص الذي تتصل عبارات وجمله اتصالًا لا يشعر فيه المتلقي بتغيرات أو انقطاع فيما يحمله من معانٍ، وعليه فالحبك في علم النص يعني:تنظيم مضمون النص تنظيمًا دلاليًا منطقيًا متسلسل المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط هو أساس حبك النص، والذي يحكم على انسجام النص وحبكه هو المتلقي من خلال الفهم والتأويل.

وقد سماه د.سعيد بحيري في كتابه علم اللغة " التماسك"، في حين سماه " الانسجام" مُحَمَّد خطابي في كتابه لسانيات النص، أما الدكتور تمام حسان فقد أطلق عليه " الالتحام" في ترجمته لكتاب النص والخطاب والإجراء، وأطلق عليه مصطفى حميدة " الارتباط في كتابه نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، أما الذي تناول الحبك بهذا المصطلح "الحبك" هو د. سعد مصلوح في كتابه نحو أجرومية للنص الشعري".

ويحدد "سعد مصلوح" الحبك في قوله: وأما الحبك ونعني به Coherence فيختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص " والعلاقات "Relations الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة من المفاهيم الرابطة بين هذه المفاهيم[١].

فالتماسك يعنى بالجوانب النحوية والدلالية بالإضافة إلى السياق، مع الأخذ بعين الاعتبار دور المتلقي في فك شيفرة النص، فهو الذي يحكم على تماسك النصوص. فللقارئ دور فعال في عملية إنتاج النص ذاتها، والعلاقة بين النص والقارئ لا تسير في اتجاه واحد، بل تسير في

[١] . نحو أجرومية للنص الشعري.

اتجاه مزدوج، من النص إلى القارئ و من القارئ إلى النص، ولذلك يذهب سعيد يقطين إلى أن« الترابط النصي هو السمة التفاعلية المميزة للنص[1].

والانسجام (التماسك) أعم من الانساق، حيث يتطلب الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام إلى جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده وتحفظ استمراريته[2]؛ بمعنى أن الانسجام يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدلالية الكامنة في عالم النص، ولذلك يعد «مفهوم الانسجام أعم وأعمق من مفهوم الانساق كونه يتجاوز الظاهر في النص من المعطيات اللسانية إلى الكامن منه وهو العلاقات الدلالية[3]»

ويتحقق الحبك (الانسجام) من خلال مجموعة من الوسائل منها: السياق، وموضوع الخطاب، والتغريض، وأزمنة النص، والعلاقات الدلالية.

والسياق لغة من ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقًا بمعنى المتابعة، وساق إليها الصداق وأساقه سياقًا إن كان دراهم ودنانير تشبيهًا لها بالإبل لأن الأصل في الصداق عند العرب كانت الإبل، والساق للإنسان سميت كذلك لأن الماشي ينساق إليها، ثم انتقل المعنى إلى الكلام، قال الزبيدي: يسوق الحديث أحسن السياق وإليك يساق الحديث.

ويعرف السياق في المعاجم الاصطلاحية بأنه عبارة عن مجموعة العوامل الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي فللسياق دور فعال في تحقيق تواصلية الخطاب وانسجامه، فما كان من الممكن أن يحمل الخطاب أي معنى لولا الإلمام والإحاطة بسياقه الذي ورد فيه، وذكر الدكتور تمام حسان أن المقصود بالسياق "التوالي"، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين، أولهما: توالي العناصر التي يتحقق

---

[1] ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص٤٦،،وسعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي ص٨٨.

[2] ، لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب ص٧٦.

[3] فوزية عزوز، المقاربة النصية من تأصيل نظري إلى إجراء تطبيقي ص١٣٣.

بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى "سياق النص"، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق،"سياق الموقف" ، وتكمن أهمية "سياق الموقف" في أنه يفسر أمورا لا يستطيع السياق اللغوي وحده تفسيرها ويعرفه هاليداي بأنه النص الآخر المصاحب للنص الظاهر، وفيه يرتبط التمثيل اللغوي وبنيته الخارجية.

ويتمثل السياق في الجو الخارجي الذي يحيط بإنتاج النص، من ظروف وملابسات ويعد طرفا الخطاب المرسل والمرسل إليه أهم عناصر السياق، و ما بينهما من علاقة، إضافة إلى عنصري الزمان والمكان وما يحيط النص من عوامل اجتماعية وسياسية وثقافية[1].

أنواع السياق:

السياق اللغوي: وهو سياق لفظي يضم الأصوات والصيغ الصرفية والنبر والإيقاعات والجمل المنظومة والموزونة، ولتحقيق الترابط في سياق ما لابد أن تتوفر وسائل صفها تمام حسان إلى:

وسائل التماسك السياقي: يقصد به ترتيب الكلمات في سياق معين.

وسائل التوافق السياقي: يقصد به المطابقة بين أجزاء الجملة من حيث الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث والحضور الغياب.

وسائل التأثير السياقي: العلاقة المتبادلة بين الكلمات والجمل والعبارات[2].

---

[1] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية

[2] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة.

السياق العاطفي: ويُحدد هذا السياق درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا، ويشمل الحالة النفسية أو العاطفية لأطراف العملية اللغوية، وهنا نكون مع "السياق العاطفي "والدلالات الإيحائية أو الضمنية.

السياق الثقافي: ويقتضي تحديد المحيط الثقافي، فيجب أن يهتم منشيء النص بثقافة المجتمع وثقافة المتلقي الذي يمكن أن تُستخدم فيه الكلمة، كالحكم مثلا على شاعر ما بصفة ما كالزهد مثلا يقتضي معرفة سلوكه وشخصيته والبيئة التي نشأ فيها، مع اختيار مفردات لغوية معبرة عن ذلك.

السياق الاجتماعي: هو مجموعة الظواهر الاجتماعية المؤثرة في بناء النص .

ويمكن تقسيم السياق أيضًا إلى نوعين[١] :

السياق الداخلي: ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات في تركيب معين.

السياق الخارجي: ويتمثل في السياق الاجتماعي، أو سياق الحال بما يحتويه، وهو يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي٢.

أهمية السياق:

يذهب الباحثون إلى جعل السياق من أهم الوسائل التي تحقق ترابط النص و تماسكه، وإضفاء الانسجام الدلالي للمعاني داخل عالم النص، و لذلك يضع هايمس خصائص للسياق، وهي عنده ليست ضرورية في جميع الأحداث التواصلية.

وتتلخص هذه الخصائص في[١] :

[١] مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ص٨٨.

[٢] نظرية علم النصص٣٩.

- المرسل: منتج القول وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول .

- المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يسهم حضورهم في تخصيص الحدث الكلامي.

- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

- المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، و كذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات و الإيماءات و تعبيرات الوجه...

- القناة: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة...

- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

- شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظة، خرافة، رسالة غرامية...

- المفتاح: و يتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحا مثيرًا للعواطف...

- الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي.

ب- موضوع الخطاب: و يقصد بموضوع الخطاب البنية الدلالية المجردة التي يتمحور حولها النص، فلكل نص موضوع خاص "وموضوع أي نص هو الفكرة الجوهرية للمؤلف أو القضية العامة التي يدافع عنها الأثر الأدبي[٢]"، وخاصية مفهوم موضوع الخطاب تصدق على ما يقصد بأن يكون حاصلًا للبنيات الكبرى الشاملة؛ وموضوع الخطاب من المفاهيم التي ركّز عليها علم اللغة النصي، فوجب بذلك أن« يفهم مفهوم موضوع النص أولًا بشكل عام على أنه الفكرة

[١] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص٢٧.

[٢] المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس ص٩٩.

الأساسية أو الرئيسة في النص التي تتضمن معلومة المحتوى الهامة المحددة للبناء في كامل النص بشكل مركز ومجرد»[1].

ويسهم موضوع الخطاب في تحقيق انسجام النص وتماسكه، وذلك عندما يكون خطاب مشارك ما موافقا معظم عناصر الخطاب الأخرى، كونه يرتبط بالمحور الذي يدور حوله النص.

ج- التغريض : مفهوم التغريض يتعلق بالارتباط الشديد بين مضمون الخطاب و أجزائه وبين عنوانه ونقطة بدايته إذ للخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقه و تقوم حوله بقية أجزائه٢.

ويتفق الباحثون على أن وسائل التغريض هي العنوان و الجملة الأولى، و تكمن أهمية العنوان في أنه يثير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يكونه الخطاب، بل كثيرا ما يتحكم العنوان في تأويل و فهم المتلقي للنص، و كثيرا ما يؤدي تغيير عنوان نص ما إلى تأويله وفق العنوان الجديد بمعنى أن القارئ يكيّف تأويله و تفسيره للنص مع العنوان الجديد٣.

أزمنة النص: لا يوجد نص إلا و يتوفر على أدوات دالة على الزمن، وهذا يدل على أهمية الزمن في اللغة و النصوص و« توجد أدوات لغوية كثيرة في الخطاب تعبر عن الزمن مثل الأفعال بأزمنتها المختلفة، الحروف الدالة على الزمن، الأفعال المساعدة(الناقصة)، حروف النفي(لم، لن) وغيرها٤»، ولقد اهتم علماء لسانيات النص بدراسة الزمن من خلال عد «الزمن جزء من بنية النص، وعنصر أساسي في تفسيره، فالنص جزء من زمن إنتاجه، و له دلالة في زمنه تختلف عن رؤية زماننا لهذا النص٥».

---

[1] مدخل إلى علم اللغة النصي ص٧٥.

[2] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص٩٨.

[3] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص٩٨.

[4] الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: خليل بن ياسر البطاشي ص٦٧.

[5] تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، محمود عكاشة،ص١٣٤.

العلاقات الدلالية: هي علاقات لا يكاد يخلو منها أي نص يستهدف تحقيق درجة معينة من التواصل، تعمل هذه العلاقات على تنظيم الأحداث بصورة تتعدى الترابط الشكلي للنص لما هو أبعد وأعمق وهو الترابط الدلالي وهي مجموعة علاقات تسهم في حبك النص دلاليًا، ويؤكد علماء لسانيات النص بأن العلاقات الدلالية هي عبارة عن:« روابط دلالية تتمثل في الربط المعنوي أو العلاقات المنطقية بين الجمل[1]» وتعمل العلاقات الدلالية على تنظيم الأحداث داخل بنية النص وتربط بين جمله ليصبح النص كلًا موحدًا و منسجمًا.

ومن تلك العلاقات ما يلي:

علاقة الملابسة: كقوله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة:١٢٧)، أي: قائلين ربنا تقبل منا.

علاقة الإجمال التفصيل: وتعني إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره، أو تخصيصه، ويقترب من فن "التفسير"، فن "التقسيم"؛ لأنه يقوم على ذكر متعدد، كقوله تعالى:" يَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا " إلى قوله تعالى: " إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا " (الكهف:٨٣)، وتتجلى علاقة الإجمال التفصيل في فنون أخرى، ومنها "الجمع ثم التقسيم"، و"اللف والنشر وغيرها"[2].

علاقة العموم والخصوص: تتجسد هذه العلاقة في ذكر شيء عام ثم يتم تفصيله، ونجد هذه العلاقة ترتبط بين العنوان والنص عامة إذ يمكن اعتبار أن عنوان القصيدة ورد بصيغة العموم بينما النص بمقاطعه هو تخصيص له، ذلك لأن العنوان يحمل في دلالاته عناصر مركزية تكون بمثابة نواة تنمو وتتكاثر عبر النص حتى يكتمل بناؤه[3].

---

[1] المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة: يسري السيد إبراهيم نوفل، ص٥٦.

[2] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص٤٧

[3] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ٦٦.

علاقة الشرط والجواب: وهي من العلاقات التبعية المنطقية، وتتجلى في "المذهب الكلامي إذ يورد المتكلم حجة لما يدعيه، على طريق أهل الكلام، كقوله تعالى: " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ " (الأنبياء:٢٢)

وتتجلى هذه العلاقة أيضا في المزاوجة، إذ يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء، كقوله تعالى: " أينما تكونوا يدركم الموت"

وكقول البحتري:(الطويل)

إذا احتربتْ يوما ففاضت دماؤها ذكرت القربى ففاضت دموعها.

علاقة السبب النتيجة: حيث تذكر جملة في النص تكون سببا لما قبلها، نحو قوله تعالى "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب".

وكقول الشاعر: كلما شاقه الجمال تغنى فسمعنا غناءه

فجملة "كلما شاقه الجمال " هى سبب أحدث النتيجة (تغنى)، وفى الوقت ذاته تقع النتيجة (تغنى) سبباً فى وقوع ما بعدها (سمعنا غناءه).

علاقة التفسير: حيث تذكر جملة في النص تكشف عن المقصود من الجملة السابقة، ومثالها من القرآن قوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ ..."[1].

وكقوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) (البقرة: ١٧- ١٨)فالمقصود بكونهم في ظلمات تفسيره أنهم صم بكم عمي فليس لحواسهم إحساس.

[1] سورة البقرة (آية:٨٣).

علاقة التذييل، والتذييل الإتيان بجمل مستقلة بعد تمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام، نحو قوله تعالى :" وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا "[1].

علاقة الحوار أو علاقة التعقيب: وهي كلام بين طرفين نحو حوار موسى عليه السلام مع قومه حول قضية ذبح البقرة؛ قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) سورة البقرة، وعلاقة التعقيب تكمن في تقدير حرف الفاء قبل (قال).

علاقة الإضراب أو(النقض والإبطال): وهو السكوت عن كلام سايق وإثبات كلام جديد يختلف عنه، نحو قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:١١١)، فأبطل الله دعوى الفريقين.

ونحو: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) (البقرة:١٣) إبطال نسبة المؤمنين إلى السفه فأبطل الله دعواهم ونسبه إليهم.

علاقة التعليل: تفيد هذه العلاقة التقرير ، وهى علاقة قريبة من علاقة السببية تقوم بالربط ويقدّر أحد طرفيها إجابة لاستفهام أداته (لماذا ؟) ، ويؤدى التعليل فى اللغة بحروف تدل

[1] سورة الإسراء(آية:٨١).

عليه مثل : اللام ، إن ، أن ، إذ ، الباء ، كى ، لعل ، وقد وردت هذه العلاقة فى الديوان فى قول الشاعر : وطاولت حبل الهجر منك لعلنى أطامن نفسى أن تطيق جفاك

علاقة التأكيد: والتأكيد هو "مفهوم دلالى براجماتى يستجيب لعلاقة الحبك بين القضايا ، ويعتمد على كون القضايا تشكل إحالة قبلية "[1]، وهو ضرب من ضروب الفصل بين الجمل فهو لايفتقر إلى ما يصله بالمؤكد ، فالجمل تتصل بذات نفسها بالتى قبلها ففى قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (هود:٥) جملة "يعلم ما يسرون وما يعلنون" لم ترتبط بما قبلها برابط شكلى إنما هى تأكيد لها دليل على أنهم مهما بالغوا فى الاستخفاء فإن الله يعلم ما يسرونه وما يعلنونه ، والجملة "إنه عليم بذات الصدور " منفصلة عن الجملة التى قبلها ، ولم ترتبط بها برابط شكلى إنما هى توكيد لها على قصر العلم على ذات الله وحده[2].

علاقة الإلزام: استعمال الأمر لإفادة الوجوب؛ نحو: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) (الطلاق:١) جاء الإلزام في قوله: (وتلك حدود الله).

هناك علاقات أخرى نحو: الإنكار والترابط الزمني وعلاقة اللزوم وعلاقة البديل والتغريض وعلاقة الاستثناء، ومن علاقة اللزوم قول الشاعر:

قالت كيف أنت فلت عليل سهر دائم وحزن طويل.

ففيها علاقة لزوم إذ يلزم مع العلة السهر والحزن كله.

---

١ السبك والحبك فى المسرح الذهنى عند توفيق الحكيم . صفيه محمد فؤاد ص ٣٣.

٢ سورة هود دراسة فى نحو النص، عادل مناع، ص٢٦٨.

أهمية الحبك:

يُعد الانسجام معيارًا مهمًا للنصية، وهو ذلك الترابط والتماسك الدلالي الذي يربط المفاهيم الخفية الكامنة داخل النص فيجعل منه بنية كلية، كما يساعد الحبك على:

فهم النص وتأويله، أي إظهار المعنى الصحيح لكل مفردة من مفردات النص، مثل قول الشاعر:

أنا ابن اباة الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن.

فإذا اعتبرنا (إن) هنا نافية فسد المعنى لأن المعنى على ذلك يكون لنفي كرم الأصل عن مالك وهذا يتناقض ومطلع البيت، وإذا اعتبرنا إن شرطية يصير المعنى حتى كانت مالك كرام المعادن وهذا أيضًا غير مستساغ، أما مع اعتبار إن مخففة من الثقيلة فيكون الكلام على تأكيد إثبات كرم الأصل لهذه القبيلة وهو ما ينسجم والمعنى الوارد في مطلع البيت.

ترجيح المعنى على وجه نحوي معين، ففي نام زيد وطلوع الشمس لا يصح اعتبار الواو هنا عاطفة لأن إسناد النوم لزيد مقبول أما غي الممكن إسناد النوم إلى الشمس، فالواو هنا للمعية والمصاحبة وليست واو العاطفة.

توضيح الرتب في النص من خلال التقديم والتأخير وقد يعرف المتقدم بقرينة معنوية مثل : أكل الكمثرى موسى، كما أن المشترك اللفظي لا يفهم إلا من خلال معيار الحبك، نحو قول الشاعر:

فلا عين إلا وهي عين من البكا ولا خد إلا للدموع به خد

فالعين الأولى عين البئر والعين الثانية عضو الإبصار، والخد الأول هو الذي في الوجه، والثاني الشق أو الحفرة وجمعه أخدود.

وهناك ما يعرف بالحبك في نطاق النص ويسميه البلاغيون الوصل والفصل، كما يعرف في التراث بعلم المناسبة، ويأتي الوصل والفصل لأمن اللبس حتى لا يفهم المتلقي خلاف ما يقصده المتكلم، ومثاله قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلًا أراها في الضلال تهيم

قطع الكلام في أراها ولم يضع أداة وصل حيث لم يصله بما قبله حتى لا يكون رد الشاعر من مظنونات سلمى، وكذلك قول الشاعر :

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلمًا

لم يفصل بين ارحل ولا تقيمن عندنا لإظهار الكراهة لإقامته، حيث الأصل الربط بين الجمل الإنشائية لكنه فصل بينهما بقصد التأكيد للرحيل.

وقد يكون الفصل والوصل للتأكيد مثل قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[1] فقوله ختم الله تأكيد وتفسيره لقوله لا يؤمنون. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال ابن كثير: أي غَطوا الحق وستروه، وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك، سواء عليهم إنذارك وعدمه، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به.

[1] سورة البقرة(آية:٧).

المعيار الثالث: القصدية

النص يعد مظهرًا من مظاهر السلوك اللغوي، وشكلًا من أشكال اللغة، يتضمن لا محالة قصدًا معينًا، وتكمن أهمية القصد في أنه يمثل جزءًا مهمًا من دلالة الخطاب أو النص، بل لا يكتسب النص دلالة إلا بفعل قصد المتكلم.

يعرف روبرت دي بوجراند" و"دريسلر" القصدية بأنها "قصد منتج النص من أية تشكيلة لغوية ينتجها؛ لأن تكون قصدًا مسبوكًا محبوكًا، وفي معنى أوسع تشير القصدية إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها"[1]

فهذا المعيار يتضمن موقف منشئ النص، من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصًا أو خطابًا يتمتع بالسبك والحبك، وقد تناول فلاسفة اللغة هذا المعيار ضمن المعالجات اللسانية الحديثة، وتنبه العرب قديما لذلك إذ يقول ابن قتيبة: للشعر دواعٍ تحث البطيء وتبعث عليه كالشوق والحزن...، وابن الأثير في المثل السائر يقول: أولت العرب عنايتها بألفاظها لأنها لما كانت عنوان معانيها وطريقها إلى إظهار أغراضها فأصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس وأذهب بها للدلالة على المقصد.

يشترط مجموعة من الباحثين ثلاثة شروط في في تحقق قصدية النص، هي[2]:

وجود المنتج أو المبدع الذي يعد نصًا متماسكًا مترابطًا له أهداف محددة ومقاصد معينة ورسالة موجهة.

---

[1] . علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٨)

[2] في مفهوم النص معايير نصية القرآن الكريم .

وجود متلقٍ يجيد فك شفرات النص ويحلل معانيه، وصولا إلى الأهداف الخفية غير المعلنة.

وجود قناة تواصلية تربط منتج النص بمتلقيه.

أهمية القصد:

يتحكم في السلوك اللغوي داخل النص رغم اتصاله مباشرة بتقسيم المنشيء للنص إلا أنه يظهر أثره على النص مباشرة في سبكه وحبكه.

يؤثر في ترتيب الأحداث ترتيبًا خاصًا فترتيب النص يوافق ترتيب الأحداث خارج النص.

يمنع التناقض في النص ويفيد في تفسير النص.

مميز للغة إنسان عن آخر.

القصدية والتداولية

القصدية هي محور من محاور التداولية حيث اهتمت الدراسات التداولية بقصدية النص فهي تبحث عن معايير إنتاج النص بوصفها منهجًا يدرس اللغة والتواصل، حيث تقوم على أن المعنى ليس متأصلًا في الكلمات وحدها ولا ترتبط بالمتكلم وحده بل في تداول اللغة بين كل من المتكلم والسامع في سياق محدد(ثقافي أو اجتماعي أو ديني أو...) وصولا للمعنى الكامل.

فالتداولية تنظر إلى كون اللغة كلامًا حيًا منجزًا في سياق معين يتلقاه المتلقي محاولا فك شفراته وإشاراته.

أنواع التداولية:

نظرية الحدث: وهي المؤشرات والرموز والتعبيرات المهمة المتضمنة في السياق .

نظرية قوانين الخطاب: وتعني تميز القضية اللغوية المتلفظ بها عن الدلالة الحرفية للجملة تميز إلى ما يتوقعه المخاطبون ، ومن أهم قوانينها الحجاج وغرضه التأثير للاستدلال ويطلق عليه البعد التأثيري.

نظرية أفعال الكلام: وهي الأفعال الصادرة عن المتكلم ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات بعد اجتماعي وترجع هذه النظرية أى أوستن وتلميذه سيدال وتعني أن اللغة ليست مبنى ودلالات فقط بل هي أفعال كلامية يطمح المتكلم بها إلى إحداث تغيير في سلوك المتلقي.

قسم أوستن الفعل الكلامي إلى: فعل لغوي ، وفعل إنجازي، وفعل تأثيري.

كما قسم أوستن الأفعال الإنجازية إلى خمسة أقسام هي:

أفعال الأحكام: نحو أحكام القضاء وغيرها

أفعال القرارات وتتمثل في اتخاذ قرار معين كالإذن والحرمان.

أفعال التعهد كالوعود والضمانات.

أفعال السلوك نحو رد فعل الحدث والاعتذار والشكر.

أفعال الإيضاح: بيان الموافقة وتبرير الاعتراض.

تقسيم التداولية للكلام:

الإخباريات : وصف لمحل الصدق والكذب في الكلام.

التوجيهات: توجيه المخاطب لفعل معين.

الالتزاميات: التزام المتكلم بفعل شيء معين في المستقبل.

التعبيرات التعبير عن موقف النفس.

الإعلاميات: موافقة الكلام للعالم الخارجي.

المعيار الرابع: المقبولية

القبول: لغة : الاستحسان والرضا بالشيء وميل النفس وانجذابها إليه، دلالة إشارية رسمتها المعاجم العربية للمقبولية تبلور ذلك في صاحب اللسان:"على فلان قبول، إذا قبلته النفس، وهو- أي القبول- بفتح القاف: المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه"[١]. وفي القرآن قول الله تعالى: فتقبلها ربها بقبول حسن(آل عمران: الآية:٣٧) أي بتقبل حسن، يقال قبلت الشيء قبولًا: إذا رضيته"[٢]، هذه حدود دلالة المقبولية في لغة العرب.

أما المقبولية في الاصطلاح فهي جانب يختص بالمتلقي إذا ما برزت أمامه صورة من صور اللغة، التي يرى فيها من الآليات التي تدعوا إلى القبول والتواصل مع هذه البنية اللغوية، يظهر هذا التنظير السابق في قول أحد النقاد"المقبولية: ويقصد بها موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من أشكال اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص توفر فيه عناصر السبك والحبك"[٣]، وهاك آخر ينظر إلى المقبولية يوضح مفهومها بقوله:"هي تسمية تطلق على الاستعمال اللغوي المقبول من حيث النحو والصرف، في أنه يتطابق مع ما جاء في القواعد اللغوية المرعية والمقبولة، وهي تقابل التقعيدية"[٤]، وهذه النظرة عزف على أوتارها الغزالي فقال:المقبولية: أن تتحقق الصحة اللغوية أولًا في النص، وعندما نقول الصحة اللغوية، فهذا يعني أنه لا بد أن تتحقق في النص المقبولية من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية؛ لأن وجود الأخطاء اللغوية في النص يسبب النفور والاستهجان عند المتلقي، ويجعله ينصرف عن المغزى الذي يقصده المتكلم من النص إلى الوقوف على تلك الأخطاء"[٥]، وهاتان النظرتان

---

(١) لسان العرب، ابن منظور.

(٢) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري.

(٣) مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند، ص(٣١).

(٤) معجم المصطلحات الألسنية(فرنسي، إنجليزي، عربي) مبارك مبارك،ص(١٠).

[٥] المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ٦٧.

عند تحليلها تؤكدان أن السلامة اللغوية وسلاستها وانضباطها حسب القواعد المرعية والمتعارف عليه في اللغة هو الذي يحدد المقبولية، وإن لم يكن انصرف المتكلم يبحث عن حل للأخطاء التي اعترت بنية النص.

وهي أحدى معايير النص وتتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام[١]،وتعني المقبولية: تقبلية المستقِبل للنص باعتباره متضامًا متقارنًا ذا نفع للمستقبل، أو ذا صلة به"٢، لذلك فهي عملية تفاعلية بين النص والمتلقي، ومن هنا يبرز الدور الذي يضطلع به معياري التماسك والانسجام في عملية بناء النص بما يكفل تحقيق استمرارية المعنى، وتنظيم المعلومات بداخله، ولهذا السبب كان مستوى المقبولية في النص يزيد وينقص تبعا لمدى تحقق التماسك والانسجام في النص.

إذن فالمقبولية "أمر يتعلق بموقف المتلقي من قبول النص أو رفضهفالمستقبل هو الحكم الذي الذي يقر بأن المنطوقات اللغوية تكون نصًا متماسكًا منسجمًا مقبولًا[٣]".

العوامل المؤثرة في المتلقي والتي تحمله على تقبل النص[٤]:

معرفة المتلقي بنوع النص، ومعرفة من هو المنتج؟

معرفة المتلقي لقصد المنتج، أي دلالة النص العامة، التي وسمها"فان داي ك" ب "البنية الكبرى".

تعتمد نسبة قبول النص على مدى أهمية النص بالنسبة إلى متلقيه.

تعتمد نسبة قبول النص على الخلفيات الفكرية والأيديولوجية التي يتمتع بها مستقبل النص.

---

[١] النص والخطاب والإجرا ء.

[٢] مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودريسلر.

[٣] التوحد الإبداعي في نحو النص.

[٤] نظرية علم النص .

وتعتمد نسبة قبول النص على الخصائص النفسية التي يتمتع بها المتلقي ذلك بأن الحالة النفسية تؤثر في الحالة الذهنية.

أنواع القرّاء:

بعض صور قراء النصوص(المتلقي) كما تصورها بعض النقاءوجاءت كالآتي:

(أ): القارئ الأعلى: وهذا القارئ عند(ريفاتير) وسط بين القارئ السطحي والقارئ المتفوق، أو بمعنى أبسط لا هو سطحي في قراءته للنصوص بحيث لا ينظر إلى جماليتها ولا عوامل الإثارة المشتملة عليها، وكذا ليس متفوقًا بحيث يضع يده على خفايا النصوص، بل هو قارئ أسلوبي يعتمد على الدهشة وشدة الانتباه للإنزياحات الأسلوبية التي تشد انتباهه، وتجعله يتوقف عندها في النص، وعليه فإن ثراء النص يقاس بكثرة التأثيرات الأسلوبية التي يثيرها النص[١].

(ب): القارئ المخبر(الخبير): نوع من القراء في منظور(فيش) يتمتع بقدرة على معالجة النص، وهذه المعالجة رهينة شروط كي تتحقق من ضمن هذه الشروط: الكفاية اللغوية التي تمكنه من قراءة النص وتفكيكه على الوجه الأمثل، وهذه الكفاية اللغوية لا بد وأن تكون مقرونة بمعرفة دلالية تحقق الفهم، ينضم إلى هذين الشرطين شرط ثالث محورها الكفاية الأدبية، هذه الكفايات حال تواجدها تمكن القارئ من الكشف عن معنى النص ومحتوياته على الصعيدين السطحي والعميق، كما تظهر ردود الأفعال التي تنبثق من الاستراتيجيات المضللة في النص الأدبي المقروء[٢].

١ انظر فعل القراءة(نظرية جمالية التجاوب في الأدب)،فولفغانغ إيزر، ص١٣٤.

٢ القراءة ونظرية التوصيل، عبد الناصر حسن، ص١٣٤.

وهو " ليس نتاج عملية تجريد ، ولا قارئاً حياً فعلياً ، إنما هو قارئ حقيقي يفعل كل شيء ضمن حدود قدرته كما يجعل من نفسه مخبراً "[1]

(ج): القارئ المقصود: القارئ المقصود حسب(وولف) هو قارئ تخييلي في النص، لا يمثل تقاليد الجمهور المعاصر فقط، بل يجسد رغبة المؤلف بالارتباط بتلك المفاهيم أو وصفها أو العمل عليها، وعلى الرغم من أن المؤلف يكتب لقارئ مقصود بعينه آخذًا في الاعتبار الحالة الاجتماعية والظروف التاريخية المحيطة به، إلا أنه بمرور الأجيال يستطيع القارئ أن يفهم معنى النص والقارئ المقصود في زمن الكتابة، وهو بذلك يكون قادرًا على إعادة بناء النص كاشفًا عن الاستعدادات التاريخية للقارئ المقصود الذي كتب له المؤلف.[2]

(د): القارئ الضمني: وهو بحسب (إيزر) مهمته الأساسية ملئ فراغات النص وترجمة البنيات النصية إلى بنيات ذهنية، وهو قارئ لا يمكن مطابقته مع أي قارئ موجود في الواقع ؛ إذ هو جزء من تركيبة النص وله جذور أصيلة فيه، ويمثل القارئ الضمني الاستعدادات اللازمة الواجب توافرها في العمل الأدبي، لكي يمارس تأثيره، وهذه الاستعدادات نابعة من النص نفسه، ومن الإمكانيات المدرجة في بنيته، وليست موضوعة من طرف خارجي[3] بعيد عما هو موجود ونابع من النص.

(هـ):القارئ النموذجي: نوع من القراء مدين في تأسيسه للناقد (أمبيرتو إيكو) الذي صب اهتمامه على النص السردي، مفترضًا لنفسه قارئًا نموذجيًا متأصلًا في النص ومفترضًا من قبل الكاتب، فالنص عنده غير مكتمل، ومعقد بعض الأحيان، ومرجع هذا التعقيد إلى البنى الغائبة غير الظاهرة في البنى السطحية للنص، فيقع على عاتق القارئ النموذجي المشاركة التفسيرية،

---

١ نقد استجابة القارئ، ص ١٦٧.

(٢) انظر/ نظرية التوصيل وفعل القراءة، عبد الناصر حسن محمد، ص١٣٤-١٣٥.

(٣) انظر/ السابق، ص١٣٢.

لذا فالقارئ النموذجي عند(إيكو) يتمتع بثروة لغوية هائلة، كما يمتلك معارفًا نحوية عميقة، ومخزونًا تركيبيًا، وهذه المعرفة التي يجب أن يتصف بها القارئ النموذجي يطلق عليها(إيكو) الموسوعة القرائية [1].

هذه هي أنواع القراء للنص وفق تصور عدد من النقاد، وهي تصب بشكل أو بآخر في معرفتنا لنوعية النص ومتقبل هذا النص.

(١)انظر/ معيار المقبولية في نصية دي بوجراند، عاصم شحاذة، عاصم الكنج، ص(١٥٢.

المعيار الخامس: الإعلامية

هي المعيار الخامس من معايير النصية، وتعرف أيضاً بالإخبارية، أو "المعلوماتية"، أي ما نحصل عليه من معلومات يتضمنها النص، وهي ترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقي، ومدى توقعه لعناصره، عرف روبرت دي بوجراند ودريسلري الإعلامية بأنها مقدار ما تتَّسم به الوقائع النصية من توقع في مقابل عد التوقع، أو المعرفة في مقابل عدم المعرفة، هي مدى ما يقف عليه المتلقي من عناصر جديدة أو غير متوقعة عند اتصاله بالنص، وحدد علماء لغة النص لمصطلح" الإعلامية " ثلاثة مفاهيم هي بإيجاز[1]:

الإعلامية بالمعنى العام، تدلّ على أن أي نص يجب أن يقدم خبرا ما، فالنصوص كلها تشترك في هذه الوظيفة.

الإعلامية بمعنى الجدة وعدم التوقع، وتدلّ على ما يجده المتلقي في الن ص، من جدة وإبداع ومخالفة الواقع، على مستوى صياغة النص أو مضمونه، ويحدث هذا في النصوص الأدبية.

الإعلامية بمعنى الدعاية، إيجابا أو سلبا، لشخص ما أو لفكرة ما، أو لمذهب ما.

وقد وصفت "الإعلامية " بالمفهوم الأول والمفهوم الثالث بأنها:"إعلامية منخفضة"؛ لأن أثرها في النص يقتصر على الإخبار والدعاية فحسب، أما" الإعلامية " بالمفهوم الثاني فقد وصفت بأنها"إعلامية مرتفعة"؛ لأنها تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص[2].

فهي تشير إلى المدى الذي تكون فيه العناصر أو المعلومات داخل النص معتادة في معناها، وفي أسلوب التعبير عنها، وطريقة عرضها فتمثل عندها كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة أو تكون غير معتادة فتمثل كفاءة إعلامية عالية الدرجة.

---

[1] نظرية علم النص.

[2] نظرية علم النص: ٧٠

ويلاحظ من هذه التعريفات أن مصطلح "الإعلامية" يستخدم لبيان مدى جّدة المعلومات ومدى توقعها عند المتلقي، فكلما كانت المعلومات جديدة وغير متوقعة، زادت الإعلامية، وكلما زادت الإعلامية زاد اهتمام المتلقي للنص، وإذا استطاع أن يستوعب النص على الرغم من هذه الجدة والصعوبات، زادت رغبته في مواصلة القراءة فوجود عناصر الإعلامية في النص مفيدة وتساعد القارئ على تنمية عقله وعلمه غير أنه يتوقف على مدى ما يملكه القارئ من المعارف الجاهزة المتعلقة بالنص المقروء وقدراته القرائية.

مراتب الإعلامية[1]:

قسم دي بوجراند ودريسلير الإعلامية إلى ثلاث مراتب هي:

إعلامية الدرجة الأولى: وهو ما عبر عنه دي بوجراند بـ(المحتوى المحتمل للتركيب المحتمل)، ومثالها إشارة (ممنوع التدخين) في الأماكن العامة فهي واضحة للغاية يسهل توقع معناها من حيث الاتساق والانسجام والسياق الذي ترد فيه،... هذه الإعلامية من الدرجة الأولى وهي عديمة الأهمية وعديمة الإمتاع بالنسبة للمتلقي لأنها متوقعة .

إعلامية الدرجة الثانية وعبر عنه بـ(المحتوى غير المحتمل في التركيب المحتمل أو المحتوى المحتمل في التركيب غير المحتمل) ومن شأن هذا المحتوى أن يتسم بالتحدي وتقع هذه الإعلامية غالبًا في النصوص الشعرية والأدبية، وهي الدرجة المعيارية أو الاتصال العادي عند أكثر النصوص للتحقق من اتصاليتها؛ وذلك لأنه إذا كان النص يحتوي على الإعلامية من الدرجة الأولى فقط فإنها تكون مبتذلة ولا تحظى على قبول المتلقي.

إعلامية الدرجة الثالثة وهي ما عبر عنه بوجراند بـ(المحتوى غير المحتمل في التركيب المحتمل) ومن شأن هذا المحتوى أن يكون صعب الصياغة مثيرًا للجدل الحاد، ويحتاج إلى انتباه أكثر

[1] النص والخطاب والإجراء.

ومصادر الإجراء غير أنه أكثر جاذبية، ومن أهم عناصر هذه الدرجة من الإعلامية، الانقطاعات وتعني فقدان بعض المواد من النص... ، والفجوات وتحدث عندما يشمل التعليق على جزء لا يتضمن أي محتوى...، والتعارضات وهي تعني تعارض الأنماط المقدمة في النص مع انماط المعرفة المختزنة في ذهن القارئ، وهذه العناصر غير معتادة وهي شديدة الإثارة للانتباه، ومن ثم يصعب فهمها والسيطرة عليها.

ومن أمثلة هذه الدرجة من الإعلامية التورية لأن بها معنيين أحدهما قريب غير مقصود والآخر بعيد مقصود، نحو قول الشاعر:

أقول وقد شنوا للحرب غارة دعوني فإني آكل الخبز بالجبن.

المعيار السادس: المقامية (السياق):

المقامية تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطًا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف، وأن يغيره[1] فدراسة النص لن تكون كافية بالوقوف فقط عند بنيته النحوية أو الدلالية الداخلية، بل لابد من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا يعني الاهتمام ببنية السياق والعلاقات بينها وبين النص.

سبق أن تحدثنا عن السياق عند حديثنا عن وسائل تحقق الانسجام أو الحبك، ونتعرض هنا له كمعيار مهم من معايير النصية.

أهمية السياق:

إن أي بنية نصية هي وليدة لعدة سياقات، ذلك أن السياق يلعب دورًا مهمًا في تفسير وفهم العلاقات الكامنة داخل النص، ولذلك لقي السياق اهتمامًا واسعًا من قِبلِ الدارسين والباحثين.

وتكمن أهمية السياق في أن النص مرتبط بقائلة وبمتلقيه وبالملابسات التي ساعدت في إنتاجه، كما أن للمجتمع دور في إنتاج النص، ذلك أنه المنتج له، وهو كذلك المتلقي له، ومن ثَم فهو الذي يُحدد معناه من خلال البيئة المحيطة التي يعيش فيها المجتمع، والتي أُفرز فيها النص، فتفسير النص وفهمه مرهون بجميع المُؤثرات الخارجية التي ساعدت على وجوده.

وقد أولت مناهج النقد الحديثة اهتمامًا كبيرًا بالسياق ودلالاته، لما يُشكله من دور مهم في المساعدة على فهم دلالات النص الأدبي وفتح مغاليقه، فقد وجدت هذه المناهج أن إدراك ما يقوله النص أو يسكت عن قوله رهين بِتمثُل السياق الذي قيل فيه. فللسياق دور فعّال في

[1] النص والخطاب والإجراء: ١٠٤

تواصلية الخطاب وانسجامه، فما كان من الممكن أن يحمل الخطاب أي معنى لولا الإلمام والإحاطة بسياقه الذي ورد فيه[1]، وتتلخص أهمية سياق الموقف فيما يلي:

جلاء النص ووضوح الغامض فيه: فالسياق يعمل على الفهم الجيد للنص تبعًا للموقف الذي جاء فيه النص، وذلك نحو قوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء:٨٧) ، حيث توهم بعض العلماء أن الظن هنا بمعنى التوهم والشك وهذا الوصف لا يصح مع نبي من الأنبياء إلا أن السياق يدفع هذا التوهم فلو كان شاكًا ما قال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

تحويل المعنى إلى الضد: نحو قوله تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) (الدخان:٤٩) فالمقصود هنا السخرية والاستهزاء وليس المدح والتعظيم، نحو قوله تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)، قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (آل عمران:٢١)

تحديد المعنى الدلالي المقصود: نحو قوله تعالى: "قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ" (يونس:٦٨) فمرجع الضمير هنا إلى الله عزوجل لا إلى الولد، كما أن الواو في قالوا تشمل اليهود والنصارى.

دفع التوهم حيث يفهم من النص معنى معين والمراد غير ذلك نحو قوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام:١٤٥) فعن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا، فبعث الله نبيه وأنزل كتابه، وأحل حلاله وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو

[1] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٥٦.

حرام، وما سكت عنه فهو عفو، وتلا هذه الآية: (قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ)، والمقصود هنا إثبات التحريم لا نفيه؛ فالمتتبع لأسباب النزول يفهم أن الخطاب هنا موجه للكافرين لأنهم أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحله فليست هذه الأنواع هي فقط المحرمة، وقد ثبت - فيما بعد - بالسنة تحريم كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، والحمر الأهلية، والكلاب.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة:٩٣) ظن عمرو بن معديكرب وعثمان بن مظعون أن الخمر مباح شربها للمؤمنين، لكن المقصود من الاية من مات من المؤمنين قبل تحريم الخمر، وسياق الموقف يوضح ذلك حيث إن سبب نزول الآية هو الجواب على سؤال بعض المسلمين عمن شرب الخمر من المؤمنين قبل تحريمها ثم مات .

السياق يوضح المعنى المقصود من استخدام حروف المعاني نحو قوله تعالى: ولأصلبنكم في جذوع النخل" والمقصود على جذوع النخل ولكن للدلالة على شدة الصلب استخدم الحرف "في" وكأنهم من شدته قد لصقوا بالجذوع، من ذلك أيضًا " والتفت الساق بالساق ووظن أنه الفراق" ظن هنا ليست للشك وإنما هي لليقين لدلالة السياق على ذلك لفراقهم الدنيا ومعاينتهم ملائكة الموت.

الدلالة على زمن الفعل : نحو قول تعالى: " أتى أمر الله فلا تستعجلوه" حيث يدل المضارع هنا على الاستقبال لا الحال .

مما سبق يتمثل السياق في الجو الخارجي الذي يُحيط بإنتاج النص، من ظروف وملابسات، ويُعد طرفا الخطاب: المرسل والمرسل إليه أهم عناصر السياق، وما بينهما من علاقة، إضافة إلى عنصري الزمان والمكان، وما يُحيط النص من عوامل اجتماعية وسياسية وثقافية.

وهكذا كان"المقام" واحدا من المقومات الفاعلة في تماسك النص، وأصبحت"المقامية" أي مدى ملائمة النص للسياق الذي يرد فيه، من معايير الحكم على النص بالقبول.

المعيار السابع: التناص

التناص في اللغة هو الظهور والرفع قال الشاعر:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته وليس بمعطل.

الجيد: عنق الغزالة، نصتها: رفعتها ، المعطل: الخالي من الحلي، وتناص القوم : ازدحموا[١].

التناص اصطلاحًا: هو تلك العلاقات التي تنشأ بين نص أدبي وغيره من النصوص[٢]، وتصف "جوليا كريستيفا" التناص بأنه "نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص، وفي الوقت نفسه عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا[٣]".

والتناص كمصطلح هو تعالق نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة، والتناص يعني الحوارية وتداخل النصوص، ويسمى في الثقافة العربية: بالاقتباس، والتضمين، والاستشهاد[٤]، وعليه يكون التناص "مكونًا من مكونات النص، فهذا يعني أن النص يتكون من نصوص أُخر مأخوذة من الثقافة المحيطة، أو قادمة من آفاق وأزمنة أخرى"[٥].

وقد ظهر التناص كمصطلح في أبحاث جوليا كرستيفا عام ١٩٦٧/١٩٦٦ تقول: إن كل نص عبارة عن لوحة مرتبة من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى.

---

[١] تاج العروس،مادة(نصص).

[٢] فاطمة قنديلّ، التناص في شعر السبعنّات، المكتبة العامة لقصور الثقافة ص١٦٥.

[٣] جوليا كريشّفيا، علم النص، علم النص، تر: فريدّ الزاهي ً، مراجعة عبد الجليل ناظم ص٢١١.

[٤] محاضرات في لسانيات النص: جميل حمداوي.

[٥] نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ٢٥٦.

وتتلخص نظرة جوليا كرستيفا لفكرة التناص بأنها تقوم على مبدأين أساسين هما: الاقتطاع أو التحويل لتعبيرات أو نصوص سابقة أو متزامنة، ولم تكن هذه الفكرة غائبة عن أذهان نقادنا القدامى بل كانت حاضرة بوضوح[1]

وتقول أيضًا: جملة المعارف التي تجعل من الممكن للنصوص أن تكون ذات معنى، وما إن نفكر في معنى النص باعتباره معتمدًا على النصوص التي استوعبها وتمثلها فإننا نستبدل تفاعل الذوات بمفهوم التناص.

قول رولان بارت حول التناص: الكتابة لا تحدث بشكل معزول أو فردي ولكنها نتاج لتفاعل ممتد لعدد لا يحصى من النصوص المخزونة في باطن المبدع، كما أوضح أن النص مستقل عن مؤلفه فيما يعرف في النقد بموت المؤلف، وعند موت المؤلف يسمح بإدراك النص في تناصه، وموت المؤلف يفسح المجال لموت القارئ.

دي سوسير (١٩٠٩م) بدا لديه التناص قائلًا: " سطح بنية النص تبنيه وتحركه نصوص أخرى حتى ولو كانت كلمات مفردة.

ميخائيل باختين أول من أومأ إلى هذا المفهوم" التناص" وذلك عند حديثه عن سياق النص إلا أنه لم يذكره بهذا المصطلح وإنما أطلق عليه "الحوارية".

واستفادت جوليا كارستيفا من مصطلح باختين وتركيزه على الطابع الحواري للنص الأدبي لتخرج بمصطلح التناص عام (١٩٦٦م) قائلة: تفاعل النصوص يحدث داخل نص واحد ويمكن التقاط مختلف المقاطع والقوانين لبنية نصية معينة بوصفها مقاطع أو قوانين محولة من نصوص أخرى.

---

[1] مصطلح السرقات الأدبية والتناص.

أما هوتمان فأشار إلى دور المتلقي في عملية خلق التناص وقدرته المرجعية والثقافية التي بواسطتها يقيم العلاقات بين النصوص الأخرى والنص المقروء.

ومصطلح التناص مصطلح غربي بحت ليس له أثر في معاجمنا العربية القديمة، لكن هذا لا ينفي وجود تسميات بديلة لهذا المصطلح المعاصر في موروثنا النقدي القديم، وأول المصطلحات التي عرفها النقد العربي تسمية السرقات الأدبية، والسرقات الأدبية قديمة قدم الأدب العربي وقد وجدت مع النموذج الشعري السابق عليه بين الشعراء في الجاهلية وفطن إليها النقاد الشعراء ولاحظوا مظاهرها بين امرئ القيس وطرفة بن العبد وبين الأعشى والذبياني وبين أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى وفي هذا السياق يقول طرفة بن العبد:

ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها غنيت وشر الناس ما سرقا

وإن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا[1]

فالسرقة الأدبية ليست وليدة عصرنا وإنما هي وليدة العصر الجاهلي، حيث تفطن بعض الشعراء إلى تكرار بعض المعاني كقول عنترة بن شداد:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وكأن التناص متمثل في قول زهير:

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا

وقد حظي هذا اللون من التفاعل بين النصوص بدراسات موسعة لدى النقاد والبلاغيين العرب القدامى، من خلال اهتمامهم مثلا بالسرقات الأدبية، والمعارضات الشعرية، والاقتباس، والتضمين، والاستشهاد، وغيرها من المظاهر التناصية التراثية.

[1] عبد الرحمن المصطاوي، ديوان طرفة بن العبد،دار المعرفة،ط ١،بيروت، ٢٠٠٣ ،ص ٦٥

الفرق بين السرقات والتناص

على مستوى المنهج: السرقة تعتمد على المنهج التاريخي والسياق الزمني فالاحق هو السارق، والأصل الأول هو المبدع ، بينما يعتمد التناص على المنهج الوظيفي ولا يهتم كثيرا بالنص الغائب.

على مستوى القيمة: ناقد السرقات الأدبية يسعى لاستنكار عمل السارق وإدانته، أما ناقد التناص فيسعى لبيان البعد الإبداعي .

على مستوى القصدية: السرقة عملية قصدية أما التناص فعملية لا واعية.

أسباب التناص: اللغة، الميول والأفكار، البيئة، واستعارة المصطلحات من المجتمعات المحيطة.

صور التناص:

للتناص صور متعددة منها:

النسخ : أخذ اللفظ والمعنى جميعا أو أخذ المعنى وأكثر اللفظ مثل قول امرؤ القيس:

أتعدل أحسابًا لئاما حماتها بأحسابنا أني إلى الله راجع

حيث اخذ جرير هذا البيت بنصه.

التوازي : وهو نظم النثر وحل الشعر أي تحويل المنثور شعرًا والعكس، قال أبو العتاهية:

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر.

هذا البيت ماخوذ من قول الإمام علي رضي الله عنه :" ما بال ابن بدم يفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة"

التلميح وفيه إشارة إلى قصة أومثل مثل قول الشاعر:

فوالله ما أدري أأحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

وفيه إشارة إلى يوشع بن نون وهو فتى موسى الذي كان معه في رحلته إلى الخضر.

التوليد / السلخ ويتضمن توليد معنى جديد من معنى آخر يشبهه مثل قول الشاعر:

لقد زادني حبًا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل

يقال أن المتنبي أخذ المعنى السابق وولد منه معنى جديدا في قوله:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

التضمين نحو قول امرؤ القيس:

كأني غداة البين حين تحملوا لدى ثمرات الحي واقف حنظل

وقوفًا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتحمل

وقال طرفة بن العبد:

وقوفًا بهم صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

الاحتذاء وهو أن يعبر عن معنى بأسلوب ويأتي آخر وينسج على منواله مثل قول الفرزدق:

أترجو ربيعُ أن يجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعًا كبارها.

حيث احتذى البعيث قول الفرزدق وقال:

أترجو كليبُ يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليبًا قديمها.

النفي: تكون القصة مثبتة ويأتي بعد ذلك من يذكرها بالنفي مثل: حين أكتب خواطري فإنها تنفلت من أحيانًا ، حين أكتب خواطري فإنها لا تنفلت مني أحيانًا.

وهناك صور أخرى للتناص نحو: الترجمة، التلخيص، المحاكاة، التذكر، التوكيد، الاقتباس.

أنواع التناص: قسم الباحثون التناص أقساما متعددة، منها: الداخلي والخارجي، فالداخلي يكون مع نصوص للكاتب أو الشاعر نفسه، والخارجي مع غيرها؛ والجزئي والتام، على قدر الأخذ من الآخرين؛ والضروري والاختياري، فالضروري متابعة الأسلاف، والاختياري ثورة على تقاليدهم[١].

ولكن أشهر أقسام التناص نوعان هما:

التناص الشكلي: ويسمى أيضا ب"التناص المباشر"، ويعني اجتزاء قطعة من نص سابق،أو نصوص سابقة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص، وهذا هو الشكل البسيط من التناص الذي يتحقق بنقل التعبير من غير تغيير[٢]

التناص المضموني: ويسمى أيضا ب"التناص غير المباشر"، ويستنبط من النص استنباطا، ويرجع إلى تناص الأفكار، أو المقروء الثقافي، أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها، لا بحرفيتها أو لغتها، وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته٣، فنرى مثلا شاعرا يعيد إنتاج ما تقدمه وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة، وينتقي منها صورا، أو موقفا، أو تعبيرا ذا قوة رمزية، ويظهرها بشكل جديد٤.

ويمكن تقسيم التناص أيضًا إلى :

تناص قصدي مباشر : ويشمل افشارة للنص المقتبس منه إشارة واضحة كالاستشهاد.

---

[١] لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري: ٧٦

[٢] علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٧٩.

[٣] المصدر نفسه.

[٤] تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص.

تناص لا قصدي غير مباشر: منسوب للنص الأصلي يتضمن ملامح أو مقتطفات من نصوص أخرى دون وعي وإدراك من المتلقي لذلك.

درجات التناص:

التطابق/ التساوي.

التداخل: علاقة النص الأصلي بالنص الجديد.

التحاذي إذا لم يكن بين النصين علاقة بعد فهما متجاوران.

التفاعل تفاعل مع نصوص أخرى كاحتواء النص الديني على قرآن وأحاديث .

التباعد كمجاورة نكتة لآية قرآنية لا يصح.

التقاصي: وذلك بألا يكون بين النصين علاقة.

أهمية التناص:

يساعد التناص على فهم النص حيث إن مجموعة النصوص التي يذكرنا بها هذا النص تعتمد على مجموعة من الإشارات تسهم في حل الشفرات لهذا النص وتفسير إشاراته التي يصعب تفسيرها بمعزل عن النصوص الأخرى.

التأكيد على عمومية الموضوعات التي يتناولها النص من خلال تقاطعه مع نصوص أخرى تعالج المضامين نفسها.

إعادة قراءة النصوص المقتبسة في ضوء النص الجديد الراهن، وربما إعادة صياغتها بما يكشف عن عدة جوانب جديدة، وقراءتها في إطار جديد ونص جديد، فالنص متعدد الدلالة، والأصوات فيه صوت السارد والكاتب.

هذه الوظائف تشير إلى وجود تفاعل وقواسم مشتركة بين النصوص مع بعضها بعضا وهذا ما أشارت إليه كريستيفا عند قولها: النص ترحال للنصوص وتداخل نص في فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى فيه ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى[1].

[1] جوليا كريستيفا: علم النص.

الفصل الثاني

بلاغة النص وتطبيقاته

تقديم

يقدم هذا الفصل دراسة بلاغية نصية لسورة الممتحنة للتعرف على آليات التماسك فيها من خلال الربط بين علوم المناسبة والبلاغة وبين الدراسات النصية الحديثة التي أولت بلاغة النص عناية كبيرة، وصارت بديلا لبلاغة الجملة التي تعرفنا عليها من قبل من خلال علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع، وهذه العلوم ليست بعيدة عن الدراسة النصية فهي عمادها، وسوف يأتي توظيفها هنا للوقوف على بلاغة النص وانسجام بنائه.

السورة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ

عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣))

المناسبة

-التناسق بين عنوان السورة وموضوعها

سورة الممتحنة من السور المدنية، وحروفها ألف وخمسمائة وعشرة، وكلماتها ثلاثمائة وثمان وأربعون، وآياتها ثلاث عشرة، نزلت بعد سورة الأحزاب وقبل سورة النساء، وفي ترتيب المصحف تسبقها الحشر وتأتي بعدها الصف، وهو المشهور في كل كتب التفسير وأسباب النزول وعلوم القرآن.

وفي "وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، لا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء، من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[1]، وقد جاء عنوان السورة باسم الْمُمْتَحَنَةُ (بفتح الحاء) فإنه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، قال الله تعالى: (فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ) (الممتحنة:١٠)، ويقال لها الْمُمْتَحِنَةُ (بكسر الحاء) أي المختبرة، أضيف الفعل إليها مجازا، كما يقال لها سورة الامتحان لذكر الامتحان فيها، ويقال لها المودة لذكر المودة فيها؛ قال تعالى: (تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) و(تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّة)(الممتحنة:١)؛ وفي هذا يقول ابن حجر:

[1] البرهان، للزركشي ١/ ٢٧٠.

"المشهور في هذه التسمية أنها بفتح الحاء، وقد تكسر فعلى الأول هو صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها، وعلى الثاني هي صفة السورة كما قيل لبراءة: الفاضحة، وفي جمال القراء تسمى أيضا سورة الامتحان، وسورة المودة."[1]

ويدور سبب نزول السورة في كتب التفسير حول كتاب أحد أصحاب النبي إلى قريش يخبرهم سرا بأخباره إذ يروى "أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وكان كتب إلى أهل مكة يتنصُحُ لهم، فكتب إليهم أن رسول الله يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم فأطلع الله نبيه على ذلك"[2]

ويظهر من عنوان السورة دورانها حول امتحان إيمان من آمن بالله حقا؛ وفيها ثلاثة امتحانات، لذا غلب ذلك على اسم السورة؛ **الامتحان الأول**: في أول السورة بداية من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...)(الممتحنة:١)، وفي آخرها(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) وفيها تحذير من اتخاذ أعداء الله من الكافرين والمشركين أولياء من دون الله؛ لأنه قد يغلب على ظن البعض – ممن ضَعُف إيمانهم واستعجلوا السلامة الكاذبة - قدرة الكافرين على نفعهم وضُرِّهم، وتبين الآية سوء وجه وفعال الكافرين إن ظفروا بالمؤمنين، وكذلك امتحان المؤمنين في علاقاتهم بقراباتهم غير المسلمة.

أما **الامتحان الثاني**: ففيه عرض لامتحان تم من قَبْلُ لإبراهيم عليه السلام والذين معه؛ قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...)(الممتحنة: ٤)، وفي الإتيان به في هذا الموضع تسلية للمؤمنين، وتأكيدا لمنهج الله الذي ينتهي بانتصار المؤمنين، ويعرض لاستغفار إبراهيم عليه السلام مبينا أنه استغفار مشروط بالإيمان؛ فلما رأى عدم الإيمان لم يكن من جانبه استغفار؛ لأن الله منع استغفار

[1] الإتقان ١/ ١٩٥، وانظر/ بصائر ذوي التمييز ٤٦٠/١٠.

[2] أسباب النزول، للنيسابوري، ص ٤٢١.

المؤمنين للمشركين؛ وفي عرض هذا الموقف تذكير بامتحان إبراهيم وتمثيل قوي للحث على الصبر.

أما **الامتحان الثالث**: فورد صراحة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ...)(الممتحنة:١٠)، والمراد بالامتحان هنا "هو أن يحلفها أنها ما هاجرت إلا حبا لله ورسوله، ورغبة في الإسلام، وأنها لم تهاجر بحدث أحدثته، ولا لبغض زوج، ولا لرغبة في مال، ولا حبا لإنسان."[1] بأن يتأكد من استقرار الإسلام في نفوسهن، وأنهن لم يهاجرن لغرض من أغراض الدنيا.

- التناسق بين الافتتاح والخاتمة

بين الافتتاح والخاتمة في سورة الممتحنة علاقة تماسكية واضحة؛ فكأنه تبارك وتعالى يؤكد في نهاية السورة ما جاء في بدايتها؛ حيث ذكر في أول السورة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء)(الآية:١)، وفي آخر السورة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)(الآية:١٣)، وفي البنية التركيبية يعيد النداء ثم النهي عن البعد عن منهج الله تعالى؛ فوصفهم في البداية بالعدو وفي الخاتمة بالمغضوب عليهم، وهو ما يسمى في البلاغة برد الأعجاز على الصدور؛ فيكون الكلام الثاني تأكيدا للأول وتنبيها للمتلقي إلى زيادة أهميته، فقد "افتتحت هذه السورة بوصية المؤمنين على ترك موالاة أعدائهم ونهيهم عن ذلك، وأمرهم بالتبري منهم... وكثر في السورة ترداد الوصايا والعهود، وطلب الوفاء بذلك كله... فبنى السورة على طلب الوفاء افتتاحا واختتاما"[2] فافتتاح السورة بالنهي عن موالاة الكفار، وختمها به أيضا من جمال حسن الخواتيم لأنها "آخر ما يبقى على الأسماع، وينبغى تضمينها معنى تاما يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية؛ فإن الله تعالى ختم كل سورة من سوره بأحسن ختام، وأتمها بأعجب إتمام، ختاما يطابق مقصدها، ويؤدى معناها"[3]

- التناسق بين السورة وما قبلها وما بعدها في ترتيب المصحف

---

[1] تفسير السمعاني ٤١٨/٥.

[2] البرهان فى تناسب سور القرآن، للغرناطي، ص٣٣٣-٣٣٤.

[3] الطراز ١٠٤/٣.

بين الحشر والممتحنة

عن علاقة السورة بما قبلها يظهر اتصال السور الثلاث(المجادلة والحشر والممتحنة)؛ لأن خاتمة المجادلة (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (المجادلة:١٤)، إلى قوله في آخرها (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)(المجادلة:٢٢)، وفي الحشر تدور الآيات حول تولي الكافرين من قبل المنافقين في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (الحشر:١١)

ولعل السور الثلاثة في اجتماعها تحاول أن تضع صورة كاملة لعلاقة المؤمنين بالمشركين من كفار مكة من جانب، وبأهل الكتاب من جانب آخر؛ لإرساء أسس المجتمع المسلم الذي لا تتغير من حوله سوى المعالم، أما الإيمان فإن مقاييسه لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

يقول البقاعي عن هذه العلاقة بين السور الثلاث: "ولما كان قد تقدم في المجادلة النهي الشديد عن إظهار مطلق المودة للكفار، وفي الحشر الزجر العظيم عن إبطان ذلك، فتكفلت السورتان بالمنع من مصاحبة ودهم ظاهراً أو باطناً، بكَّت هنا من اتصف بالإيمان وقرَّعه ووبَّخه على السعي في مودتهم والتكلف لتحصيلها، فإن ذلك قادح في اعتقاد تفرده سبحانه بالعزة والحكمة"[1]، ويرى الرازي وجها للتناسق بين الممتحنة والحشر قبلها أنه "لما أن آخر تلك السورة يشتمل على الصفات الحميدة لحضرة الله تعالى من الوحدانية وغيرها، وأول هذه السورة مشتمل على حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات."[2]، لأن ختام الحشر يوحي وكأنه تقديم خاص لسورة الممتحنة.

بين الممتحنة والصف

---

١ نظم الدرر ١٩/٤٨٥.

٢ التفسير الكبير ٢٩/٥١٥.

ويأتي عنوان سورة الصف معبرا عن تلك القضية وهي الاصطفاف والترابط وموالاة المؤمنين دون غيرهم، فبعد أن "ذكر في سورة الممتحنة الجهاد في سبيل الله، بسطه في هذه السورة-الصف- أبلغ بسط"[1] قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)(الصف:٤)، وتبدو علاقة الصف بالممتحنة قبلها" أنها اشتملت على الحث على الجهاد والترغيب فيه، وفى ذلك تأكيد للنهى الذي تصمنته السورة السابقة من اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين."[2]، وبعد الامتحان تأتي وحدة الصف المسلم لتكون تطبيقا عمليا وتدرجا حسنا مقبولا.

- التناسق بين السورة وما قبلها وما بعدها في ترتيب النزول

ترتبط سورة الممتحنة بما قبلها في النزول وهي الأحزاب، وما بعدها في النزول وهي النساء؛ لتبين وتوضح هذا التسلسل القرآني الفريد؛ هذا التسلسل الذي يناقش قضايا الإنسان؛ فوضع في كل سورة علاجا لقضايا الإنسان وما ينفعه حتى يستقر أمره، وييسر له أمور المعاش والعبادة إذا التزم بما أُمر به ونُهي عنه وأُرشد إليه، وقد أورد الزركشي ترتيب ما نزل بالمدينة، وهو تسع وعشرون سورة؛ ومن الترتيب نزول الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء"[3]

وتقع أحداث سورة الأحزاب "فيما بين السنة الثانية والخامسة من الهجرة. وهي فترة حرجة لم يكن عود المسلمين قد اشتدّ فيها؛ إذ كانوا يتعرّضون لدسائس المنافقين واليهود. وسمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لذكر غزوة الأحزاب فيها"[4]، ولعل الترتيب التاريخي واضح بين غزوة الأحزاب التي كانت في العام الهجري الخامس وبين صلح الحديبية التي كانت في العام الهجري السادس، وتلتقي سورة الأحزاب مع الممتحنة حول التمسك بالعقيدة، فالأحزاب تدور حول التقوى والخضوع لأوامر الله تعالى، والحديث عن الكفار والمنافقين،

---

١ تناسق الدرر، ص ١٢٣.

٢ تفسير المراغي ٧٩/٢٨ .

[3] البرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤، الإتقان ١/ ٤٣.

[4] أهداف كل سورة ومقاصدها، ص ٣٠٢.

والنهي عن إيذاء النبيﷺ وهو الغرض الأعم للسورة، وهو بدوره يمهد لسورة الممتحنة التي بدأت بالنهي عن موالاة أعداء الله، ثم جاءت بعد الممتحنة سورة النساء وغرضها الأسمى هو العدل والرحمة، وقد اشتملت على عدة أغراض من هذه الأغراض ما يتفق مع سورة الممتحنة؛ ليتبين هذا التناسق القرآني البديع على مستوى النزول؛ ومن هذه الأغراض " تذكير الناس المخاطبين بأنهم من نفس واحدة، فكان هذا تمهيدا وبراعة مطلع لما في السورة من أحكام القرابة بالنسب، والمصاهرة، وما يتعلق بذلك من أحكام الأنكحة، والمواريث، فبيَّن القرابة العامة بالإجمال، ثم ذكر الأرحام، وشرع بعد ذلك في تفصيل الأحكام المتعلقة بها. وسميت سورة النساء ؛ لأنها افتتحت بذكر النساء، وبعض الأحكام المتعلقة بهن"[1]

وواضح ما بين الممتَحَنَة والنساء من اسم السورتين؛ فالممتحنة تدور تسميتها حول امتحان المهاجرات من النساء، وفي السورة حديث عن موقف النساء من الشرك وهن متزوجات من المشركين وانتقالهن إلى النبي في المدينة، والعلاقة تظهر من اسم السور؛ فالممتحنة من النساء، وليس غريبا أن تكون السورة التالية تتصل بالنساء وتناقش قضاياهن، وإذا كان قد ذكر طلاق المهاجرات في الممتحنة فقد انتقل إلى ذكر قضايا النساء في سورة النساء، ويبين هذا تدرج التشريعات والتعاليم السماوية.

وقف البحث على هذا التناسق بين الممتحنة وما قبلها وهي الحشر، ثم ما بعدها وهي الصف وقوفا إن جاز أن نطلق عليه اتصالا أفقيا، في مقابل الوقوف على العلاقة في ترتيب النزول بين الأحزاب قبلها والنساء بعدها إن جاز أن نسميه اتصالا رأسيا، وقد كان القرآن الكريم معجزا في اتصاله الأفقي والرأسي مع السور المحيطة بالسورة موضع الدراسة.

[1] تفسير المنار ٤/٢٦٤.

المبحث الأول: التناسق بين أجزاء السورة ومقاطعها

تنقسم السورة إلى خمسة مقاطع متناسبة طولا وقصرا حسب التناسق بين أجزائها للتعبير عن فكرة السورة التي تظهر من خلال آياتها مجتمعة، وهذا التدرج بين مقاطعها لتأكيد غرض النص الأسمى وهو النهي عن مولاة أعدائه تعالى، ومقاطع السورة تتماسك وتتناسق فتكون فيما بينها إما تفصيلا لما أُجمل في مقطع آخر، أو كالدليل له أو البرهان، أو بينه وبين المقطع الآخر، كما بين السبب والنتيجة أو التكميل والتوضيح أو التعجب والإنكار أو التعليل أو التأكيد أو غير ذلك، وآثرت هنا أن أقسم السورة حسب الموضوعات وأن أعنون لكل مقطع بما يدور داخله، ثم أعقب على العلاقة والدواعي البلاغية المؤدية إلى التماسك والتناسق بين المقاطع؛ وقد جاءت مقاطع السورة كالتالى:

المطلب الأول: العقيدة والنهي عن المولاة (الآيات:١-٣)

يبدأ المقطع الأول بالتنبيه على الاستمساك بالعقيدة الصحيحة، ونبذ ما دونها إرضاء لله تعالى بالحجة والبرهان، فمن توادونهم يكفرون بالله تعالى وودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء؛ قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٣)

تبدأ السورة بالنداء مقرونا بذكر صفة الإيمان دون غيرها معاتبة ولفتا للانتباه إلى ما يجب أن يكون عليه المؤمن الحق، وهذا ليس غريبا على أسلوب القرآن الكريم، فقد تكرر مثل هذا الوصف في سورة الصف، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف: ٢) وهو أسلوب من أساليب التأثير وإمالة النفوس إلى سماع ما يلي هذا النداء من عظيم أهمية، والجملة الأولى أول ما ينطق به المتكلم في تواصله مع المتلقي، ويجب أن تكون

دلالتها كاشفة ومشيرة إلى موضوعه، فهي مفتاح النص، ومنطلقه الذي تتناسل بنيته من خلالها، لهذا تعد ذات أثر واضح في تحديد موضوع النص أو الخطاب.[1]

وقوله:(لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء....) حتى آخر الآية، فقد أعقب النداء بالنهي عن موالاة أعداء الله، مبينا الموالاة بالمودة والمحبة، وذاكرا سبب نفي المودة وأسباب عدم الموالاة، وهو كفرهم بما جاء من الحق، وفي قوله: (بما جاءكم من الحق) مشاركة في منهج الحق، فالأولى حرصكم على هذا المنهج الذي عرفتم وأيقنتم صدقه ونفعه لكم.

وأسباب عدم المولاة عقلا؛ إنما هي كفرهم بما جاءكم من الحق قولا، وإخراج الرسول والمؤمنين معه فعلا، وقال: (وإياكم) للتذكير بأفعالهم رفض قرابتهم أولا فلم يمنعهم من إخراجكم صلات القرابة والرحم بل بادروا بالفعل وأقدموا عليه؛ لأنهم كرهوا أن ترغبوا عن دينهم، فهل هم حريصون على باطلهم أكثر من حرصكم على الحق؛ والرغبة عن الدين أمر يدعو إلى الرفض والغرابة عند معتنقي الأديان صحيحة أو باطلة، فقد استنكر والد إبراهيم رغبته عن عبادة آلهتهم؛ قال تعالى: (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)(مريم: ٤٦)، وفي قوله تعالى: (أن تؤمنوا بالله ربكم) أي: بسبب إيمانكم بالله سوف تحاك لكم المؤامرات وتحاربوا، فجاء الشرط للتعليل، ويحمل الشرط عموما التردد، وناسب أن يأتي بالشرط في هذا المقام دون بقية الأدوات؛ إظهارا لموقف حاطب بن أبي بلتعة، وهذه النفس التي تحاول الإبقاء على مودة الكافرين ظنا أن لديهم ما يقدمونه من نفع أو ضر، "وهذا مقام يستعمل في مثله الشرط بمنزلة التتميم لما قبله دون قصد تعليق ما قبله بمضمون فعل الشرط، أي لا يقصد أنه إذا انتفى فعل الشرط انتفى ما علق عليه كما هو الشأن في الشروط. بل يقصد تأكيد الكلام الذي قبله بمضمون فعل الشرط فيكون كالتعليل لما قبله، وإنما يؤتى به في صورة الشرط مع ثقة المتكلم بحصول مضمون فعل الشرط بحيث لا يتوقع من السامع أن يحصل منه غير مضمون فعل الشرط"[2]؛ لأن السامع على ثقة بحصول الشرط، ولكن سبب

---

[1] العلاقات النصية في لغة القرآن، ص ١١٣.

[2] التحرير والتنوير ١٣٦/٢٨.

المجيء به ما يحمله من التردد في نفوس من يعتقدون وجود أسباب القطيعة مع المشركين غير أنهم آمنوا بالله وأتمروا بأوامره، ويظهر الترابط بين النهي عن اتخاذ أعداء الله أولياء، وبين الشرط في قوله تعالى : (إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة)، كيف يكون منكم إيمان قولا وعملا، فإن كنتم خرجتم في سبيلي فلا يقبل منكم اتخاذهم أولياء؛ وكأن هذه علامة لتلك.

وقوله: (وإِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ) "متعلق بلا تتخذوا، يعنى: لا تتولوا أعدائى إن كنتم أولياىٔ"[1] ، وقال أولا: (تلقون) وصفا لأحوال نفوسهم من شدة التعلق بموالاتهم، وبيان مقدار التقارب، "والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم"[2] ، فجعل ما ارسله حاطب من خطاب لأهل مكة بمثابة إلقاء المودة، ثم قال ثانيا: (تسرون) تنبيها وإشارة إلى فعل حاطب إذ أسر بكتابه إلى أهل مكة؛ فالأول: غاية التقارب، والثاني: وسيلته.

وختم الآية بالتوبيخ والتحذير بأسلوب الشرط؛ قال تعالى: (وَمَن يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السبيل) والترابط مع ما قبلها جاءت تذييلا لما سبق التحذير والنهي عنه مع وضوح أسبابه. وقوله: (ومن يفعله منكم) "يجوز أن تكون الكناية راجعة إلى الإسرار، وإلى الإلقاء، وإلى اتخاذ الكفار أولياء، لما أن هذه الأفعال مذكورة من قبل"[3] ، والإحالة هنا بالضمير إلى ما سبق تفيد تماسك أجزاء النص وترابطه، خاصة وأن الهاء لا يفهم تحديدا عودتها إلى فعل محدد، إلا من خلال السياق وحملها على النهي عن الموالاة عامة أولى.

ثم تلا هذا التوبيخ بذكر ما يمنع من الموالاة لهؤلاء الذين لا عهد لهم ولا ذمة؛ فقال: (إن يثقفوكم...) على طريقة السلم الحجاجي في عملية الإقناع عدد هنا ثلاث جمل معطوفات تبين أن ما كان من مودة بينكم وبينهم ليس في محله؛ لأنهم لن ينسوا لكم ترك دينهم والدعوة إلى غيره بل ومحاربتكم لدينهم؛ فيكون منهم إذا ظفروا بكم:

١ -العداوة ٢- السوء باليد واللسان ٣- تمني الكفر بربكم.

---

[1] الكشاف ٥١٢/٤.

[2] مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٤٦٦/٣.

[3] التفسير الكبير ٥١٧/٢٩.

ثم جاءت الآية الثالثة؛ على سبيل الخاص بعد العام؛ فبعد النهي عن موالاة أعداء الله عموما بينت الآية هنا عدم موالاة القرابة غير المسلمة لعدم نفعها في الدنيا والآخرة، فبعد النداء في أو السورة والنهي الواضح عن موالاة المشركين، لما تقدم من الأسباب والبراهين على سوء نواياهم تجاه المؤمنين، وختم المقطع بأنهم لن يتورعوا عن عداوتهم لكم الظاهرة والباطنة، انتقل إلى الحديث عما يهم الإنسان من القرابات والرحم؛ لأن الإنسان عليها أحرص؛ لتبين الآيات أن القرابة لا تبذل إلا لمن أرضى الله ورضي الله تعالى عنه؛ قال تعالى: (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(٣) الآية تعليق على ما ذكر قبلها؛ وسواء كانت خاصة بحاطب بن أبي بلتعة أو عامة في نفي موالاة المشركين، فإن الآية تؤكد على أن من يفعل لأجل قرابة دون مرضاة الله لن يلحقه من جراء تلك الأفعال إلا الخزي في الدنيا والعقاب في الآخرة، وهذه الآية لما قبلها؛ كالنتيجة للسبب قبلها؛ فقد "خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أوّلا، ثم بما يرجع إلى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا، ليريهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت فيه وجدته باطلا."[1]

وقدم الأرحام على الأولاد من تقديم العام على الخاص، فالرحم أعم من الولد، وفي التقديم نوع من التدرج في المحبة والود، وفي قوله: (يوم القيامة يفصل بينكم) يحمل الفصل هنا معنيين إذ" يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم، أو من الفصل بمعنى التفريق، أي يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة"[2]، وفي الآية ضرب من التعلق والابتداء الذي يجدد المعنى، ويضفي على السياق مزية التنوع في الأسلوب؛ ففي قوله تعالى:" (يوم القيامة) يجوز أن يتعلق بما قبله؛ أي: لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة فيوقف عليه، ثم يبدأ بقوله: (يفصل بينكم). وقد يتعلق بما بعده، فيكون التركيب بأن يبتدئ بقوله:(يوم القيامة يفصل بينكم)، فيقف على قوله:(أولادكم)، والوجه الأول: يفيد عدم نفع الأرحام أو الأولاد مطلقا؛ بدليل قوله تعالى: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ

[1] الكشاف ٤/٥١٣.

[2] التسهيل ٢/ ٣٦٥.

يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) (عبس:٣٤- ٣٧)، أما الوجه الثاني ففي ذكر يوم القيامة بعد قوله: لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) فيه تقييد بيوم القيامة؛ وفيه الجزاء الأكبر، وهو" استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذ؛ أي: يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر"[1]، وهو ما يفهم مما ذكر في آية الفرار آنفا.

وفي قوله:(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يأتي إبراز الاسم الجليل إظهارا للمهابة في موضع الخبرة والبصر بصنيعهم، وإن ظنوا أنهم أخفوه فالله يعلمه ويجازيهم عليه. وفي "تقديم الجار في مثل هذا للتنبه على مزيد الاعتناء بعلم ذلك لا على الاختصاص ولا لأجل الفواصل"[2]، مع أن الفاصلة هنا كان الأولى لها أن يؤخر تركيب (بما تعملون)؛ ليكون ختام الفاصلة (والله بصير بما تعملون)؛ ليوافق قوله في الآية السابقة: (وودوا لو تكفرون)، ولكن فائدة التقديم أولى من التأخير للفاصلة، وهنا إشارة إلى أن التقديم والتأخير ليس من أغراضه رعاية الفاصلة مطلقا، وإنما حاجة المقام والسياق هما الأولى بالرعاية.

المطلب الثاني: الاقتداء في الامتحان(٤-٦)

هذا المقطع يقوم كالدليل أو البرهان على أن المؤمن ينبغي عليه أن يصمد فى وجه أعداء الله، ويقدم هذا المقطع بطريقة ضرب المثل وهي طريقة تعبيرية مثيرة ومؤثرة في العملية الإقناعية، لما فيها من توظيف الاستعارة التمثيلية لحدث قديم مسلم لدى السامع ومقبول أشد القبول؛ فيستدعي عرضَه مرة أخرى ليوافق هذه الحالة الجديدة؛ كما لا ينكر ما في ضرب المثل من التسلية والحث على التأسي خاصة في هذا المثل الذي ضُرب لهم عن إبراهيم عليه السلام وما فعله في هذا الموقف، ولا يخفى ما بين الموقفين من مشابهة، ونتيجة ذلك أن إبراهيم عليه السلام ومن معه قدَّم مراد الله وطاعته على محاباة قومه؛ وفيه حث على طاعة الرسول ﷺ أسوة بنبي الله إبراهيم؛ قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

[1] روح البيان ٤٧٦/٩.

[2] نظم الدرر ١٩/ ٤٩٦.

الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) قَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)

وبين هذه الآيات وما قبلها ترابط من جهة أنه "لما نهى عن موالاة الكفار، ذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن من سيرته التبرؤ من الكفار؛ ليقتدوا به في ذلك ويتأسوا."[1]

وفي الآيات الثلاث ملامح الترابط بين أجزائها؛ فقد بدأ الآية الأولى؛ بقوله: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ)، ثم ختم الآيات بقوله: (قَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) فتكرار الحرف (قد) لتأكيد الخبر مع التأكيد على (الأسوة الحسنة) أحدث ترابطا عجيبا، كما أشار إلى وجوب التأسي، وإن لم يؤمر به، وكأن الخبر يحمل في طياته الأمر، "ولما كان الناس متفاوتون في قبول الوعظ أعاد ذكر التأسية تأكيداً لها على وجه بلغ الذروة من جمال الترغيب وجلال الترهيب، وقال مصدراً بما دل على القسم إشارة إلى أن من فعل غير هذا كان فعله فعل منكر لحسن هذا التأسي."[2]

ولما حثهم على التأسي بإبراهيم عليه السلام والذين معه أعقب ذلك بتفصيل ما أجمله في قوله: (أسوة حسنة) بذكر البراءة من موالاة المشركين، ولخشية قولهم إن إبراهيم قد استغفر لأبيه استثنى هذا الاستغفار وبين أن ما حدث من إبراهيم كان لموعدة كما ذكر في موضع سورة التوبة: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (الآية:١١٤)، فانتفاء الجواب يكون بانتفاء الشرط كما هو معلوم، وعقّب ذلك بذكر التبرؤ والدعاء، قال تعالى: (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ

[1] البحر المحيط ١٠/١٥٤.

[2] نظم الدرر ١٩/ ٥٠٣.

الْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الآيتان ٤ ، ٥)

وجاء كلام إبراهيم عليه السلام مذيلا بالدعاء مرتبطا بالربوبية في قوله:(ربنا) ثلاث مرات تضرعا ومبالغة في إصلاح شأنه وتكفله بالرعاية والتوفيق، واختص بالدعاء؛ التوكل، ومنع الفتنة، وتمام الغفران.

وقوله: (إنك أنت العزيز الحكيم) فقد ختم الآية بالعزة والغلبة والحكمة؛ للمناسبة المعنوية بين العزة وبين منع الفتن، وما بين الحكمة والغفران وتقدير الأمور، وفي الآية الثالثة يؤكد على ضرورة التأسي السابق ذكره "ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى: (لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) بدل من لكم فائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم، وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى:(وَمِنَ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الغنى الحميد)"[1]، وختم الآية بالشرط لإفادة التحذير من عواقب إهمال التأسي وعدم الإجابة، فإن من يستغنِ يستغنِ الله عنه.

المطلب الثالث: التوسط بالعدالة والبر(٧- ٩)

هذا المقطع موضحا ومحددا بدقة حدود العلاقة بين المسلم وغيره، وتفصيل لكلمة العدو التي أجملت في المقطع الأول، وفيه طمأنة للمسلمين ووعد بقرب التواد والتصافي مع قراباتهم وبشارة بإسلامهم، وفيه وصف شامل لمن ينهى عن موتهم والتقارب معهم، قال تعالى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٩)

وقد جاءت الآية السابعة في السورة لتتوسط عقد السورة الكريمة، فيسبقها ست آيات ويعقبها ست آيات أخرى، وقد أشارت الآية رغم إيجازها إلى عدة أمور؛ منها:

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٨/ ٢٣٨.

- البدء بقوله: (عسى الله) وليست عسى هنا للرجاء، وإنما لتحقق وقوع الأمر والطمع في حدوثه.

- إنصاف الآية للعلاقات مع القرابات غير المسلِمة، ثم البشارة بإسلام أهل مكة.

- وضع قواعد العلاقة مع غير المسلمين بدقة متناهية تتجلى فيها العدالة والإنصاف دون خضوع ومسكنة، وهما خصلتان واضحتان: البر والقسط، وربما كانتا ردا على بعض المسلمين الذين أظهروا العداوة لأرحامهم بعد نزول آيات التأسي بإبراهيم كما ذكر غير واحد من المفسرين.

وتنكير لفظ المودة؛ ليناسب قوله: (عسى الله أن يجعل...) للاستقبال، فلا تعرف نوعية هذه المودة وسبيلها لذلك نُكِّرت، وجاء ختام الآية بالإخبار عن قدرته سبحانه وغفرانه ورحمته؛ ليناسب أول الآية.

ثم ينتقل إلى توضيح العلاقة في المعاملات مع غير المسلمين، على طريقة المقابلة للتوضيح والتبيين؛ فقال: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(٨)

وفيها أمور:

- بيان القيمة من النهي وتوجيهه التوجيه الصحيح، ثم بيان الشروط وهي: عدم القتال في الدين- والإخراج من الديار.

- الأمر بالبر والقسط مع غير المسلمين؛ والبر: "التوسع في فعل الخيرات"[١]، والقسط: "النصيب بالعدل"[٢].

- وقد يعود البر إلى عدم القتال في الدين، ويعود القسط إلى عدم الإخراج من الديار على طريقة اللف والنشر.

---

[١] المفردات (مادة: برَّ).

[٢] المفردات (مادة: قسط).

– تكرار القسط للتأكيد عليه، لأنه عَماد العلاقة بين الناس (وتقسطوا- المقسطين).

ثم يقابل بين ما جاء في الآية الثامنة و الآية التاسعة على الترتيب، ليؤكد على معنى النهي، ويظهر الربط والتماسك بين الآيتين، فمدار الأمر فيها التكرار بالمخالفة لإبراز المعنى وزيادة وضوحه، قال تعالى: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٩)

لا ينهاكم ـ إنما ينهاكم

لم يقاتلوكم في الدين ـ قاتلوكم في الدين

لم يخرجوكم من دياركم ـ أخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم.

المقسطين ـ الظالمين

المطلب الرابع: الامتحان والمبايعة (الآيات:١٠- ١٢)

وعلاقة الامتحان بالمبايعة علاقة سبب بنتيجة، فبعد الامتحان جاءت المبايعة في الترتيب الزمني، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)

تعد هذه الآيات الثلاث من أبرز محاور السورة؛ فالسورة باسم الممتَحَنة (بفتح التاء والحاء)، وهي المرأة المهاجرة، فقد سميت السورة جميعها رغم ما فيها من محاور أخرى بهذا الاسم ، ولذكر الامتحان فيها، والواضح أن سياق السورة من البدء إلى الختام يؤكد على النهي عن موالاة الكفار ليس ببعيد عن هذا الجزء بل يعد تمهيدا وافيا للحديث عن قضية مهمة من قضايا المولاة وهي الزوجية والمعاشرة والعلاقة الأسرية وبنائها المستقبلي، في ضوء

أوامر الله ونواهيه، تبدأ الآيات بالنداء على المؤمنين كما في أول السورة، وهذا النداء يحدث تماسكا ملحوظا بين البدء والغرض المحوري للسورة ثم ختم السورة بذات النداء.

تقول الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)

بعد النداء يأتي تقييد الجملة بالشرط، ويتعاقب في الآية شرطان مختلفان فى وظيفة الأداة؛ قال تعالى في الشرط الأول المبدوء بـ(إذا) قال تعالى: (إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ) وإذا تفيد القطع بالوقوع؛ فإذا تحققت هجرتهن وهذا مقطوع بحدوثه، فالجزاء الامتحان وصيغته التي ذكرها غير واحد من المفسرين وخلاصتها الهجرة للعقيدة ليس إلا. "ولما كان في علمه سبحانه وتعالى أنه يأتيهم نساء يهرين بدينهن إلى الله، بشرهم بذلك بالتعبير بأداة التحقيق إذا."[1] ثم الشرط الثاني المبدوء بـ(إن) والذي يعد جزءا من سلسلة الشرط الأولى، لكن لو نظرنا إليه منفردا يظهر تصدير الشرط بـ(إن) التي لا تفيد القطع بوقوع الشرط؛ قال تعالى: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ). والعلم بإيمانهن وهو إخلاص النية لله غير مقطوع بوقوعه، لما يظهر من الاعتراض في قوله تعالى: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ)، ومناط الاعتراض كما يقول ابن عطية " إشارة إلى الاسترابة ببعضهن وحض على امتحانهن"[2]، وفائدة الاعتراض "بيان أن لا سبيل إلى ما تطمئن به النفس من الإحاطة بحقيقة إيمانهن، فإن ذلك مما استأثر به علام الغيوب."[3] ثم أتبع النداء والشرط بعدة أساليب إنشائية مرتكزة في تماسكها على أسلوبي الأمر والنهي لتصبح الآية من أولها إلى آخرها سلسلة من الأساليب الإنشائية بدأ بالنداء ثم الشرط ثم النهي ثم الأمر ليوافق ذلك مقصد الآية من الإنصاف عن وقوع الامتحان ثم ما يتبعه من شرائع ونظم.

---

[1] نظم الدرر ١٩/ ٥١٢.

[2] المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٧.

[3] التفسير الكبير ٢٩/٥٢٢

وقوله: (فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) –النهي عن الرجوع وأسبابه، وقوله: (لا هن حل لهم ولاهم يحلون لهن) لأن عدم حدوث المقابلة يفهم معنى غير المعنى المقصود، فالاقتصار على عدم حل النساء للرجال يفتح باب فهم العكس، فآثر النظم بيان المقابلة تأكيدا للأمر؛ لأنه "لما كان نفي الحل الثابت غير مانع من تجدد حل الرجال لهن ولو على تقدير من التقادير وفرض من الفروض، قال معيداً لذلك ومؤكداً لقطع العلاقة من كل جانب: (ولا هم يحلون لهن)".[1]

وقوله:(وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)- الأمر بالنفقة ومنظماتها، وقوله: (وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)- النهي عن التمسك بالزوجات الكافرات رغبة فيهن مع رغبتهن عن الإسلام. كما ورد "نهي من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان، وأمر لهم بفراقهنّ."[2]

وقوله: (وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ) الأمر بسؤال مهور الكوافر العائدات إلى الكفار، (وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا) ولهم الحق في سؤال مهور المهاجرات، وجاء بصيغة الأمر إشعارا بالقسط والعدالة، -(ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ثم ختم الآية بالتعظيم، ونسبة الحكم إليه جلالا وترغيبا فيه ثم وافق الختام في قوله: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ما جاء في صدر الآية من أوامر ونواه، وهنا "يربط هذه الأحكام كلها بالضمانة الكبرى في ضمير المؤمن. ضمانة الرقابة الإلهية وخشية الله وتقواه"[3]

ثم تبدأ الآية الثانية بالشرط، وكأنها تكملة لسلسة خطاب للمؤمنين كما في الآية السابقة المبدوءة بـ(يا أيها الذين آمنوا)، فقال تعالى: (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْواجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا) تبدو العدالة ظاهرة في رد الحقوق، ويتضح من سياق الآية تكميل الآية السابقة، وربط الشرط بين أجزاء الآية، ونكر لفظ شيء للتقليل، يعني ولو قدرا يسيرا، وقيدت الآية العطاء بالغنيمة أو من الغنيمة، وختمت الآية كما ختمت

---

[1] نظم الدرر ١٩/ ٥١٧.

[2] جامع البيان، للطبري ٣٣١/٢٣

[3] في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٤٧.

السابقة بأن المطلع على هذه الحقوق هو الله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)، وجاءت الخاتمة مشتملة على الأمر للنصح والإرشاد، مع إظهار لفظ الجلالة تفخيما، ثم الاسم الموصول وصلته الجملة الإسمية التي جاءت للوصف وبيان ما هم عليه من الإيمان.

وفي الآية الثالثة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) انصرف الخطاب في هذه الآية إلى النبي ﷺ؛ لأن المبايعة لا يشاركه فيها أحد، كما أن الخطاب خاص بهذه الواقعة، وقد بدأت الآية بالنداء يعقبه الشرط بالأداة (إذا) لإفادة تحقق المبايعة، وجاءت المبايعة على سبيل الإجمال ثم فصلت بسلسلة من النواهي على الترتيب بعدم (الشرك، والسرقة، والزنا، والقتل، والبهتان، والعصيان)، وهذه هي القيم التي يدعو إليها الإسلام، وتنقب عنها العقيدة، فإذا حدث ذلك وهو قبولهن المبايعة فبايعهن وزاد واستغفر لهن الله، ثم ختمت الآية بلازم الفائدة وما عرف من صفات الله، واحتياج المقام إلى المغفرة والرحمة؛ فقال مؤكدا: (إن الله غفور رحيم)، وفي هذا تعريض بالعفو عما سلف؛ فالمبايعة تجبُّ ما قبلها.

المطلب الخامس: العقيدة والنهي عن الموالاة مرة أخرى (الآية:١٣)

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

ختمت السورة بما بُدأت به من النهي عن موالاة غير المسلمين؛ فقد بدأت من قبل بقوله: (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)وختمت بـ(لا تتولوا قوما غضب الله عليهم)؛ فجاء في البداية بلفظ الولاية اسما وختم السورة بلفظ الولاية فعلا مضارعا؛ ففي البدء نفى اتخاذ الأعداء أولياء ليفيد ثبوت الحكم، أما في الخاتمة وهي ما سوف تظل باقية في عقل السامع ووعيه؛ فجاء بالفعل دلالة على تجدد النهي عن المولاة أبدا، وليؤكد النهي الأول.

وفي ختام السورة تأخذنا ألفاظها إلى إشراك اليهود خاصة في عدم الموالاة، لما عرف من نعتهم في القرآن الكريم بالمغضوب عليهم؛ قال تعالى: (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) مع أن سياق نزول السورة يشير إلى أن جميع آيات السورة تخاطب علاقة المسلمين بأرحامهم وقراباتهم في مكة وإن جاز أن نعمم سياق الآيات؛ لأنها تصلح في تنظيم العلاقات كافة، ورأي بعض المفسرين أن الآية الأخيرة تخص اليهود؛ لما فيها من الصفة الغالبة عليهم؛ "وذلك

أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأمر المسلمين، يتواصلون إليهم بذلك، فيصيبون من ثمارهم وطعامهم وشرابهم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك"[1]، وإذا ذكرت العداوة والنهي عن الموالاة ذُكر اليهود والمشركون؛ قال تعالى: (تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) (المائدة:٨٠ – ٨٢)، وقوله:"(قد يئسوا من الآخرة) أي: من نعيم الآخرة، يعني: اليهود زعموا أن لا أكل فيها ولا شرب، قد يئسوا من ذلك؛ كما يئس من مات من الكفار من الجنة حين عاينوا النار."[2] ويظهر من خلال عرض مقاطع السورة وعلاقاتها المتداخلة والمتدرجة وكثرة الوقائع دور في بلاغة النص وحسن تماسكه ليفضي إلى غرضه الذي يرمي إليه خاصة أن "تعالق الوقائع من عوامل الربط في النص"[3]

[1] بحر العلوم ٣/٤٤١.

[2] تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين ٤/٣٨١.

٣ انظر/ علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص٥٣.

المبحث الثاني:
تنوع الجمل وأثره على تماسك نظم السورة
الجملة الطلبية والجملة الشرطية

يودي اختيار جمل بعينها في النص إلى البحث وراء هذا الاختيار وما يؤديه من دور في تماسك النص ووحدة نسقه، وفي هذا المبحث تعرض الدراسة للجملتين؛ الطلبية والشرطية مع بيان ما أدَّتاه من دور في هذا التماسك:

المطلب الأول : الجملة الطلبية

اعتمد نظم سورة الممتحنة على الجملة الطلبية لما بين الطلب كطريقة للحث على الفعل والإقبال عليه؛ أمرا أو نهيا أو نداء أو غير ذلك، وبين نسق السورة الذي يؤسس لقضية الولاء لله تعالى والتزام أوامره ونواهيه، والبراء من المشركين والكفار ومن تولاهم؛ فكان لموضوع السورة اعتماد على هذه الأساليب؛ لإحداث التماسك وتحصيل المراد من النظم.

ويظهر ووضوح الجملة الطلبية عند توظيفها في سياق النص بينها وبين ما يجاورها من صلات الترابط والانسجام الذي يظهر بدوره النص مكتملا في أكمل صوره ومقاصده، وإذا كانت الجملة الطلبية قد درست في البلاغة العربية من قبل بمعزل عن السياق الواردة فيه، فإن البلاغة كان الأولى لها أن تركز على الغرض العام للنص بدلا من الوقوف على الغرض الخاص للآية الوارد فيها الطلب؛ أما عند دراسة النص كاملا فإن لهذه الجملة دلالات إفهامية وتواصلية وتنبيهيه لا تعطيها منفردة دون النظر إلى السياق والنص.

ومن هذه الأساليب:

أولا: جملة النداء

إذا كان النداء هو طلب الإقبال في دلالته اللغوية؛ فإن دلالته في النص هي الانتباه إلى ما يطلب أو يُخبر عنه، ودائما ما يلي النداء في القرآن قضايا تحتاج إلى الاهتمام بها أكثر من غيرها، وحظيت سورة الممتحنة بأربعة جمل ندائية تصدرها تركيب النداء (يا أيها) تمهيدا للحديث عن الأسس التي قام بناء السورة عليها، فجاء ارتكاز النداء في أولها وفي آخرها،

ونلحظ أن بين الاستهلال والختام ترابط لفظي ومعنوي؛ اللفظي من جهة : النهي عن ولاية من نهى الله عن توليه، ومعنوي من جهة: تغيير التركيب المعبر به، أما النداء الثالث: فاتجه إلى غرض السورة الذي كان سببا في عنوانها وهو امتحان المهاجرات من المؤمنات، أما النداء الرابع: فكان للنبي ﷺ يعلمه فيها شروط مبايعة المؤمنات.

في أربعة مواضع بصيغة(يا أيها):

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)(١)
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ)(١٠)
- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ... فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ)(١٢)
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)(١٣)

جملة النداء والإحالة بين الإيجاز وتماسك النص

بدأت السورة بالنداء الأول (يا أيها الذين آمنوا) ثم تلا هذا النداء عدة إحالات متتالية لخطاب هؤلاء المؤمنين أحدثت نوعا من التماسك كما أسهمت في إيجاز النص وبلاغته، مرتبة كالآتي: (تتخذوا- عدوكم- تلقون- جاءكم- إياكم- تؤمنوا- ربكم- خرجتم- تسرون- أخفيتم- أعلنتم- منكم-يثقفوكم- لكم-إليكم- تكفرون- تنفعكم- أموالكم- أولادكم- بينكم- تعملون- لكم-لكم- بينكم- عاديتم- لا ينهاكم- لم يقاتلوكم- لم يخرجوكم- تبروهم- وتقسطوا- إنما ينهاكم- قاتلوكم- أخرجوكم- إخراجكم- تولوهم.

ثم يتجدد النداء مرة أخرى لبعد المسافة بين هذا الموضع والنداء الأول من جهة، والتباين بين التكليفين، ولخصوصية هذا الموضع وفضل عناية وتنبيه بهذه القضية وهي امتحان المؤمنات؛ فقال تعالى في النداء الثاني بالصيغة نفسها (يا أيها الذين آمنوا) ثم تبع النداء عدد من الإحالات وجاءت كالآتي: (جاءكم- فامتحنوهن- علمتموهن- ترجعوهن- آتوهم- عليكم- تنكحوهن-آتيتموهن-تمسكوا-ما أنفقتم-بينكم-فاتكم- أزواجكم- فعاقبتم- فآتوا- اتقوا – أنتم)

ولما كانت المبايعة خاصة برسول الله -ﷺ- عدل إلى نداء النبي؛ فقال في النداء الثالث: (يا أيها النبي) أردف عدة إحالات تعود على المخاطب وهو رسول الله ﷺ كالآتي: (جاءك- يبايعنك- ولا يعصينك- فبايعهن- واستغفر)، وفي آخر السورة يأتي النداء الرابع ويعود النداء فيها إلى المؤمنين بصيغة الإيمان مرة أخرى لأن الحديث خاص بهم (يا أيها الذين آمنوا) ويحيل إليه مرة واحدة في قوله:(لا تتولوا)

وتظهر الإحالة النصية التي تتخذ من المنادى في جملة النداء عنصرا رئيسا تحيل إليه كل أوامر النص ونواهيه، ولها دور في إثبات تماسك النص وتجانسه؛ لأن "النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص"[1]، كما أن الإحالة مبدأ من مبادي الإيجاز الذي تدعوا إليه البلاغة في الجملة أو النص على حد سواء، وتشير الإحالة إلى "مبدأ الاقتصاد والثبات المعنوي؛ لأن استخدام الإحالة بألفاظها الكنائية التي توصف بالاختصار عما تحيل إليه، إنما هو من قبيل مبدأ الاختصار والإيجاز والتكثيف"[2]

كما ورد النداء في ثلاثة مواضع (ربنا) بحذف الأداة:

وفي ثلاثة مواضع أخر حذفت أداة النداء (يا) للتعبير عن القرب بين العبد وربه؛ في قوله تعالى: (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٥) وهذه المواضع لها دور الربط بين أجزاء السورة، حتى أن المفسرين منهم من يرى أن هذا الدعاء يمس المؤمنين الذين يخاطبهم الله تعالى ممن نزلت فيهم هذه الآيات[3]، ومن المفسرين من يرى هذا النداء من مقول إبراهيم عليه السلام والذين معه[4]، أي جاء تذييلا لكلامهم، وهذا الفهم في نسبة هذا الجزء من السورة؛ إنما يشير إلى تمام

---

[1] لسانيات النص، محمد خطابي ص ٢٣.

[2] الإحالة في نحو النص، د. أحمد عفيفي، ص ٨.

[3] انظر/ التفسير الكبير ٥٢٠/٢٩.

[4] انظر/ الجامع لأحكام القرآن ٥٧/١٨.

تماسكها ووحدة نسقها. والملاحظ أن قوله: (ربنا) في الموضع الثالث جاءت تأكيدا لفظيا للموضعين السابقين.

ثانيا: جملة الأمر

ورد الأمر في السورة في تسعة مواضع؛ في قوله:(وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(٥)، وقوله: (فَامْتَحِنُوهُنَّ... وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا... وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا)(١٠)، وقوله: (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)(١١)، وقوله: (فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ)(١٣)

والملاحظ توزع الأمر بين الدعاء، وبين التشريع في شأن المؤمنات الممتحنات، ثم الأمر بمبايعة المؤمنات المهاجرات والحث على الاستغفار لهن، فقد أُمر سول الله بالاستغفار للنساء المبايعات ونهي عن الاستغفار للمشركين.

ثالثا: جملة النهي

ورد النهي في السورة الكريمة خمس مرات في قوله: (لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)(١)، وقوله: (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)(٥)، وقوله: (فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ... وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)(١٠)، وقوله: (لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)(١٣)

جاء النهي موزعا على السورة؛ فافتتحت به وختمت به بعد النداء، وإنه "لما فتح هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء، ختمها بمثل ذلك تأكيدا لترك موالاتهم وتنفير المسلمين عن توليهم وإلقاء المودة إليهم."[١]، كما جاء النهي مرادا به الدعاء، دليلا على شدة التمسك بمنهج الله تعالى في السورة، وهو عدم موالاة الكافرين؛ لأن طلب عدم الجعل فتنة للكافرين، يحمل معنى عدم الموالاة، وجاء النهي أيضا عن رجوع المؤمنات إلى الكفار في مقابل النهي عن التمسك بالنساء الكوافر.

رابعا: جملة التمني

[١] البحر المحيط ١٠/١٦١.

ورد في السورة التمني بعسى وهو: "تفيد رجاء حصول ما بعدها، فإذا صدرت من الله فما بعدها واجب الوقوع"[1]، في قوله تعالى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٧)

وقد صدرت الآية بـ(عَسَى اللَّهُ) فهي واجبة الوقوع، وختمت بـ (وَاللَّهُ قَدِيرٌ). وهذه الآية هي واسطة العقد فقد تقدمها ست آيات وتلاها ست آيات، وهي تحمل في سياقها الوسطية المادية والمعنوية؛ ففي الوقت الذي ينهى عز وجل عن موالاة أعدائه في أول السورة، ومن غضب عليهم في آخره؛ تتوسط هذه الآية لتشير إلى أسلوب المعاملة مع القرابة المشركة وتحمل البشرى بقدرة الله تعالى في الجمع بين من أحب الله فسبق بالإيمان وبين من سيأتي بعدهم، يقول البيضاوي: "لما نزل (لاَ تَتَّخِذُوا) عادى المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤوا عنهم، فوعدهم الله بذلك وأنجز إذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء."[2]

المطلب الثاني: الجملة الشرطية

الربط بين الجمل تمهيد للربط بين أجزاء النص، فلا يخلو نص من جزئيات، فبالترابط بين هذه الجزئيات تكمل وحدة نسق النص وتماسكه، والشرط من أهم النماذج التي توضح اتصال الجمل بعضها ببعض، فتؤدي الجملة الشرطية دورا في ترابط الجمل وتماسكها حيث "يدخل حرف الشرط على جملتين فعليتين، فيربط إحداهما بالأخرى، فتصيران كالجملة الواحدة، فتقول: قام زيد، خرج مُحَمَّد، فهاتان جملتان متباينتان، لا تعلق لإحداهما بالأخرى، فإذا أتيت بـ "إن" الشرطية، فقلت: إن قام زيد خرج مُحَمَّد، ارتبطت الجملتان، وتعلقت إحداهما بالأخرى، حتى لو ذكرت إحدى الجملتين منفردة لم تفد، ولم تكن كلاما."[3] كما أن

---

[1] تفسير المراغي ٦٨/٢٨.

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٠٥/٥.

٣ شرح المفصل ١/ ٢٤١.

لأسلوب الشرط طريقة في التأثير والإقناع كما يرى علماء التداولية حيث يذكرونه ضمن الفعل التأثيري، إذ غالبا ما يرتبط التأثير بجملة الجواب، وكثيرا ما يكمن الغرض البلاغي للشرط في جملة الجواب.

وقد وردت الجملة الشرطية- نظرا لقيمتها التعبيرية- في السورة في تسعة مواضع:

جاءت الجمل مصدرة بـ(إنْ) في أربعة مواضع:

قوله: (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي)(١)، وقوله: (إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)(٢)، وقوله: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ)(١٠)، وقوله: (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا)(١١)

كما جاءت الجمل مصدرة بـ(إذا) في موضعين:

قوله: إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ)(١٠)، وقوله:(إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّه)(١٢)

كما جاءت الجمل مصدرة بـ(من) في ثلاثة مواضع:

قوله: (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)(١)، وقوله:(وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(٦)، وقوله: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٩)

الجملة الشرطية	الأداة	دورها في التماسك
إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي	إنْ	الربط بين الشرط وبين ما قبله لحذف الجواب وفهم معناه فيما تقدم.(تذييل للنهي المتقدم وغرضه التحذير)
إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ	إنْ	فعلها مضارع وجوابها مضارع مؤلف من ثلاث جمل معطوفة؛ منها جملتان مضارعتان وواحدة ماضية.(الجملة تعليل؛ لقوله: ضل سواء السبيل، والضلال في الدنيا: ما جاء في الآية، وفي الآخرة: ما جاء في الآية التي

		تليها؛ يوم القيامة)
وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا	إنْ	فعلها ماض وجوابها ماض؛ لإخبارها عن تشريع جديد يرتبط بأحداث مضت.(ارتباط الشرط بما قبله ومعطوف على قوله: واسألوا ما أنفقتم)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ	اجتماع الأداتين إذا- إنْ	(إذا) مع امتحان المؤمنات ثم جملة اعتراضية تفتح المجال لجملة ثانية شرطية مبدوءة بإنْ؛ لأن إذا في الأولى لتحقق وقوع المجيء ثم (إن) للشك في العلم الكامل بتحقق الإيمان، فكان الاعتراض لبيان ذلك.(امتحان المهاجرات تطبيق للنهي عن موالاة المشركين؛ فقد تطرق إلى المصاهرة بينهما)
إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ... فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّه	إذا	إذا لتحقق وقوع المبايعة، وفصّل فعل الشرط في عدة أمور، وارتبط الجواب الفاء.(بعد الامتحان تكون المبايعة)
ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل	منْ	فعلها للاستقبال، وجوبها مؤكد بقد(تحذير ووعيد في آخر الآية لمن لم ينته عما أمر في أولها)
وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ	منْ	في فاصلة الآية لتأكيد مضمونها، وفعل الشرط مضارع وجوابها جملة اسمية مرتبطة بالفاء، تفيد الثبوت.(تحذير من ترك التأسي بعد التذكير)
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	منْ	في فاصلة الآية لتأكيد مضمونها، وفعل الشرط مضارع وجوابها جملة اسمية مرتبطة بالفاء، تفيد الثبوت.(التشديد على عدم الموالاة وقصر الظلم عليهم)

وتكرار الشرط تسع مرات في السورة يلفت النظر إلى ما يؤديه الشرط من أسلوب تعبيري يخدم نسق السورة وتناسقها العام الهادف إلى النهي عن الموالاة، كما ظهر دور الشرط في أن النتائج المرجوة لا تكون إلا بمقدمات محددة.

المبحث الثالث:
أساليب التأكيد والتقرير ودورها في التماسك النصي

ويشمل: التكرار، والتوكيد

تعرض الدراسة في هذا المبحث لطرق التوكيد والتقرير والتثبيت في النص، وتخص قيمة التكرار كوسيلة للوصول إلى وحدة النص وبيان تماسكه، كما تقف على المؤكدات في النص ودورها في تأثير الخطاب على متلقيه.

المطلب الأول: التكرار

أسهم التكرار إسهاما كبيرا في تلاحم أجزاء السورة من الناحية اللفظية و الدلالية؛ ولا يأتي اللفظ أو التركيب مكررا إلا لداع بلاغي يطلبه السياق، وعلى مستوى النص يشكل التكرار ظاهرة مهمة من ظواهر التناغم والتآلف بين مكوناته، ويشير بجدارة إلى وحدة النسق داخل النصوص، ويبرز جليا في النص القرآني خاصة لما فيه وضوح الترابط ومتانة التماسك، وتأتي "دلالة اللفظ على المعنى مرددا لتأكيده والتنبيه عليه وجذب انتباه المتلقي إليه، والتأثير فيه وإقناعه، ويعد التكرار من أشهر أساليب تأكيد المعنى في العربية؛ وذلك لسهولة العمل به وأثره في النفس، ولعدم وقوع الالتباس فيه، ويعد من الروابط اللفظية لتكرار لفظه، وتكرار اللفظ من عناصر الربط"[١]، وقد فرق البلاغيون بين نوعين لمادة (كرر)؛ الأول: التكرار: وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى للتأكيد[٢]، والثاني: التكرير: وهو دلالة اللفظ على المعنى مرددًا؛ كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد[٣]، كما يفرقون بين أنواع أخرى من التكرار؛ كالترديد والتصريع والمردود وغيرها.

والتكرار عند علماء النص يعني " إعادة عنصر معجمي ما أو مرادفه أو شبهه أو عنصر مطلق أو اسم عام"[٤]، وفي دراسة التماسك في النص القرآني يؤدي التكرار وظيفة أكبر مما يؤديها في الجملة، إذ هو عنصر مهم من عناصر السبك والانساق بين الجمل، للوصول إلى

---

[١] الربط في اللفظ والمعنى، ص ٣٢٣.

[٢] انظر/ تحرير التحبير، ص ٣٧٥.

[٣] المثل السائر ١٢٠/٢.

[٤] لسانيات النص، د. محمد خطابي ، ص٢٤.

الهدف الرئيس من تلاحم هذا النص إذا له دور في إحكام النص وشد بنيانه، بل لقد عدّه مُحَمَّد خطابي وسيلة من وسائل التماسك، فهو عنده المعيار الذي يميز بين النص واللانص[1]، وقد تعددت أنواع التكرار في السورة الكريمة وتنوعت وفق سياق السورة وحسب الغرض الذي ترمي إليه، ومن هذه الأشكال:

١- التكرار الصوتي (تكرار أوزان)

يعد تكرار وزن من الأوزان ضرورة أسلوبية لها دورها في ترابط النص وتماسك أجزائه، خاصة إذا كرر هذا الوزن في موضع متشابه يكون لذلك أثرا ودلالة؛ لأن" القيم الصوتية لجرس الحروف والكلمات عند التكرار لا تفارق القيمة الفكرية والشعورية المعبر عنها"٢ ، وقد كرر وزن (فعيل) في فاصلة الآيات مرتبطا بأسماء الله تعالى وصفاته ثماني مرات، وجاءت كالتالى:

(بصير – عزيز- حكيم – حميد – رحيم – عليم – حكيم – قدير)

ولهذه الصيغة من صيغ المبالغة دورها في الغرض الأم للسورة وهو النهي عن موالاة الكفار؛ لأن عداءهم لله -عز وجل- قبل عدائهم لأرحامهم وذويهم ، فقد قال تعالى لرسوله: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (الأنعام:٣٣)، كما أن هذه الألفاظ من أسمائه تعالى؛ تنوعت بين البصر والعزة والحكمة والحمد والعلم والقدرة، وهذا ما تحتاج إليه معالجة هذا الموضوع الدقيق، كما أن لتلك النغمة وذلك الإيقاع الذي سيطر على بعض فواصل السورة دوره في إحداث التماسك في النص.

٢- تكرار الكلمة أو مشتقاتها:

يعد تكرار كلمة في النص من أدلة تماسكه وانسجامه؛ لأن هذا التكرار يعتمد على التنبيه المصاحب للتأكيد والإشارة إلى قيمة معينة أفادها ذلك التكرار، وتختلف صور تكرار الكلمة إلى عدة صور أسهمت جميعها في إحداث التلاحم بين أجزاء السورة، وكان لها دور في الإشارة إلى قضية النص ومقاصده الرئيسة؛ منها :

---

[1] السابق، ص ٢٥٥.

[2] التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين السيد، ص٨٤.

أ-تكرار المفردة نفسها

فقد تكررت ألفاظ: (الله – رب-المؤمنات-المودة- الكفار- أسوة حسنة-الدين- حكيم-قوم)

حيث تكرر ذكر لفظ الجلالة الله إحدى وعشرين مرة، في حين ذكر لفظ الرب أربع مرات مع إضافاته، وتكرر لفظ المودة ثلاث مرات؛ مرتين معرفا ومرة منكرا ، وتكرر لفظ الكفار مرتين، والأسوة الحسنة مرتين، وتكرر لفظ الحكيم مرتين، مرة معرفا وأخرى منكَّرا، كما ذكر لفظ القوم مرتين؛ مرة معرفا بالإضافة ومرة منكَّرا، وأدى تكرار هذه الألفاظ والحرص على ذكرها في النص في أكثر من موضع؛ لبيان قيمته التعبيرية في تماسك النص وإظهار فكرته.

كما تكررت كلمة شيء في ثلاثة مواضع؛ في قوله:(وما أملك لك من الله من شيء – وإن فاتكم شيء من أزواجكم -ولا يشركن بالله شيئا) "وفائدة إيقاع شيء في هذا التركيب التغليظ في الحكم والتشديد فيه أي لا ينبغي أن يترك شيء من هذا الجنس وإن قل وحقر غير معوّض عنه"[1]

كما قد يكرر في النص مرادف المفردة ، فذكر (الرسول) ثم ذكر (النبي)، قال تعالى في أول السورة: (يخرجون الرسول وإياكم)(١)، وقال في آخرها: (يا أيها النبي)(١٢) وهذا التكرار المعجمي لمرادف اللفظ ضرب من ضروب التماسك في النص، ونظرا لاختلاف السياق في الموضعين من النص عدل من اللفظ الأول إلى اللفظ الثاني؛ لخصوصية في اللفظ الثاني ومناسبته المعنوية للآية التي ورد فيها.

ب-تكرار الاشتقاق

هذا النوع من التكرار هو الأوسع انتشارا والأكثر قدرة على بيان تماسك النص ووحدة نسقه، كما أنه يشير إلى الألفاظ التي يرغب أو يحذِّر منها هذا النص أو ذاك.

وقد اعتمد النص في سورة الممتحنة على ابراز هذا النوع من التكرار في صورة ثنائيات متضادة، فيشيع في النص ذكر عدد من الالفاظ تغيرت بناها الصرفية بين الاسمية والفعلية على حسب السياق، والدور الوظيفي في التركيب؛ منها:

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٢٩٣.

المودة × البغضاء -الموالاة × العداوة - الإيمان ×الكفر - المغفرة – الحكمة

-ورد لفظ المودة ثلاث مرات اسما، معرفا مرتين ومنكرا مرة؛ قال: (تلقون إليهم بالمودة – تسرون إليهم بالمودة – عسى الله أن يجعل بينكم وبين الين عاديتم منهم مودة).ومن مشتقاتها لفظة (وودوا) في قوله: (وودوا لو تكفرون)، وذكر لفظ البغضاء مرة واحدة مقترنا بالعداوة؛ قال تعالى: (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا)، كما وردت كلمة (غضب) التي تتفق مع مادة (بغض) في جذرها اللغوي مرة واحدة.

-وورد لفظ الموالاة بمشتقاته (الاسمية والفعلية) خمس مرات؛ (أولياء – يتول –أن تولهم – ومن يتولهم-لا تتولوا)، كما ذُكر لفظ **العداوة** بمشتقاته (الاسمية والفعلية) خمس مرات؛(عدوي-عدوكم- أعداء- العداوة- عاديتم).

-وورد لفظ الإيمان بمشتقاته في السورة من أولها إلى ختامها عشر مرات؛ منها: (ثلاث مرات بالنداء "يا أيها الذين آمنوا"- المؤمنات ثلاث مرات مرتين معرفا ومرة منكرا- ثم مؤمنون- أن تؤمنوا- حتى تؤمنوا- بإيمانهن)، وذكر لفظ الكفر ومشتقاته ثماني مرات؛ منها: (لفظ الكفار ثلاث مرات-ثم الكوافر- كفروا مرتين-تكفرون- كفرنا).

-كما ورد (غفر) بمشتقاته خمس مرات، منها(لفظ غفور مرتين-لأستغفرن لك- اغفر لنا- استغفر لهن)، وورد (حكم) أربع مرات، (الحكيم مرة معرفا ومرة منكرا- حكم الله- يحكم).

وقد كان لهذه الثنائيات مع تكرارها بمشتقاتها أثر في توجيه الغرض نحو فكرة عدم موالاة الكافرين، وإبراز الدور المهم للتكرار وهو الجانب التربوي التوجيهي، وظهر أن التكرار "يؤدي إلى تحقيق التماسك النصي، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره، هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص"[1]، ومن جناس شبه الاشتقاق بين بدا وأبدا؛ في قوله تعالى: (وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا) وهذا التجانس في تأليف الحروف دون المعنى، له جرسه وإيقاعه الصوتي المتشابه.

[1] علم اللغة النصي، د. صبحي الفقي، ص ٢٢.

٣- تكرار الجمل في النص

اهتمت السورة بتكرار عدد من الجمل، وظهر من تكرار الجمل التركيز على غرض السورة العام، وتنوعت أشكال التكرار؛ فجاء كالتالى:

أ- التكرار التركيبي

التكرار بين البدء والختام: في أول السورة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)، وفي ختام السورة:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)؛ للتنبيه على غرض السورة الأسمى، وتجلي قيمة التماسك ووحدة النسق بين البدء والختام، والاتفاق في مضمون الفكرة تأكيدا على أهمية الاستهلال ثم مجيء الختام موافقا للبدء؛ ليؤدي وظيفة إقناعية حجاجية مفادها الاستسلام لأوامر الله في السورة الكريمة، وما حملته من نواه، وهو من قبيل "تكرار أنماط تركيبية خاصة تختلف في مفرداتها ولكن تتوازن في مكوناتها"[١]

تكرار تركيبي مع تغيير يسير لاختلاف السياق: في قوله:(تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) – وقوله: (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)(١)، وأفاد لفظ الإلقاء بيان ما هم عليه من قوة المودة، التي ظهرت أسبابها في بث أخبار النبي إليهم بالفعل والعمل، أما لفظ الإسرار فهي أسلوب توصيل هذه المودة بإرسال حاطب بن أبي بلتعة خطابه إلى قريش، وتحمل السورة النهي عن أسباب المودة فلا موالاة مع أعداء الله؛ لأنهم لن يرضوا عنكم وإن أظهروا خلاف ذلك، كما أن في الإسرار بالمودة ضعفا لا يرضاه لأوليائه، وهو يعلم السر والعلن، وهذا التكرار يخدم سياق النهي عن الموالاة الذي هو غرض السورة.

وفي قوله تعالى: (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ)(١) –وقوله:(حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)(٤) الخطاب الأول للمؤمنين يبين فيه أن جريمة المؤمنين-من وجهة نظر الكافرين- هي الإيمان بالله لا غير، وقوله: (ربكم)، لأنه المتلطف على عباده بالرعاية والحفظ، والخطاب الثاني خطاب إبراهيم لقومه يدعوهم إلى الإيمان بالله دون شريك من حجر أو صنم؛ لذلك قال: (وحده)، وهذا التشابه بين الموقفين أدى إلى استدعاء قضية التأسي بإبراهيم عليه السلام.

---

[١] الإبداع الموازي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص ١٨٧.

ب- التكرار التقابلي

ويعتمد هذا النوع من التكرار على المقابلة بين الجمل، وهذه الثنائيات المتقابلة المكررة من علاقات الحبك في النص وجاءت كالتالى:

- قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(٨) ثم يقول: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٩)

ولهذا التكرار دور في ترسيخ منهج التمسك بالعقيدة مع بيان العدالة في تحديد العلاقات مع غير المسلمين، فناسب التكرار على طريقة المقابلة التي توضح المعنى المراد، وتطرق آذان السامع وعقله للاهتمام بالأمر والنهي.

- ومنه قوله تعالى: (لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ - وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ)(١٠) وقد كرر هنا على طريقة العكس والتبديل؛ لبيان الحكم والتأكيد على الفصل بين المسلم والمسلمة وعن سواهما من المشركين، وفيه" تعليل للنهي عن رجعهن إليهم والتكرير إما لتأكيد الحرمة أو لأن الأول لبيان زوال النكاح الأول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد"[١]؛ فجاء التكرار لأن لا يفهم السامع معنى غير المعنى المراد؛ أي لأمن اللبس فيه.

- ومنه تكرار الجملة في سياق الأمر، في قوله تعالى: (وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا)(١٠) أفاد التكرار المقابلة في الحكم "ولعل هذا لتطرية قلوب بعض المؤمنين بالمقابلة والمعادلة والا فظاهر حال الكرام الاستغناء عنه"[٢]

ت- تكرار الجملة لتأكيد ما قبلها

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٣٩/٨.

[٢] روح البيان ٤٨٥/٩.

قال تعالى:(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ)(٤)- (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)(٦)

وكرر التأسي للتأكيد عليه والإشارة إلى ما يجب أن يكون عليه من يوالي الله ورسوله، والأسوة الحسنة مجملة فصلها قوله تعالى: (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)، زيادة التوكيد في التكرار عن الجملة الأولى، وذلك في زيادة اللام الموطئة للقسم الداخلة على حرف التحقيق والتوكيد (قد)، وفي تقديم (لكم) على (فيهم) لتعجيل المنفعة والتنبيه على اختصاصهم بها. "كرر ذلك مرتين، فما فائدة تكراره؟ .جوابه: أن الأولى: أريد بها التأسي بهم في البراءة من الكفار، ومن عبادة غير الله تعالى. وأريد بالثانية: التأسي بهم في الطاعات واجتناب المعاصي لقوله تعالى بعده: (لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) يريد ثوابه وعقابه."[١]

"الثانية مؤكّدة بمؤكدين.. اللام، وقد.. (لَقَدْ): على حين جاءت الدعوة لأولى مؤكدة بمؤكد واحد: (قد)..والجملة الخبرية هنا، وهناك، مراد بها الطلب، أي الأمر بالتأسى، لا مجرد الخبر."[٢]

ث- تكرار النداء

كرر النداء في أول السورة ووسطها وفي آخرها بصيغة (يا أيها الذين آمنوا)؛ ففي الأولى نهي عن اتخاذ أعداء الله أولياء، وفي الخاتمة نهي عن موالاتهم، أما الوسط فقد تصدر النداء آية امتحان المؤمنات المهاجرات الذي هو العنصر المهم من عناصر السورة الكريمة؛ لأن لفظ الممتحنة المعنونة به السورة جاء من هذه الآية، وبين الامتحان والغرض الأم للسورة ترابطا، وهو النهي عن الموالاة الكاذبة وإنما جعل الامتحان هنا ليختبر صدق موالاتهن لله ورسوله دون موالاة المشركين.

[١] كشف المعاني في المتشابه من المثاني بدر الدين بن جماعة ٣٥٥، وانظر/ درة التنزيل وغرة التأويل ١٢٦٨/٣.

[٢] التفسير القرآني للقرآن ٩٠١/١٤.

وقال تعالى: (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) شمل النداء عددا من الأساليب؛ بدأ الدعاء بإظهار القصد في التوكل والإنابة والرجوع إلى الله تعالى، ثم ثنَّى بدعاء درء الفتنة، وختم بطلب المغفرة، وبين النداء المحذوف الأداة للقرب وبين مطلع السورة تماسكا يحمل نوعا من التبرُّؤ من الشرك وأسبابه وإظهار العناية بموالاة الله تعالى. "وإعادة النداء بقولهم: ربنا إظهار للتضرع مع كل دعوة من الدعوات الثلاث."[1]

المطلب الثاني: التوكيد

يقول ابن جني في مزية التوكيد وقد ذكره تحت ما اسماه باب الاحتياط: "اعلم أن العرب إذا أرجأت المعنى مكنته واحتاطت له؛ فمن ذلك التوكيد"[2]، فإنهم إذا أرادوا بيان المعنى وبسط الكلام حتى يقع عند المتلقي كما يريد المتكلم، احتاطوا لذلك بالتوكيد؛ فللتوكيد دور مهم في أمن اللبس، وإزالة الشك والحيطة من عدم الفهم الصحيح للمعنى، كما يلفت النظر إلى أهمية المؤكد وقيمته، فيرجع المتلقى النظر في الجملة مرة أخرى لعله يقف على سبب التوكيد.

ويؤدي التوكيد وظيفة مهمة في بناء النص وإحكام تماسكه من خلال هذا العدد من الجمل المؤكدة في النص، والتي لو وُقف على مضمونها؛ لعُرف ما تؤديه من خدمة في هذا التماسك، لأنها تركز على إبراز الفكرة الرئيسة للنص، وتحاول إقناع المتلقي بالفكرة العامة عبر عدد من الأفكار الجزئية المؤكدة، ولذلك فقد حظيت سورة الممتحنة بكثير من طرق التوكيد، أبرزها: التوكيد بقد، التوكيد بإنّ، التوكيد بضمير الفصل، التوكيد بالزيادة.

وجاءت صور التوكيد في السورة كالتالى:

- التوكيد بـ(قد)

تؤكد الجملة الفعلية بقد وهو حرف تحقيق وتأكيد، دخلت في مواضع السورة على الفعل الماضي؛ لتفيد تحقيق وقوعه وتأكيده.

---

[1] التحرير والتنوير ١٤٧/٢٨.

[2] الخصائص ١٠٤/٣.

التوكيد بـ(قد) في خمسة مواضع:

- (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) (١) (مقترنة بالواو في صدر جملة حالية)

- (وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (١) (مقترنة بالفاء الرابطة لجواب الطلب)

- (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) (٤)(أداة التوقع والتحقيق)

وتأتي محورية هذه الآية في التماسك بين أجزاء السورة، كما يبرز دور (قد) في إحداث هذا الترابط؛ لأن صدر هذه الآية يفيد تأكيدا لمضمون جملة (إن يثقفوكم)، وجملة (لن تنفعكم أرحامكم) ، "لأنها بما تضمنته من أن الموجه إليهم التوبيخ خالفوا الأسوة الحسنة تقوي إثبات الخطأ المستوجب للتوبيخ... وافتتاح الكلام بكلمتي قد كانت لتأكيد الخبر، فإن قد مع فعل الكون يراد بهما التعريض بالإنكار على المخاطب ولومه في الإعراض عن العمل بما تضمنه الخبر"[١]

- (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (٦) وهنا يريد بتأكيد تكرار قد والزيادة في التأكيد بذكر اللام أن يقول: "تأسّوا بهم لتنالوا مثل ثوابهم وتنقلبوا إلى الآخرة؛ كانقلابهم مبشرين بالجنة غير خائفين من العقوبة."[٢]

- (لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ)(١٣)

ونلاحظ أن دخول قد جاء لإزالة الشك مع الأفعال (كفروا- ضلّ- كانت لكم أسوة – كان لكم فيهم أسوة- يئسوا)، وهذا التأكيد لهذه الجمل له دلالة تناسب مراد النظم في السورة وهو النهي عن موالاة غير المسلمين(فوصفهم –أي المشركين- بالكفر بما جاء من عند الله وباليأس مما عند الله- ومن تبعهم فقد أكد ضلالته الطريق المستقيم- وضرب المثل بالأسوة في إبراهيم عليه السلام مؤكدا ذلك بقد في الأولى، وبتكرار الجملة مع زيادة اللام قبل قد في

[١] التحرير والتنوير ١٤٢/٢٨

[٢] درة التنزيل ١٢٦٨/٣.

الثانية لزيادة التوكيد) ويدخل هذا الإخبار تحت الجملة الطلبية التي تخاطب مخاطبا مترددا يميل إلى جهة قبول الخبر، لكنه متردد فيه فجاءت هذه المؤكدات لتثبته وتعلي من درجة اليقين عنده.

– التوكيد بـ(إنّ)

تأتي لتوكيد الجملة الاسمية وتقويتها، ولورودها في الجملة قيمة؛ فهي "إنما دخلت على الكلام؛ للتوكيد عوضا عن تكرير الجملة"[1]، فإذا كانت الجملة الاسمية دون ذكر (إنّ) تفيد دلالة الثبوت والاستمرار؛ فإن دخول (إن) على الجملة يؤكد هذا الثبوت ويدفع بتقويته؛ فكأنك عند ذكرها تؤكد مضمون الخبر مرتين.

– التوكيد بـ(إن) في خمسة مواضع:

في قوله تعالى: (إِنَّا بُرَءآؤُا مِنْكُمْ)(٤)، وقوله: (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(٥)، وقوله: (وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(٦)، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(٨)، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(١٢)

والملاحظ أن التأكيد بإنّ في هذه المواضع غلب على تأكيد الفاصلة، التي تؤكد بدورها مضمون الآية قبلها، كما تؤكد ارتباط آخر الآية ببداية ما بعدها عدا مقالة إبراهيم عليه السلام والذين معه والتي تؤكد تبرؤه ومن معه من المشركين وهو ما يرتبط ارتباطا أساسيا بفكرة السورة وهي الولاء والبراء فحسن التوكيد خاصا بالموضع وعاما بالسورة.

– التوكيد بضمير الفصل

يؤدي ظهور ضمير الفصل في التركيب إلى تأكيد معنى الجملة ودفع توهم السامع وتوجيهه إلى المعنى المراد، وكأنك تقول له: أن المقصود ما ذُكر لا ما توهمتَ. "وفائدة الفصل بالضمير أن

[1] اللباب، للعكبري ٢٦٩/١.

المعنى الحاصل من الفصل يعطي معنى القصر، لأن المعنى يقترب بنا من إفهام أن المقصود بالمؤكَد أن يكون هو لا غيره"[1]

التوكيد بضمير الفصل في ثلاثة مواضع:

- في قوله تعالى:(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(٥)، وقوله:(وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(٦)، وقوله:(وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٩)

والملاحظ أن التأكيد بالفصل-ضمير الخطاب- جاء في الأولى بعد الدعاء فأفاد اختصاصه تعالى به لعزته وحكمته، وفي الثانية جاء ضمير الفصل-ضمير الغائب- في جواب الشرط، الذي أفاد النهي عن الإعراض عما أمر الله به كما حمل ايضا غرض التهديد والوعيد، وفي الثالثة -ضمير الغائب- تخصيص من أعرض ووصفه بالظالم؛ لأنه خالف مع ظهور الأدلة والبراهين، "وضمير الفصل في قوله: (هو الغني) توكيد للحصر الذي أفاده تعريف الجزأين، وهو حصر ادعائي لعدم الاعتداد بغنى غيره ولا بحمده، أي هو الغني عن المتولين لأن النهي عما نهوا عنه إنما هو لفائدتهم لا يفيد الله شيئا فهو الغني عن كل شيء."[2]

- التوكيد بزيادة حرف الجر

التوكيد بزيادة حرف الجر في ثلاثة مواضع:

- (تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)-(تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)(١)

يقول الطبري: "تلقون إليهم مودتكم إياهم، ودخول الباء في قوله: (بِالْمَوَدَّةِ) وسقوطها سواء"[3] "والباء في بِالْمَوَدَّةِ إما زائدة مؤكدة للتعدي، وإما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف، معناه: تلقون إليهم أخبار رسول الله بسبب المودّة التي بينكم وبينهم."[4]، والقول بزيادة حرف الجر في الموضعين له وجهته البلاغية وهي تأكيد الاتصال بين الفعل والمفعول به.

---

[1] البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان ١٤٢/٢.

[2] التحرير والتنوير ١٥٠/٢٨

[3] جامع البيان ٣٠٩/٢٣

[4] الكشاف ٥١٢/٤.

– (وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)(٤)

أفادت زيادة حرف الجر التسليم والخضوع التام لله عز وجل، كما أكدت هذا الإيمان المطلق بالله تعالى، وفيه تعريض بأن يكونوا على مثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام وأن موالاة الله تعالى هي الباقية.

التوكيد بـ (ها التنبيه)

تأتي تأكيدا على أن المنادى المذكور هو المقصود بالنداء.[1]واشار سيبويه في حديثه عن قيمة التأكيد التي تؤديها (ها) التنبيه) أن الالف والهاء اللتين تلحقان (أيّ) للتوكيد، فكأنك كررت(يا) مرتين، إذا قلت: (يا أيها).[2]

التوكيد بـ (ها التنبيه) في أربعة مواضع:

– (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) (١، ١٠، ١٣)- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)(١٢)، وكرر النداء في السورة أربع مرات؛ ثلاث منها مع اسم الموصول وصلته(الذين آمنوا)، ومرة مع خطاب النبي ﷺ؛ لأهمية التكليفات التي تلت هذا النداء.

– مع المؤمنين:

-النهي عن موالاة أعداء الله ومن غضب عليهم، أول السورة وآخرها بصيغة النهي (١، ١٣)

-تلاه أسلوب الشرط في امتحان المؤمنات المهاجرات.(١٠)

– مع النبي ﷺ:

-تلاه أسلوب الشرط في مبايعة المؤمنات المبايعات للنبي.(١٢)

والملاحظ أن التأكيد سيطر على سياق السورة مع تنوعه حسب السياق ومقتضياته مما أحدث تماسكا بين أجزاء السورة والفكرة الرئيسة للسورة؛ "وجدوى التأكيد أنك إذا كررت

[1] انظر/ مغني اللبيب ٤٠٣/٢.

[2] الكتاب ١٩٧/٢.

فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه، وامطت شبهة ربما خالجته، أو توهمت غفلة أو ذهاباً عما أنت بصدده فأزلته"[1]

[1] المفصل، ص ١٤٦.

المبحث الرابع
العدول في بناء الجملة وأثره على تماسك نظم السورة وتناسقها

يعرض هذا المبحث صور العدول في التركيب داخل السورة، وأثر ذلك على تماسك النص وتناسقه من خلال الالتفات بين الجمل، والحذف، والتقديم والتأخير خاصة وأن أي تغير في مجرى النص له تأثير على فكرة النص ومقصده.

المطلب الأول: الالتفات

يشكل الالتفات جانبا من جوانب تماسك النص لما يقدمه من عدول وانتقال من صيغة متوقعه إلى صيغة أخرى غير متوقعة تشكل ثيمة من ثيمات النص، وترتبط هذه الجملة الواقع فيها الالتفات بما قبلها وبما بعدها ارتباطا ملحوظا، ولهذا العدول أهمية وغرض ربما لا تتوفر إذا غابت عن سياقها، ولا يمكن أن تؤديها صيغة أخرى، فغرضه لا يقل أهمية عن الأغراض التي يؤديها عدم العدول، وعرفه السبكي بقوله: "نقل الكلام من حالة إلى اخرى مطلقا"[1]

وفوائد الالتفات كثيرة وله دوره في خدمة النص كله ويكون استقدام هذا الخطاب خاصة لمناسبته للمتلقي والنص على حد سواء، بما يحدثه من إثارة وتنشيط للمتلقي ومفاجأته بما لا يتوقع، وإيجاز في العبارة، وفاعلية الطريقة غير المباشرة على الطريقة المباشرة، "وإفادة معنى تتضمنه العبارة التي حصل الالتفات إليها، وهذا المعنى لا يستفاد إذا جرى القول وفق مقتضى الظاهر"[2]، ويرى ابن الأثير: "أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعّب شعبا كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه."[3]

وقد تنوعت صور الالتفات في السورة الكريمة بما يخدم مراد النص ويحكم نسقه وتماسكه، خاصة وأن مواضع الالتفات كان لها اتصال بالغرض الأم للسورة مما حملها دورا وظيفيا جديدا

---

[1] عروس الأفراح ٢٧٢/١.

[2] البلاغة العربية، للميداني، ص٤٨٣.

[3] المثل السائر ٤/٢.

في بناء النص يضاف إلى ما يؤديه الالتفات من دور على مستوى الجملة، ومن نماذجه في السورة:

أ- الالتفات من التكلم إلى الغيبة ثم إلى التكلم (في الضمائر)

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا **عَدُوِّي** وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا **بِاللَّهِ** رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي **سَبِيلِي** وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي)(١)

يخاطب المولى عز وجل هؤلاء الذين نهاهم عن موالاة أعداء الله، لأنهم أخرجوا رسول الله وأخرجوا المسلين من مكة محاربة للدين، واستخدم السياق ليعبر عن هذه المخالفة بأسلوب الالتفات، فانتقل بعد قوله: (لا تتخذوا عدوي) إلى قوله: (أن تؤمنوا بالله)؛ فتقل الكلام من التكلم إلى الغيبة، حيث لم يقل: (أن تؤمنوا بي) "للإشعار بما يوجب الإيمان من الألوهية والربوبية"[١]

يقول البقاعي في مناسبة الانتقال وسبب العدول "ولما كان الإيمان به سبحانه مستحقاً من وجهي الذات والوصف لفت الخطاب من التكلم إلى الغيبة للتنبيه عليهما فقال: (بالله) أي الذي اختص بجميع صفات الكمال، ولما عبر بما أبان أنه مستحق للإيمان لذاته أردفه بما يقتضي وجوب ذلك لإحسانه فقال: (ربكم) ولما ألهبهم على مباينتهم لهم بما فعلوا معهم وانقضى ما أريد من التنبيه بسياق الغيبة عاد إلى التكلم، لأنه أشد تحبباً وأعظم استعطافاً وأكمل على الرضا"[٢]، وتناول د. حسن طبل في ثبته التفصيلي في كتاب أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية[٣]؛ فأشار في هذه الآية إلى الالتفات من الغيبة إلى التكلم، في قوله تعالى: (وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي) ناظرا إلى التحول من قوله: (بالله) إلى قوله(سبيلي) دون النظر إلى الانتقال الأول من التكلم إلى الغيبة. والسياق يخدم وجهة التماسك؛ لذلك كان الانتقال بين التكلم والغيبة لموفقته وليس للتفنن في الأساليب.

---

[١] روح المعاني ١٤/ ٢٦١.

[٢] نظم الدرر ١٩/٤٨٧.

[٣] انظر/ أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، ص٢١٠.

ب- الالتفات من المضارع إلى الماضي(في الصيغ)

قال تعالى: (إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)(٢) يأتي الماضي بعد المضارع في النظم القرآني خاصة في أسلوب الالتفات؛ ليشير إلى قيمة مفادها أن هذا المؤخر أعظم وأهم من المقدم، ولولا تأخيره في السياق وفي الترتيب ما وُقِف على أهميته وقيمته الأسلوبية والتعبيرية، وفي بيان سبب التحول من المضارع إلى الماضي هنا ما يقوله الزمخشري" فإن قلت: كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال: (وَوَدُّوا) بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجرى في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب، فإن فيه نكتة، كأنه قيل: وودّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعنى: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا: من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض"[١]، أو أن هذا التأخير لأنه أسبق شيء إلى نفوسهم كما يقول النيسابوري"وإنما عطف قوله: (وَوَدُّوا) وهو ماض لفظا على ما تقدمه وهو مضارع تنبيها على أن ودادهم كفرهم أسبق شيء عندهم لعلمهم أن الدين أعز على المؤمنين من الأرواح والأموال وأهم شيء عند العدوّ أن يقصد أعز شيء عند صاحبه."[٢]

وجاء الكلام على الترتيب من الأسفل إلى الأعلى، فكونهم أعداء أول المضار، ثم بسط اليد بالضرب، وبسط اللسان بالقول في أعراض وشتمهم، وأكبر من هذا كله هو تمنيهم العودة إلى الكفر حسدا من عند أنفسهم، قال تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)(البقرة:١٠٩)، لأنهم يعرفون أنه الحق؛ كما أنه "لما كان ردهم كفارًا كان أشد متمناهم وأهم شيء عندهم، لانحسام مادة العداوة به، صرح بتمنيهم إياه، وعدل إلى لفظ الماضي؛ لبيان الأولوية والأولية."[٣]

المطلب الثاني: الحذف البلاغي ودوره في تماسك السورة

---

[١] الكشاف ٤/ ٥١٣.

[٢] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٢٩١.

[٣] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١٥/ ٣٥٣.

فطن البلاغيون وعلماء اللغة إلى قيمة الحذف وعدوه من شجاعة العربية، وذكروا له فوائد جمة، وفي الدراسات النصية الحديثة يمثل الحذف عنصرا مهما من أدوات التحليل النصي، فالربط بين أركان الجملة يحتاج إليه في بعض المقامات أكثر من الاحتياج إلى الذكر، وهذا القول ما قاله عبد القاهر عن الحذف؛ يقول: "فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1]، وللحذف فوائد كثيرة في فهم النص، فإن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور، كما تحدث بالوصول إليه زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن.[2]

ويرى ابن هشام أن دواعي الحذف ومقاماته خاص بالبلاغة، يقول: وأمّا قولهم: يحذف الفاعل لعظمته، وحقارة المفعول، أو بالعكس أو للجهل به، أو للخوف عليه أو منه أو نحو ذلك، فإنّه تطفّل منهم على صناعة البيان."[3]، ومن هذه الدواعي يفهم الحذف، ولا يحذف إلا ما تدعو الحاجة إلى حذفه؛ لإثارة الذهن أو تنشيطه أو حتى للإيجاز وتقليل العبارة؛ لأن كل حذف دون دليل يؤدي إلى الإخلال بالنص ومن ثم ضياع تماسكه الذي يؤدي بدوره إلى موت النص قبل ولادته، كما "أن أية معلومة قليلة الأهمية وليست جوهرية يمكن أن تحذف، فعندما يكون لدينا مجموعة من الأقوال يمكن ببساطة أن نحذف منها ما ليس له وظيفة يقوم بها في النص؛ أي ما لا يعتبر فرضا تترتب عليه نتائج في بقية النص."[4]

والحذف عنصر مهم من عناصر التماسك عند علماء اللغة وعند البلاغيين لما يحدثه من تشويق، ولا حذف إلا بدليل، ولما كان الحذف في حاجة إلى الدليل، ظهرت أهمية الحذف ككن مهم من أركان وحدة النسق في النص؛ لأن الدليل موجود في النص إما أن يكون ملفوظا

---

[1] دلائل الإعجاز ص١٤٦.

[2] انظر/ البرهان، للزركشي ٣/١٠٥.

[3] المغني ٢/ ١٣٣٦.

[4] بلاغة الحطاب وعلم النص، ص ٢٣٨.

من قبل أو ملحوظا من سياق النص وسبب النزول، ومما جاء في السورة الكريمة من المحذوفات، ما يلي:

قوله تعالى: (تلقون إليهم بالمودة) – وقوله: (تسرون إليهم بالمودة)(١)

وحذف من الجملة هو المفعول به وتقدير الحذف: تلقون – تسرون إليهم؛ أخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلم، والوجه الآخر أن الجملة ليس بها حذف، والباء زائدة والمودة هي المفعول به، ولكن البحث يميل إلى حذف الأخبار، لأن إلقاء الخبر والإسرار به هو العامل في المودة والمسبب لها.

وفي قوله تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي)(١) يؤدي هذا الجزء من الآية الذي جاء على طريقة الشرط كما وصفه الطاهر بن عاشور دورا في ربط هذا الجزء بأول الآية، إذ تشير إلى عدم اجتماع الخروج في سبيل الله وابتغاء رضوانه ثم تكون منه موالاة لأعدائه، وقد جاء الشرط تذييلا للنهي والشرط هنا "بمنزلة التتميم لما قبله دون قصد تعليق ما قبله بمضمون فعل الشرط، أي لا يقصد أنه إذا انتفى فعل الشرط انتفى ما علق عليه كما هو الشأن في الشروط بل يقصد تأكيد الكلام الذي قبله بمضمون فعل الشرط فيكون كالتعليل لما قبله."[١] اعتمادا على أن السامع يفهم من نغمة الحديث ما يقصد من الشرط، خاصة وأن الجملة محذوف منها ما يعتقد السامع معرفته وهو الجواب؛ لتقدم ذكره وفي الجملة جواب الشرط محذوف دلّ عليه قوله لا تتخذوا، وتقدير الجملة: إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. وقيام الدليل على الحذف من أسباب حدوثه، للرجوع للقبلية والربط بين عناصر السياق ودور ذلك في تماسك النص.

وقوله تعالى: (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ)(٢)، حذف من العبارة القرآنية لفظ السوء بعد قوله: أيديهم، وجمع بين اليد واللسان ثم أعاد عليهما معا لفظة السوء طلبا للإيجاز، وللتعميم دون التخصيص؛ بأنهم إن ظفروا بكم فسوف تلقون السوء بكل مظاهره من قِبل اليد واللسان، أي: كل ما يتصل بهذين العضوين من أفعال سيئة- كالضرب والطعن

[١] التحرير والتنوير ١٣٦/٢٨.

وإشارات اليد وغير ذلك، والسخرية والتهكم والاستهزاء وإشارات اللسان- لن يدخروا جهدا في إظهاره؛ لذلك أتى بلفظ البسط ومعناه "امتداد الشيء، والبسطة في كل شيء السعة"[1]، وجاء هذا الأسلوب على طريقة اللف والنشر، فجمع بين اليد واللسان وجعل ذلك مما جرت به العادة في إلقاء السوء وتلازمه في حال شدة العداوة، ولو فصل لفهم من المعنى الفصل بينهما لسبب من الأسباب.

وقوله تعالى في الدعاء: (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (٤)

جاء قوله تعالى بعد الحديث عن الدعوة إلى التأسي بإبراهيم عليه السلام وفعله مع قومه، ويحتمل المعنى أن يكون من قول إبراهيم ومن معه بعد أن أعلنوا عدم موالاة أعداء الله، أو أن يكون مقول قول محذوف، تقديره: "قولوا ربنا أمرا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصّاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفّار والائتساء بإبراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الإثابة إلى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم."[2]

وفي قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(٦)

أفاد الشرط التحذير الشديد، والحث على عدم الموالاة إلا كما أمروا به، وعلل الجواب بقوله : فإن الله هو الغني الحميد، وليس هذا جوابا، وإنما الجواب محذوف تقديره: فإن وبال توليه على نفسه، ولم يحدد العقوبة حتى تذهب نفس المتلقي كل مذهب فيكون ذلك أردع له.

وقوله: (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ)(١١) وتقدير الكلام من مهور أزواجكم، وحذف لفظة مهور لمعرفة السامع بها حيث إن سياق الكلام يدور حولها، ويفهم من قوله تعالى في بقية الآية: (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا)، وقوله في الآية السابقة:(وَآتُوهُمْ مَا

---

[1] مقاييس اللغة : (مادة : بسط).

[2] الكشاف ٥/٥١٤.

أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا)(١٠)

وهذه المحذوفات جميعا أثرت في تماسك النص ووحدة نسقه، فحذف ما يستطيع السامع الوصول إليه، كما ارتبطت المحذوفات بفكرة السورة ومقصودها، ووظفت توظيفا يخدم غرض السورة.

المطلب الثالث: التقديم والتأخير

إذا أردنا أن نبحث عن العلاقة بين الوحدات اللغوية في النص، لابد أن ينظر إلى القيمة التي يقدمها التقديم والتأخير لترابط نص ما، فلا "نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس، وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله"[١]، وذلك التعلق وهذا الترتيب في التقديم والتأخير حسب مقتضيات السياق واضح في النص القرآني أشد الوضوح؛ لأن النص القرآني يراعي اختيار اللفظ كما يراعي موضعه مقدما أو مؤخرا حسب الأحوال والمقامات والتناسق العام للآيات والسور.

ويرى حازم القرطاجني أن من أوجه المناسبة في النظم وتماسك النص ووحدة نسقه تقسيم المعاني والعبارات على الفصول ويبدأ منها بما يليق بمقصده أن يبدأ به، ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يتبعه به ويستمر هكذا على الفصول فصلا فصلا، ثم الشروع في نظم العبارات منها؛ أن يقدم بعض الكلام ويؤخر بعضا أو بأن يرتكب في الكلام أكثر من واحد من هذه الوجوه.[٢]

فالتقديم عنده عنصر من عناصر جودة الصناعة أحد أسباب التناسق والمواءمة بين العبارات.

---

[١] دلائل الإعجاز، ص٥٥.

[٢] انظر/ منهاج البلغاء، ص ١٨٢.

وفي سورة الممتحنة لم يخل نص السورة من تنوع في أشكال التقديم والتأخير فيها بما يخدم الفكرة الرئيسة للسورة والغرض الأم لها، فجاء تقديم اللفظ على عامله، كما ورد تقديم بعض الألفاظ والجمل على بعض ليشير إلى قيمة معينة تسهم في تماسك أجزاء السورة، وجاءت نماذجه كالتالي:

أولا: تقديم اللفظ على عامله(علاقات غير إسنادية)

-**تقديم المفعول على العامل** في قوله تعالى: (يوم القيامة يفصل بينكم)

-**تقديم المفعول على الفاعل** في قوله تعالى: (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم)، (لا ينهاكم الله- إنما ينهاكم الله)، (إذا جاءكم المؤمنات- إذا جاءك المؤمنات).

- **تقديم الجار والمجرور على العامل** في قوله تعالى: (عليك توكلنا وإليك أنبنا)

يقول الرازي: "وإذا قيل: ما الفائدة في هذا الترتيب؟ فنقول: فيه من الفوائد مالا يحيط به إلا هو، والظاهر من تلك الجملة أن يقال: التوكل لأجل الإفادة، وإفادة التوكل مفتقرة إلى التقوى قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) (الطلاق: ٢) والتقوى الإنابة، إذ التقوى الاحتراز عما لا ينبغي من الأمور، والإشارة إلى أن المرجع والمصير للخلائق حضرته المقدسة ليس إلا، فكأنه ذكر الشيء، وذكر عقيبه ما يكون من اللوازم للإفادة ذلك كما ينبغي"[1]

-**تقديم الخبر على المبتدأ (علاقات إسنادية)** في قوله تعالى:

(قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه- لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة)، (وإليك المصير).

-**تقديم صلة الخبر عليه** في قوله تعالى: (والله بما تعملون بصير)

ثانيا: تقديم المفردات والتراكيب:

[1] مفاتيح الغيب ٥١٩/٢٩.

-(عدوي وعدوكم) ورد التقديم بهذه الصورة "لأن عداوة العبد لله بدون علة، وعداوة العبد للعبد لعلة، وما كان بدون علة فهو مقدم على أشد قبحا، فلذا قدمت، وقبحها في أنهم عبدوا غير خالقهم، وشكروا غير رازقهم، وكذبوا رسل ربهم وآذوهم."[1]

-(يخرجون الرسول وإياكم) "وقدمه عليهم على سبيل التشريف لمقامه ﷺ"[2]

-(بالله ربكم) تقديم الألوهية على الربوبية لمناسبة الإيمان قبل العناية والتربية.

-(جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) ذكر الخاص قبل العام تنويها على أهميته.

-(بما اخفيتم وما أعلنتم) تقديم الإخفاء على العلن لمناسبة قوله: تسرون إليهم بالمودة.

-(إن يثقفوكم : يكونوا لكم أعداء- يبسطوا ... – وودوا لو تكفرون) ترتيب العداوة من الأدنى إلى الأعلى

-(لا هن حل لهم ولاهم يحلون لهن) "وقدم لا هن حل لهم لأنه راجع إلى الصورة الأكثر أهمية عند المشركين إذ كانوا يسألون إرجاع النساء إليهم ويرسلون الوسائط في ذلك بقصد الرد عليهم بهذا."[3]

-(يبايعنك: على ألا يشركن- ولا يسرقن- ولا يزنين – ولا يقتلن - ولا يأتين ببهتان- ولا يعصينك." وإنما خص الأمور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء"[4]، ويقول الرازي: " ما وجه الترتيب في الأشياء المذكورة وتقديم البعض منها على البعض في الآية؟ نقول: قدم الأقبح على ما هو الأدنى منه في القبح، ثم كذلك إلى آخره، وقيل: قدم من الأشياء المذكورة ما هو الأظهر فيما بينهم."[5]

---

[1] أضواء البيان ٨/٨١،٨٠.

[2] التفسير الوسيط ١٤/٣٢٣

[3] التحرير والتنوير ٢٨/١٥٧.

[4] فتح القدير ٥/٢٥٨.

[5] مفاتيح الغيب ٢/٥٢٤.

المبحث الخامس
دور الفواصل في التماسك والتناسق في السورة

الجملة المذيّلة هي الجملة الأخيرة التي تختتم بها الآية، وتكون موافقة لمضمون الآية وهي من أدلة المناسبة المعنوية والتماسك بين مضمون الآية وبين نهايتها، والتذييل: "تفعيل، من قولهم: ذيّل كلامه إذا عقّبه بكلام بعد كمال غرضه منه، فأما معناه في اصطلاح علماء البلاغة فهو عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام، وذلك التحقيق قد يكون لمنطوق الكلام، وتارة يكون لمفهومه."[1] والفاصلة يراد بها " تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن وربما سميت بذلك؛ لأن بها يتم المعنى ويزداد وضوحه جلاء وقوة، وهذا لأن التفصيل فيه توضيح وجلاء وبيان"[2]، فتطلق الفاصلة على الكلمة الأخيرة من الآية وتحديدا الحرف الأخير منها لما تؤديه من غرض صوتي جمالي يرتبط بسياق النص ومقاصده حيث "تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنص جانبا جماليا لا يخطئه الذوق السليم، لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرهما أثر جمالي"[3]

ولو نظرنا إلى فواصل الآيات في سورة الممتحنة، يتضح ما يلي:

-استحوذت خمسة أحرف من حروف الهجاء على نهاية الفاصلة؛ وهي النون أربع مرات، والميم أربع مرات، والراء ثلاث مرات، واللام والدال مرة واحدة.

-جاءت الكلمة الأخيرة في فواصل السورة؛ اسما معرفا سبع مرات، واسما نكرة خمس مرات، وفعلا مضارعا مرة واحدة.

-وردت جمل الفاصلة اسمية أربع مرات، اسمية مؤكدة بإنَّ ثلاث مرات، فعلية ثلاث مرات، شرطية ثلاث مرات.

---

[1] الطراز ٣/٦١.

[2] من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، ص ٦٤.

[3] البيان في روائع القرآن، ص٢٧٩

-التزام حرف المد الياء قبل حرف الفاصلة تسع مرات، وحرف المد الواو أربع مرات.
-جاءت الفاصلة بعد تمام معنى الآية كالتعقيب على مضمونها في عشر آيات من السورة، في حين جاءت الفاصلة جزء من تركيب الآية مكملة لبنيتها في ثلاث آيات؛ هي(٢، ٤، ١٣)

نظام الفواصل وعلاقتها بسياق الآيات قبلها:

جاءت فواصل السورة الكريمة في عدة أساليب هي التأكيد، والتقديم والتأخير، والخبر والإنشاء.

أولا: التأكيد

سيطر التأكيد على سياق الفاصلة فجاء في أكثر مواضع السورة، وتنوعت حسب أغراض السياق ومقاماته:

أ- الجملة الشرطية المؤكدة الجواب

-وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)

تؤدي الإحالة بالضمير دورا في تماسك الجمل في النص، وقد جاءت في هذه الفاصلة بالضمير العائد على ما تقدم من سياق الكلام ليتم التماسك لفظيا؛ لأن "الضمير في (يَفْعَلْهُ) عائد على الاتخاذ المذكور"[١]، ومعنويا من خلال التأكيد على الانتهاء عما نهى عنه في أول الآية؛ وقوله: (منكم) من قوله تعالى: (ومن يفعله منكم)؛ فائدته "أن من فعل هذا الفعل فقد ضل سواء السبيل نقول: إذا كان المراد من منكم من المؤمنين فظاهر، لأن من يفعل ذلك الفعل لا يلزم أن يكون مؤمنا"[٢]، وسياق التحذير والتهديد وزيادة الحث على الفعل بادٍ في كل الجمل التي ختمت بها فواصل الآيات، وغلب على نهايتها الشرط.

ومثله قوله تعالى: -وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) حملت الفاصلة أسلوب الزجر والتهديد المشتملة عليه الآية التي جاءت تكرارا للحث على التأسي بإبراهيم عليه السلام، والتشديد في النهي على من يرفضه أو يعرض عنه.

---

[١] المحرر الوجيز٥/٢٩٤.

[٢] التفسير الكبير٢٩/٥١٧.

-وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) جاءت الفاصلة بعد محتوى الآية الناهي عن موالاة من قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم.

ب- الجملة الخبرية المؤكدة

يأتي تأكيد مضمون الخبر في فاصلة الآيات المنتهية بالجملة الخبرية؛ إشارة إلى حاجة سياق الآية لتثبيت المتلقي، كما يرتبط التأكيد الذي جاء في أكثر فواصل السورة بتأكيد مراد السورة، وغرضها الذي نزلت من أجله، فدعاء المؤمنين بألا يكونوا فتنة للمشركين، يحتاج إلى عزة الله وحكمته؛ لذا قال: (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(٥)، وفيه "إشارة إلى قدرة الله وعزّته التي يعزّ بها المؤمنين، ويحميهم من أذى الكافرين، حتى لا يفتنوا فى دينهم.. وعزّة الله عزّة قائمة على الحكمة، فكل ما يصدر عن قوة الله، وعزته، هو عن حكمة محكمة، لا عن هوّى، وتسلط، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.."[1]

ومثله تأكيد مضمون الجملة؛ في قوله:

- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) (بعد الدعوة إلى العدل والقسط مع غير المسلمين، جاء بالفاصلة تعليلا لهذا القسط.)

- إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)(سبقها دعوة إلى الاستغفار بعد المبايعة، فكان التعليل في الفاصلة.)

-قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)(١٣)(مضمون الآية في النهي عن موالاة من غضب الله عليهم، فجاء بالتأكيد لاستحالة صلاحهم.)

ثانيا: الجملة الخبرية

-قال تعالى: (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)(٢)

الفاصلة هنا من أنواع الفواصل التي تأتي مكملة لمضمون الآية، وليست تعقيبا أو تعلقا بما سبقها بل هي جزء مكمل لبناء الآية، وختمت الآية بهذا الجزء لأنه إذا كانت قضية السورة النهي عن موالاة من عبد غير الله؛ فإن هؤلاء لن يفوتوا الفرصة للوقوف حيال من يعبده؛

[1] التفسير القرآني للقرآن ١٤/٩٠٠.

فقد "تكون إرادة الشر من السبق الوجودي إذ هي عمل قلبي...وأن أعدى الأعداء لك من يتمنى أن يفوتك أعز الأشياء لديك وأعز الأشياء عند كل أحد هو دينه، فقال متمما لما سبق مفردا لتلك الصفة الرزيلة(وودوا لو تكفرون)"[1]، ولذلك نلحظ التدرج من أول الآية إلى آخرها، وقد أدى الشرط دورا في هذا التدرج والتماسك داخل الآية حيث "يتدرج القرآن في تهييج قلوب المؤمنين ضد أعدائه وأعدائهم حتى يصل إلى قمته بقوله لهم عنهم: (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)"[2]

وقد تختم الآية باسم من أسمائه الحسنى وصفاته ليناسب مجيئه في الفاصلة سياق الآية، وهي سمة عامة في القرآن كله وخاصة بالسورة الكريمة؛ ففي قوله: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(١٠) مناسبة الفاصلة لما قبلها أنه لما ذكر امتحان المؤمنات والارتياح إلى إيمانهن طلب إليهم عدم إرجاعهن إلى الكفار مع ذكر السبب والعلة، كما طلب إليهم إتيانهم وما أنفقوا كما جوز نكاحهن ونهي عن التمسك بالكوافر ثم قال معظما ما ذكر من شرائع ذلكم ناسب أن يأتي بالفاصلة (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) لأنه "يعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، ويشرع لكم ما تقتضيه الحكمة"[3]، كما جرى إعداد الفاصلة بالعلم وحكمة لذكر مادة حكم قبل الفاصلة في قوله تعالى: (ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ).

ومثله قوله: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(٣) واختار البصير على الخبير في فاصلة الآية "أن الخبير أبلغ في العلم، والبصير أظهر منه فيه، لما أنه يجعل عملهم؛ كالمحسوس بحس البصر"[4]

- والله قدير وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) (الفاصلة معقبة على مضمون الآية الحاملة للبشارة بقرب المودة بين المسلمين وأرحامهم في مكة، ولم تكن قد ظهرت بعد علامة ذلك).

ثالثا: الجملة الإنشائية الطلبية

---

[1] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية، ص٦٤٦.

[2] في ظلال القرآن ٣٥٤١/٦.

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٨٥٧.

[4] مفاتيح الغيب ٥١٨/٢٩.

-قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)(١١)

وردت الجملة الإنشائية على صيغة الأمر في فاصلة واحدة، بعد امتحان المؤمنات في الآية السابقة عليها، وبعد بيان العلاقة بين المؤمنة وزوجها غير المسلم والعكس، ذكر في هذه الآية كيفية وصول حق الزوج المؤمن الذي لم يرد الكفار إليه مهر زوجه، وهو أن يُدفع له من الغنائم وفي الآية "تحريض للمسلمين على الوفاء بما أمرهم الله وأن لا يصدهم عن الوفاء ببعضه معاملة المشركين لهم بالجور وقلة النصفة، والجملة الاسمية في الصلة للدلالة على ثبات إيمانهم."[١] ولذلك جاءت الفاصلة "تعقيبا على هذه الأحكام، وأنها يجب أن تقوم عند المؤمن في ظل من تقوى الله، حتى لا يقع فيها جور، أو انحراف عن ميزان العدل والإحسان"[٢]

رابعا: التقديم والتأخير

ومن صور التقديم والتأخير في الفاصلة: قوله تعالى: (وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)(٤) ؛ حيث جاءت الفاصلة بعد ذكر دعوته تعالى المؤمنين إلى التأسي بإبراهيم ومن معه، وجاء سياق الآية في خاتمتها من مقول إبراهيم ومما يجب على المؤمن التأسي به أيضا وهو طلب العون من الله، فقدم الجار والمجرور في قوله: عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، و"وتقديم المعمول لقصر التوكُّل والإنابة والمصير عليه تعالى."[٣]، وفي التقديم أيضا القصر والحصر واختصاصه تعالى وحده دون غيره بتصريف هذه الأمور بدليل قوله في حشو الآية (حتى تؤمنوا بالله وحده).

-وقوله تعالى: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(٣) قدم (ما تعملون) على (بصير)؛ لموافقة سياق الآية الداعي إلى عدم موالاة الأرحام والأولاد والتعلق بنفعهم من دون الله وإلقاء المودة إليهم سرا أو علانية، فالله يعلم أعمال العباد ويفصل بينهم يوم القيامة، وفيه تلميح بقصة حاطب وما فعله، وختام هذه الآية ورد فيما يقرب من اثني عشر فاصلة من القرآن الكريم، وورد مرة في قوله: (بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ومرة واحدة في عموم القرآن تقدم لفظ (بصير) على (بما تعملون)،

---

[١] التحرير والتنوير ١٦٤/٢٨.

[٢] التفسير القرآني للقرآن ٩٠٩/١٤.

[٣] البحر المديد ٢٣/٧.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(الحجرات:١٨)، وتقدم (بصير) على (ما يعملون) للغائب ثلاث مرات، ولكل موضع سياقه ومقامه.

أسماء الله الحسنى وصفاته

وقد استحوذت أسماء الله الحسنى وصفاته على أكثر فواصل السورة؛ فجاءت ألفاظ : بصير – العزيز الحكيم- الغني الحميد- والله قدير والله غفور رحيم- عليم حكيم- غفور رحيم ، مع تكرار قوله: (والله غفور رحيم) في آيتين(٧، ١٢) وكلها ألفاظ تناسب ما جاءت به السورة من تعاليم الحفاظ على العقيدة والنهي عن موالاة غير الله وأحبائه. فهو البصير بالأمور، العزيز الغالب الحكيم الذي يضع الشيء في محله، وهو الغني عن خلقه المحمود على نعمه لحاجتهم إليه، وهو القدير على إنفاذ الأمور، وهو العليم بالعلن والخفاء، وهو الغفور الرحيم، ويظهر من هذه الأسماء تكامل هذه الصفات وملاءمتها لسياق النص مما أسهم في تماسكه مع أداء الغرض من الخطاب في السورة.

الفصل الثالث

تحليل الخطاب

وتطبيقاته

تقديم

وردت كلمة خطب في معاجم اللغة بمعان كثيرة أهمها الكلام بين مرسل ومستقل؛ فتقول المعاجم: "خاطبه مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع، ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرها باختلاف معنيين؛ فيقال في الموعظة: خطب القوم فهو خطيب، والجمع الخطباء، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم"[١]، وفي المقاييس الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، وفي النكاح الطلب أن يزوج، قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة: ٢٣٥)، والخطبة: الكلام المخطوب به. ويقال اختطب القوم فلانا، إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم. والخطب: الأمر يقع؛ وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة"[٢]، "والخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب؛ قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾(طه:٩٥) – ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (الحجر:٥٧)، وفصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب"[٣]، وتدور معاني الجذر اللغوي لكلمة خطب حول مراجعة الكلام بين مرسل ومستقبل، والدعوة إلى شيء، والتقدم للزواج، والأمر المهم الواقع.

أما مصطلح الخطاب فيعني عند العرب-كما يقول ابن منظور-: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"[٤]، فالأصل في الخطاب والمخاطبة أن تكون مشفاهة مع وجود أمر مهم يقع، فلا تقع الخطابة إلا إذا كان هناك مثير قوي يدعو إلى مراجعة الكلام، وهو ظروف الخطاب الخارجية مع ضرورة حدوث هذا بين متكلم ومستمع في رسالة فيها الآليات المناسبة لكل هذه الأطراف.

وقد ورد لفظ الخطاب مرتين في النص القرآني؛ في قصص داود عليه السلام؛ قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ

---

[١] المصباح المنير، للفيومي، (مادة: خطب).

[٢] مقاييس اللغة، لابن فارس، (مادة: خطب).

[٣] المفردات، للراغب الأصفهاني، (مادة: خطب).

[٤] لسان العرب، لابن منظور، (مادة: خطب).

وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۝ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝﴾ (ص: ١٧-٢٣)

حيث ورد لفظ الخطاب مرتين في هذه القصة، وفيها تسلية لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الآيات حثٌّ له ﷺ على الصبر نتيجة ما حدث من تكذيب قومه المبسوط في الآيات الأولى من مطلع سورة ص، ثم عرض لوصف داود عليه السلام بصفات كثيرة منها وصفه بالحكمة وفصل الخطاب، والحكمة تكون في القول والفعل، وزاد الحكمة في القول مطنبا في قوله: فصل الخطاب، ويعني به "البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه"[1]، كما ورد لفظ الخطاب في قوله تعالى حكاية لحال الكافرين يوم القيامة: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (النبأ:٣٧)، لا يقدرون على مخاطبته بعدما قدموا من عصيانه ومحاربة دينه، "والخطاب: الكلام الموجه لحاضر لدى المتكلم، أو كالحاضر المتضمن إخبارا أو طلبا أو إنشاء مدح أو ذم."[2]

وجاء النهي عن خطاب التوسل في شأن الكافرين في القرآن الكريم في قول الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام بعدما أقام الحجة على من كفر به، حيث ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما؛ قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (هود:٣٧)، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (المؤمنون:٢٧)؛ لأن نوحا عليه السلام في هذا المقام سوف يستثمر كل ملكاته في التوسل إلى الله رغبة منه أن ينجي ابنه، وقد ذكر القرآن خطاب نوح على استحياء من الله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾(هود:٤٥)

---

[1] الكشاف، للزمخشري، ٤/٨٠.

[2] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٣٠/٥٠.

ولم يك بلاغيو العرب بمعزل عن فنون الخطابة فهناك من الكتب التي تحوي بين دفتيها بسطا لصفات الخطيب والكلام وعيوب النطق والصوت والمخارج، ومراعاة المقام، في إشارات تحظى بالاهتمام وتعد سبقا في مجال الإحاطة بكل ما يخص الخطاب ويدور في أسباب بنائه، فقد وردت متفرقات في كتاب البيان والتبيين تتعرض لما يجب أن يكون عليه حال الخطيب والخطبة والطريقة التي تؤدى بها؛ ومنها باب في ذكر اللسان، وآخر في حسن البيان، وفي إعابة العي والحمق، وباب في التشادق والإغراق في القول، وغير ذلك مما ورد في ثنايا الكتاب، وقد جعل الجاحظ مدار البيان والبلاغة هو كل ما يتصل بحسن التوصيل وبلاغة التأثير وهي أمور تعد من أركان العملية التواصلية.

ويمكننا القول إن البيان عنده مقصوده الخطاب البلاغي الذي يعتمد على الفهم والإفهام بين المرسل والمتلقي؛ يقول عن البيان إنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان"[1]، وقد دار معنى مصطلح الخطاب عند العرب بعد الجاحظ في كثير من تعريفاتهم له حول الفهم والإفهام؛ يقول علي بن مُحَمَّد الآمدي: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[2]، والبيان عندهم أدوات توصيل الخطاب من حيث الفهم الذي يعتمد على المرسل، والإفهام للمستمع برسالة واضحة ليس فيها عي أو خلل وبخاصة عيوب النطق.

ويمكن القول إن الفهم للمتلقي والإفهام من المرسل ورسالته ومقامها، وهي من مواصفات الخطاب وآلياته، فلا شك أن البحث البلاغي العربي قد وصل إلى مثل ما قدمته المدارس الحديثة في تحليل الخطاب وإن لم يسمها باسمها، ويضع لها القواعد والأصول والمنطلقات، لتكون علما يتوصل به إلى سبر أغوار النص وفك شفراته، وقد غلب على العرب الاهتمام بالمنهج التفسيري للخطاب؛ نظرا لاهتمامهم بالنص القرآني الذي وجههم تلك الوجهة.

---

[1] البيان والتبيين، للجاحظ، ص٥٤، ٥٥.

[2] الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، ١٣٦/٢.

كما اهتم الفكر اليوناني من قبل بالخطابة فجعل أرسطو "عناصر الخطابة ثلاثة؛ هي: وسائل الإقناع والبراهين، الأسلوب أو البناء اللغوي وترتيب أجزاء القول، ثم هناك عناصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو- ومنهم البلاغيون العرب- عنصرا مستقلا يتضمن الحركة والصوت"[(١)]، وهذه الوسائل الإقناعية من براهين وأدلة، وأيضا بلاغة اختيار الألفاظ اللغوية المكونة للخطاب، وطريقة إلقاء الخطاب من حيث النغمة والنبر في الصوت وغير ذلك، كلها أسس جعلت منها جميع الحضارات -عربية، ويونانية، وأوربية حديثة- أدوات مهمة في قدرة الخطاب التأثيرية؛ إلا أن الفكر الغربي الحديث كان مجاله أرحب في وضع القواعد ومناقشتها، فتعددت المدارس المهتمة بهذا المجال وتفرعت وتشعبت نظرا لاختلاف الرؤى ومنابع التكوين.

وبدا أن مبعث ظهور مصطلح تحليل الخطاب في العصر الحديث هو تجاوز الجملة وبلاغتها في التحليل النقدي، -وقد كانت الجملة محط اهتمام علماء اللغات في الشرق والغرب- إلى الحديث عن بلاغة النص أو الخطاب بشكل عام؛ أي: كل ما يتلفظ به، وظهرت هذه النظرية على يد عالم اللغة الأمريكي هاريس عام ١٩٥٢م في بحثه (تحليل الخطاب)، وهو عنده "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[(٢)]، فهو يركز على قبول العلاقات فيما بين الجمل بعضها ببعض في تسلسل ومنهجية دون إقحام أو فرض لبنيات دخيلة تعيق التلاؤم بين المتتاليات داخل الخطاب.

ولا يقف الأمر في بلورة مصطلح الخطاب عند هاريس على الملفوظات ومكوناتها داخل الخطاب بل إلى طريقة التلفظ، كما بدا عند بنفست حيث يرى نجاعة الخطاب تتجلى في القيمة التواصلية للغة الخطاب؛ يقول: "هو كل مقول يفترض متكلما ومستمعا، وتكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما"[(٣)]، والتأثير روح كل خطاب، ولا غنى عنه طالما وُجدت أطراف الخطاب وظروفه، أما الخطاب عند ميشال فوكو -المفكر الفرنسي- فيركز على

---

(١) بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري، ص٢٠.

(٢) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ص ١٧.

(٣) تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، إبراهيم صحراوي، ص١٠.

نص الخطاب؛ حيث يقول: "هو مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ مع تفسيره إذا اقتضى الحال، بل هو عبارة عن عدد محصور من العبارات التي نستطيع تحديد شروط وجودها"[1]، في إشارة إلى الاستعمال التداولي الفعلي للغة وليست اللغة كنظام معجمي؛ فالخطاب عنده مجموعة من العبارات التي تنتمي إلى تشكيلة خطابية معينة، ولكل خطاب أدواته وعباراته التي هي شبكة متآلفة في ألفاظها ومعانيها.

ومن هنا يمكن أن نفرق بين النص والخطاب بوصف النص جملة من العبارات والتراكيب التي تستدعى عند الحاجة إليها مع موافقة هذا الاستدعاء للسياق الواردة فيه، أما الخطاب فهو أعم وأشمل حيث لا يقف عند حدود النص بل يتعداه إلى كل ما يمكن أن يسهم في بناء النص من علاقات متشابكة ومتداخلة مختزنة في الوعي أو غير مختزنة، تأتي باختيار المرسل أو مفروضة عليه لظروف خارجية تشكل وعيه وتضبط خطابه، "وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان من خلال استعمال النص، فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما...ومصطلح الخطاب هو مجموعة النصوص التي يربط بينها مجال معرفي واحد، أما عالم الخطاب فهو الهموم المعرفية"[2]، فإذا كان النص مجموعة من الأحداث اللغوية التي تحتاج في قراءتها إلى السياق المحيط بها؛ فإن كونها أحداث لغوية يجعل اهتمامها الأول مكونات هذه الأحداث من مفردات وجمل وعبارات وأخيلة، أما الخطاب فينطلق من الحدث الخارجي (المقام) فهو المفجر لاختيار مفردات لغوية معينة تصلح لهذا الموقف أو ذاك، وسواء كان الخلاف حول أي اللفظين أعم أو أخص فإنهما يتكاملان لخدمة الغرض الأسمى وهو مقصد المتكلم من كلامه، ومبعث الاختلاف بين النص والخطاب رغم تداخل المصطلحين؛ أن أحدهما: وهو النص يكون مكتوبا، أما الخطاب فيكون شفهيا.

---

[1] حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، ص١٠٨.

[2] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، ص٦.

ويقوم المتحدث لكي يعبر عن نفسه -على حد قول أوستن وسيرل- "بتأدية ثلاثة أعمال ذات قوى مختلفة في وقت واحد، أولها: القوة التعبيرية؛ وهي التعبير الظاهري المتضمن في جملة من الأصوات المتتابعة، هذه الأصوات ذات معنى محدد في موقف معين، أما القوة الثانية؛ فهي قصد أو هدف أو نية المتحدث من إطلاق هذا التعبير، وهو ما يسمى بالقوة اللاتعبيرية؛ أي محاولة المتحدث إنجاز حدث تواصلي معين، أما القوة الثالثة؛ فهي أثر أو نتيجة التعبير بالنسبة للمتلقي أو المستمع، وهي ما تعرف باسم القوة التعبيرية الفوقية؛ هذه النتيجة أو الأثر رهن بالظروف الخاصة بالتعبير"[1]، فالمتحدث هو عماد العملية الخطابية، ولكي يكون الخطاب مكتملا يجتهد المتحدث في استغلال ملكاته، ويطوعها للتوصيل المناسب للمتلقي مع رسالة ليس فيها غموض أو تعمية من خلال اللغة المتحدث بها.

وليست كل النصوص الخطابية متشابهة في ظروف تكوينها، ونظرا لهذا الاختلاف الجوهري في التكوين تختلف صياغة الخطاب الداخلية، وبخاصة "عندما نتحدث عن نص فإننا نحيل على أفق خاص له حدود معينة وتتجلى في هذا الفضاء مجموعة من الدلالات التي يسمح بها النص وهي دلالات يتعين على القراءات النقدية تحديد مكوناتها، وكشفها وتفسيرها بمنظور أسلوبي، أو بنيوي أو سيميولوجي، حيث تمثل شبكة من التقنيات الفنية المحددة بالاستعارات، والرموز وأشكال التكرار والتوازي والإيقاع والتصوير، والشفرات السردية، مما يتميز به النص الأدبي عن النصوص اللغوية الأخرى، ويدعو قارئه إلى أن يتبين فيه دلالات مفتوحة، غير أحادية منسجمة مع شكل الخطاب، ومرتبطة في الآن ذاته بطبيعته الشعرية"[2]، فلكل نص ظروف ومعايير، لكن تتفق النصوص السردية المنثورة في كثير من الخصائص مع النصوص الأدبية السردية، والخطابة جزء من هذه الفنون على مر التاريخ؛ لذا لا بد لناقد الخطاب أن يكون على دراية بهذه العلاقات بين الأجناس الأدبية كافة.

مبادئ انسجام خطاب شيخ الأزهر

---

[1] الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، ص٥١.

[2] مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ص ١٩١.

يبدو الخطاب هنا منسجما مع آليات التواصل من خلال توافر الظروف الملائمة للخطاب، والتي كان لها الأثر فيما آل إليه الخطاب من نتائج، وسياق الخطاب يرتكز على مجموعة أسس؛ منها: المرسل، الرسالة، المستقبل، الزمان، المكان.

المرسل: هو منشئ الخطاب وقائله وملقيه بطريقة تتفق مع ظروف الخطاب وسياقاته المختلفة اجتماعيا وثقافيا ونفسيا، مع إلمامه باللغة وتراكيبها وطريقة الصياغة المثلى لنوعية الخطاب، ومع وجود نوازع التأثير في الآخر ومشاركته ما يؤمن به من أفكار واتجاهات، "والمتكلم حينما يوجه خطابه إلى المستمع، فإنه لا يريد أن ينقل إليه بعض الحقائق، ولكنه يريد أيضا أن ينقل إليه مشاعره تجاه الحقائق"[(١)]، فالخطاب ليس مجرد كلمات تقال وإنما هي كلمات محملة بتعبيرات وإيحاءات وإشارات ورموز يستطيع المتلقي فهمها إذا وافقت استعدادا ومقبولية عنده، والخطابة هي العملية التواصلية الجامعة بين ركني هذه العملية، وهي "ملكة جعل الآخرين يشاركوننا آراءنا وطريقة تفكيرنا في شيء ما، وكذلك إيصال عواطفنا الخاصة إليهم، وجماع القول أن نجعلهم يتعاطفون معنا، ويجب أن نصل إلى هذه الطريقة بغرس أفكارنا في أذهانهم بواسطة الكلمات، وذلك بقوة تجعل أفكارهم الخاصة تنصرف عن اتجاهها الأول لتتبع أفكارنا التي ستقودها في مسارها"[(٢)]، وذلك نظرا لطبيعة الخطاب التي تهتم بكل أركان العملية التواصلية، ومقامها، وزمانها، ومكانها، بل من سينقل إليهم الكلام من غير الحاضرين عبر تقنيات التسجيل والأقمار الصناعية.

والمرسل هنا **شيخ الأزهر الشريف** (أ.د. أحمد الطيب*)، وهو على رأس المؤسسة الدينية المعروفة في مصر بالأزهر الشريف -أحد أهم قلاع المذهب السني في العالم الإسلامي-

---

(١) الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، ص٧٥.

(٢) في بلاغة الخطاب الإقناعي ، د. محمد العمري، ص١٣.

* هو الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد أحمد الطيب، ولد بقرية القرنة التابعة لمدينة الأقصر في ٣ من صفر من عام ١٣٦٥هـ الموافق ٦ من يناير عام ١٩٤٦م، نشأ ببلدته ثم تعلم في الأزهر؛ حفظ القرآنَ وقرأ المتون العلميَّةَ على الطريقة الأزهرية الأصيلة، ثم التحَقَ بشُعبة العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة حتى تخرَّج فيها بتفوق عام ١٩٦٩م، حصل على الليسانس – شعبة العقيدة والفلسفة –الأزهر– عام ١٩٦٩م، وعلى درجة الماجستير عام ١٩٧١م، كما حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٧م من الشعبة نفسها، عُيِّن بدرجة أستاذ بالكلية في ١٩٨٨/١/٦م، سافر إلى فرنسا لمدةِ ستةِ أشهر في مهمةٍ علميَّةٍ إلى جامعة باريس من ديسمبر عام ١٩٧٧م إلى= =عام ١٩٧٨م، و يُجيد اللغةَ الفرنسية إجادةً تامَّةً، ويترجم منها إلى اللغة العربية، أسس الرابطة العالمية لخريجي الأزهر ورأس المؤتمرات الدولية التي عقدتها، عمل بعدد من الجامعات العربية والإسلامية خارج الأزهر؛ وهي: جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، والجامعة الإسلامية العالمية –إسلام آباد– باكستان وجامعات أخرى، شارَك في العديد من المؤتمرات واللقاءات الإسلامية، ونال العديد من الأوسمة والتكريم من دول وملوك وجامعات عربية وإسلامية، له العديد من المؤلفات

أنشئ الأزهر فيما بين عامي (٣٥٩هـ-٣٦١هـ) (٩٧٠م-٩٧٢م)، ويربو تاريخه على ألف عام كجامع وجامعة لتدريس المذاهب الفقهية وعلوم الدين واللغة والتاريخ والفلسفة وغيرها، ولا شك أن مكانة الخطاب -محل الدراسة- تأخذ في الحسبان من بين ظروف الخطاب الخارجية هذه المكانة المهمة للأزهر؛ فخطاب شيخ الأزهر خطاب للأزهر وتوجهاته، فلا ينظر إلى الخطاب بمعزل عن توجه المؤسسة كاملة.

وتتسم طريقة إلقاء شيخ الأزهر بسمة القراءة الشفهية من خطاب مكتوب لا يخرج عن الخطاب وما كتب فيه طول مدة مكث الخطاب؛ لكنه يتواصل مع الجمهور بالنظر إليهم بين الفينة والأخرى حتى لا يفقد الخطاب خصيصة التواصل البصري التي تميز بها شيخ الأزهر عبر كل الخطابات التي ألقاها من قبل، فسمة كل خطاباته القراءة من أوراق مع مرونة التواصل البصري وحركات الجسد ونغمة الصوت والوقفات في مواضع معينة.

المُستقبِل: هو الذي يتلقى الخطاب سواء كان مكتوبا أو شفويا، وهو محل عناية المرسِل واهتمامه، والمتلقي له أحوال كما بينتها البلاغة العربية، فجعلت لإلقاء الخبر عليه ثلاثة أضرب: إما أن يلاقي مخَاطَبا خالي الذهن يقبل ما يلقَى عليه، أو يلاقي مخاطَبا مترددا بين القبول والرفض، أو يلاقي مخاطَبا منكرا للخبر فيؤكد له الجملة؛ ولكن الواضح أن اختلاف درجات الاستقبال عند المتلقي لا يعني أنه خالٍ للذهن في كل أحواله؛ لأن "المستمع حين يواجِه خطابا ما لا يواجهه وهو خالي الوفاض وإنما يستعين بتجاربه السابقة، بمعنى أنه لا يواجهه وهو خالي الذهن، فالمعروف أن معالجته للنص المعاين تعتمد ضمن ما تعتمده، على ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص

والبحوث والترجمة منها؛ الجانب النقدي في فلسفة أبي البركات البغدادي،ومباحث الوجود والماهيَّة من كتاب المواقف- عرض ودراسة، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ترجم العديد من المؤلفات منها؛

Osman Yahya, Histoire et classification de l'oeuvre d'Ibn Arabi

من الفرنسية إلى العربية بعنوان: مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

تقلد منصب الإفتاء يوم الأحد ١٠/ ٣/ ٢٠٠٢م، فقد صدر قرارًا بتعيينه مفتيًا للديار المصرية، وتولَّى الإفتاء وعمره ٥٦ عامًا، وظلَّ في هذا المنصب حتى ٢٠٠٣/٩/٢٧م حيث صدر قرارٌ بتعيينه رئيسًا لجامعة الأزهر الشريف، وقد أصدر خلال فترة تولّيه الإفتاء حوالي (٢٨٣٥) فتوى مسجَّلة بسجلات دار الإفتاء المصرية، وفي يوم الجمعة ٣/١٩/ ٢٠١٠م، صدر القرار -=رقم ٦٢ لعام ٢٠١٠م بتعيينه شيخًا للأزهر الشريف خلَفًا للإمام الراحل الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، وما زال قائمًا بمهامِّ منصبه كشيخٍ للأزهر الشريف حتى الآن..." راجع السيرة الذاتية في بوابة الأزهر، تحت عنوان: شيخ شيخ الأزهر، فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد أحمد الطيب. http://www.azhar.eg/m-alazhar/sheikh-alazhar

(والتجارب) السابق له قراءتها ومعالجتها"[1]، وقبوله لهذا الخطاب أو ذاك يعود إلى معارفه وخبراته، فإذا كانت خبراته بالخطاب قليلة اعتمد على ثقته في مرسِله، والمستقبل هنا لهذا الخطاب هم أربع فئات: أولها: البابا فرنسيس بابا الفاتيكان، وثانيها: المسيحيون، ورجال الدين المسيحي من الشرق والغرب، وثالثها: المسلمون، ورجال الدين الإسلامي، ورابعها كل من يتابع الخطاب حول العالم سواء كان مباشرا أو مسجلا عبر تقنية الفيديو والصوت.

الرسالة: وهي مجموعة معان وألفاظ وكلمات تكوّن تراكيبا وجملا وعبارات تحمل دلالات ورموزا لتكون خطابا يتفق مع المقام والمتلقي، كما أنها "المضمون أو الفكرة التي يرسلها المرسل إلى متلق، وتتم من خلال الكلمة المكتوبة أو المنطوقة أو من خلال الإشارة أو علامة (شفرة) تتضمن المعنى المقصود من الرسالة الاتصالية... وتمثل القدر المشترك بين المرسل والمستقبل فتسهل عملية الاتصال، وتشعر المستقبل بالدفء، والانتماء لصاحب الرسالة، فهي وسيلة تفاهم مشتركة"[2]، وهذا التفاهم بين المرسل والمستقبل هو الذي يحقق قدرا من نجاح الرسالة خاصة إذا كانت الرسالة حجاجية، والرسالة هنا ألقيت باللغة العربية لغة التحدث للعرب، ونقلت مترجمة إلى البابا فرنسيس بابا الفاتيكان والحضور من غير العرب، فحواها البحث عن السلام لكل شعوب العالم، ونفي تهمة العنف والإرهاب عن الإسلام، والرجوع إلى الأديان ومناهجها السليمة بدلا من الهرولة خلف الفلسفات والنظريات الحديثة التي أثبتت فشلها في حل مشاكل المجتمعات، وأخيرا دعوة الأزهر إلى التعاون من أجل حل هذه المشكلات.

الزمان: ألقي الخطاب في الساعة السادسة مساء يوم ٢٨ إبريل ٢٠١٧م، **والمكان:** مكان إقامة مؤتمر الأزهر العالمي للسلام في مركز الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر، محافظة القاهرة.

توصيف الخطاب

جاء خطاب شيخ الأزهر محل الدراسة يوم ٢٨ إبريل ٢٠١٧م في المؤتمر العالمي للسلام الذي أقامه الأزهر الشريف في الفترة (٢٧، ٢٨ أبريل ٢٠١٧م)، واستمر الخطاب حوالي ١٠ دقائق و٣٠ ثانية حسب تقنية الفيديو(التسجيل)، وورد فيما يقرب من ٨٧٩

---

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص٦١.

[2] لغة الخطاب السياسي ، محمود عكاشة، ص٢٤.

كلمة، أي بمعدل٨٦ كلمة في الدقيقة وهو معدل وسط ليس بطيئا ولا سريعا، وإنما يتلاءم مع الموقف وظروفه، وجاء الخطاب موجزا معبرا عن الواقع، ركز فيه على قضية نسبة الإرهاب إلى الأديان، وبخاصة الدين الإسلامي الحنيف مبينا أن ما ينسب إلى الأديان من فهوم مغلوطة يؤجج الصراع بين الأديان والحضارات وهو مبعث العنف والكراهية، كما دعا خلال خطابه إلى نبذ التطرف والإرهاب بجميع صوره وأشكاله والتكاتف من أجل ذلك، وألا تحاكم الأديان من أجل قلة عابثة من هذا الدين أو ذاك، كما أكد فيه على منهج الأزهر في دعم وترسيخ قيم العيش المشترك واحترام جميع العقائد، ونشر ثقافة الحوار، والوقوف أمام سياسات الهيمنة وصراع الحضارات والحداثة اللادينية وما ينتج عنها من مآس وكوارث، وختم الخطاب بأمله في أن يكون اللقاء من أجل مستقبل أفضل تتعاون فيه الأديان والحضارات على نشر ثقافة السلام.

وهذا الخطاب يعد خطابا سياسيا توجه به إلى أكثر من فئة ومتلق حول العالم؛ يدور حول السلام العالمي، ولا يعد خطابا دينيا خاصا بالمسلمين؛ لأن أفكاره جميعها تتلاقى مع أفكار الديانات والحضارات واللادينيين؛ فهو خطاب يعبر عن فطرة الإنسان الذي يرفض التطرف والعنف بطبيعته، ولا ينصِّب من نفسه حكما يحكم بصواب هذا أو خطئه.

وقد جاءت الدراسة في عدد من النقاط التي توقفت عند الظواهر التي اعتمد عليها الخطاب؛ كالإشاريات في الخطاب وهي كثيرة، كما توقفت الدراسة عند الحذف وتعني به ما سكت عنه الخطاب ولم يصرح به من قضايا تُفهم من سياق الكلام، كما تعرض لبيان الظواهر البلاغية والبنى الأسلوبية واللغوية في الخطاب، وعرض لدور التناص والاستشهاد، كما عرض للحجاج في الخطاب؛ روابطه وعوامله، والقياس الحجاجي، والسلم الحجاجي، وأخيرا علاقة المتلقي بالملقي من خلال آلية التصفيق؛ وجاءت التفصيلات على النحو الآتي:

أولا: الإشاريات ودورها في الخطاب

وسيلة سيميائية من وسائل تحليل الخطاب وتحديد وجهته ومقاصده، وآلية مهمة من آليات بنائه تفرض نفسها من خلال كثرتها وتنوع أغراضها بل يُتوصل من خلالها إلى بعض خفايا النص وثقافة مرسله وأيديولوجيته، و"في كل لغة عدد محدود من الكلمات التي يعتمد

جزء من معناها على الموقف الذي تستخدم فيه، أي على المتكلم والمخاطب والمكان والزمان الذي حدث فيه القول، هذه الكلمات تدعى الكلمات الإشارية لأنها تنطوي على نوع من الإشارة، ويمكن أن ندعوها الكلمات الموقفية؛ لأن معناها يعتمد على الموقف الذي تستخدم فيه"[1]، كالإشارة إلى ضمائر أو أعلام أو ديانات أو حضارات أو أماكن كل هذه الأشياء لها دلالاتها في اختيار المرسل لتوافق سياق الخطاب وقبول المتلقين، وقد جاء خطاب شيخ الأزهر في سياق مؤتمر الأزهر المعنون بالمؤتمر العالمي للسلام، فالسلام كلمة المفتاحية وعليها دوران العملية التواصلية، ولها شبكة من العلاقات والتشكيلات الخطابية التي تتفق مع المصطلح، وكلمتا: (السلام، العالمي) الموجودتان في عنوان المؤتمر لا تشيران إلى السلام مع النفس -أي الإسلام- وإنما تشير إلى العلاقات بين الأديان والحضارات.

وقد جاء الخطاب موجزا وكان لإيجازه وقصره دور في تكثيف المصطلحات وآليات اختيارها بما يتناسب مع المقام دون زيادة، بل يكتفي بالإشارة إلى الشيء دون الغوص في تفاصيله الداخلية، وبخاصة أن المخاطَبين من المثقفين دينيا من آباء الكنائس الشرقية والغربية وعلى رأسهم البابا فرنسيس بابا الفاتيكان.

وتبين الإشاريات في الخطاب مقصود الخطاب وعلاقات الجمل بعضها ببعض، ويُظهر تكرار ضمائر المتكلم أو الغائب أو الحاضر مستوى القضية وقيمتها، فقد كرر شيخ الأزهر ضمير المتكلم بطرق مختلفة مرة يعتمد على المفرد؛ فيقول: **(أعتقد – وفي اعتقادي-أتوجه)** وهي من الخطاب الإخباري التقريري، وفي هذه الحالة قد يعيد الأمر إلى شخصه وخبراته وتجاربه ومعارفه كعالم ومثقف متحملا تبعات هذا الاعتقاد دون نسبة هذا الأمر إلى الأزهر كمؤسسة أو الأخرى بأن يعيد هذه الألفاظ إلى شخص شيخ الأزهر، وأن هذا من فكر المؤسسة كاملة، وقد كان وقع مجيء هذه الألفاظ مفردة أحظى بالقبول عند السامع؛ لأن في جمعها تفخيما للذات وهو ما لا يقبله المتلقي، فالدعوة في الأساس قائمة على المودة والتشارك لا الإملاء والتعالي.

---

[1] علم الدلالة (علم المعنى)، د. محمد علي الخولي، ص٥١، ٥٢.

وفي اختيارات ضمير المتكلم (جمعا) يبدو توجيه الضمير حسب غرض الجملة وكثيرا ما يكون المقصود من توجيهه مؤسسة الأزهر وجميع الحضور على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم كنوع من التشارك في الخطاب والتسليم ببديهيات الفكرة وألَّا تعارض مع هذا الطرح في كل الأديان والحضارات؛ فمثلا يقول عن المآسي التي يتعرض لها الضعفاء:**(لا نعدو الحقيقة لو قلنا: إنَّ التَّاريخَ لَمْ يَعْرِف لها مَثيلًا مِن قَبلُ)**، وعند ذكر المهاجرين ومن يعانون ويلات الحرب والدمار من المسلمين والمسيحيين وغيرهم من الأفارقة الذين يموتون غرقا على شواطئ البحار كل لحظة، يقول: **(هذه المآسي التي كُتِبَ عَلَينا أن ندفعَ ثمنَها الفادِحَ من أرواحِنا ودمائِنَا)**، ويقول في آخر الخطاب أيضا: **(فلنسع، ولنعمل، ولنقف)**، والسعي في نصرة المستضعفين والجائعين...، والعمل على استنقاذ كيان الأسرة...، والوقوف معا ضد الدعوات الهادمة للسلام؛ كسياسات الهيمنة وصراع الحضارات...، ويقول: **(وأنْ يَجْعَلَ منه -أي المؤتمر- خطوةً حقيقيةً نتعاونُ فيها جميعًا على نَشْرِ ثقافَة السَّلام)**، فالتعاون من أجل البشرية تتشارك فيه كل الأديان والحضارات لرفع الظلم عن الإنسان، وجميع ضمائر الجمع تعود على الحضور جميعا وإن بدا من بعضها أحيانا التباس عودتها إلى الأزهر إلا أنه بعد التدقيق فيها يتبين عودة الضمير الحضور جميعا، وهو أمر يسهم في بناء هذا الخطاب التعاوني.

كما تجري الإشارة إلى المخاطب من خلال بعض الألفاظ التي ختمها بكاف الخطاب، وقد ظهرت في أول الخطاب عند الترحيب؛ نحو: **(لحضراتِكم، لاستجابتكم، وزيارتِكم)** ثم في آخر الخطاب عند التقريظ للبابا فرنسيس؛ يقول: **(وإنَّا لنقدِّرُ لكم -حضرة البابا- تصريحاتِكُم المُنصفَةَ، التى تدفعُ عن الإسلام والمسلمين تُهمَةَ العُنف والإرهاب، وقد لمسنا فيكم...)**، وبين أول الخطاب وآخره سرد لأحداث ووقائع الخطاب التي يريد توصيلها إلى المخاطب دون العناية بتوجيه هذه الأحداث إليه بل على طريقة العرض غير المباشر، وهذه الطريقة يبدو من انتهاجها إظهار المخاطب في موقع المسَلِّم بكل المعلومات والحقائق الواردة في الخطاب، وقد جاء التناسب المعنوي واللفظي واضحا في استخدام ضمير المتكلم جمعا وكذلك ضمير المخاطب جمعا، وله قيمته في اتزان الخطاب.

وفي إشارة إلى المضيف ظهر الأزهر الشريف في أول الخطاب مرحبا بالضيوف، يقول: **(وتحِيَّةً خالصَةً مِن الأزْهَرِ الشَّريف ومن مجلسِ حُكَمَاء المسلمين لحضراتِكم)**، وختم الخطاب به؛ لإقراره وإيمانه بالنصوص الواردة في الخطاب؛ فجاء بمثابة توقيع على الوثيقة المبرمة عن السلام من قوله: (**هذَا، ولا يَزالُ الأزهرُ يسعى من أجلِ التعاون...**) مستخدما الفعل المضارع الدال على الاستمرارية وتجدد العهد، ويؤدي الفعل هنا دور الربط بين الماضي والحال، مما يبين عدم التناقض بين دعوات الماضي والآن.

كما تبين الإشارة إلى الأماكن مدى رحابة الخطاب واتساعه أو ضيقه حسب رغبات المتكلم والسياق الوارد فيه الخطاب؛ فنظرا لطبيعة الخطاب العالمية، ذكرت الأرض ثلاث مرات؛ في قوله: **(أنَّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهَّدة)، (والمُعذَّبين فى الأرضِ)، (واستنقاذِ البيئة من الفَسَادِ والمُفْسِدِينَ في الأرض)** مما يؤكد عالمية الخطاب ورحابته، فليس مقصورا على فئة من البشر دون أخرى، يقول: **(واحترامِ الإنسان أيًّا كان دينُه ولَونُه وعِرقُه ولغتُه).**

كما ورد ذكر السماء مرة مضافة إلى الرسالات التي جاءت بها الرسل في قوله: **(ولا حَلَّ فيما يُؤَكِّدُ عُقلاءُ المُفَكِّرين فى الغَربِ والشَّرقِ إلَّا فى إعادةِ الوعى برسالاتِ السَّماء)**، وأن الأصل في تمسك الناس جميعا برسالات السماء؛ لأنها أقصر الطرق إلى حل مشكلات الأرض وقضاياها المعقدة.

وذكر أماكن محددة؛ منها: مصر بوصفها موضع انعقاد المؤتمر والداعية إلى نشر ثقافة السلام، ولها تجارب حقيقية في هذا متمثلة في معاهدة السلام مع إسرائيل ٣/٢٦/ ١٩٧٩م، وهنا يبرهن على مد يد السلام للعالم عبر القول والفعل، وعلى جميع الأطراف الالتزام به، فلا ندعو طرف إلى الالتزام به فيما يبقى الآخر في حِل منه، كما ذكر فلسطين في سياق الصراع حول الأرض، وخطاب الأزهر دائم التذكير بتلك القضية في كل محفل وعلى كل الأصعدة، وفي هذا الخطاب كان حضور فلسطين مهما، وهو يتحدث عن صراع على مرمى حجر من مؤتمره، في تعريض واضح إلى ضرورة السعي من أجل حل النزاع القائم هناك، كما ذكر مدن هيروشيما ونجازاكي في سياق التذكير بأفعال الولايات المتحدة الأمريكية هناك، وأنه إذا نُسب الإرهاب إلى الإسلام زورا؛ فالأولى أن ينسب إلى هذه الحضارات المزعومة.

كما ذكر الديانات الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية، والحضارتين الأوربية والأمريكية في إشارة إلى أهم الديانات مع كثرة أتباعها، وأبرز الحضارات الباقية الحاضرة في المشهد الآن؛ لإسقاط ما يريد إسقاطه من حجاج على المتلقي في نسبة الإرهاب إلى فئة دون أخرى مع التساوي في شذوذ طوائف من كل فئة.

وذكر الخطاب أيضا فترات تاريخية وأزمنة معينة دارت فيها أحداث يشترك المرسل والمتلقي في استحضار دلالاتها؛ كالحروب الصليبية والصورة الذهنية لما خلفته من دمار وقتلى، والأفكار الهدامة في الحضارة الحديثة، وعجز العصر الحديث، والقرن الواحد والعشرين عن حل مشكلات المجتمعات، وذكر كلمات يعتمد ذكرها على الإشارة إلى زمان القول ككلمة: (الآن) التي كررت ثلاث مرات، وهي لتحديد وقت وقوع الحدث الكلامي، في قوله: **(كيف أصبحَ السَّلامُ العالمى الآن وسط كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقُود؟)، (أنَّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهَّدة لأن تأخذ الأديان دورها)، (كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن)**، و كلمتا: صباح مساء على طريقة الإتباع عند ذكر القرآن الكريم، للإشارة إلى تعاهد تلاوته وكثرتها، ولذلك فلكل زمن دلالة ومغزى حسب وروده.

كما استخدم الخطاب أدوات الإشارة؛ ومنها: الأداة (هذا) في عدة مواضع، وبخاصة بعد انتهاء الجانب الأول من الخطاب الذي عرض فيه للقضايا التي أراد عرضها على المتلقين، ثم اتجه إلى بيان منهج الأزهر ودعوته إلى المشاركة في كل عمل يخدم الإنسانية؛ يقول: **(هذَا، ولا يَزالُ الأزهرُ يسعى من أجلِ التعاون)**، وتقوم هذا هنا بالربط بين أجزاء الخطاب.

وأشار الخطاب إلى أعلام حاضرة كمخاطبين وأخرى للاستشهاد بها وبأحوالها، فذكر فرنسيس بابا الفاتيكان كمخاطَب مع آباء الكنائس، وفي سياق الحديث عن اليهود ذكر انصرافهم عن تعاليم موسى (عليه السلام)، وفيه استدعاء للماضي مع تعظيم دور المستدعى وما يمثله من قيمة دينية، وبخاصة عند التعريض برسالته التي حاد عنها أتباعها، وفي ذكر الخطاب لإشاريات معينة، ودورانه حول ألفاظ مفتاحية يؤذن بتكريس اتجاه الخطاب وحشده نحو الغرض الأسمى للموضوع وتجنيد ذلك كله لنجاح الخطاب، وفيه تمثيل للأنا والآخر بوضوح يسهم في بيان مدى العلاقة بين المتكلم والمتلقي.

ثانيا: الحذف أو النص الموازي (المسكوت عنه في الخطاب)

تعتمد فكرة الحذف من النص أو السكوت عن بعض التفصيلات لأسباب متعددة استدعاء مصطلح المقصدية الذي هو شركة بين المرسل والمستقبل في تأويل النص؛ "لأن المقصدية تشمل المخاطِب والمخاطَب، لكنهما قد تتفقان وقد تختلفان، ولعل ما قد يكون سببا في هذا الاختلاف هو بروز مقصدية ثالثة، هي مقصدية النص أو بالأحرى لغة النص التي قد تتجاوز مقاصد صانع النص نفسه"[1]، وهذا التجاوز هو ما يجعل المتلقي يملأ فراغات الخطاب وما كان من الممكن أن يقال وسكت عنه المرسل.

والحذف لا يقتصر على حذف مفردات ولا تراكيب ولا جمل فقد يكون الحذف صمتا عن ذكر وقائع كاملة، وتبقى حكمة تقدير المحذوف من خلال المعطيات التي منحها الخطاب لمستقبله، "ويصبح الاستشفاف سهلا باشتمال التركيب السابق على شواغل المواقع، وذلك حتى أن القارئ ليتوقع أن يضيف معلومات جديدة بناء على شاغل الموقع، وان التركيب الذي يسبق الكلام يمكن أن يمدنا بكميات متفاوتة من المادة التي تملأ الفجوات"[2]، فالاعتماد على داخل الخطاب في فهم المسكوت عنه من الخطاب أمر تبينه طبيعة الصياغة مع علاقة ذلك بالبيئة الخارجية للخطاب ومنابعه، وتستخدم آلية النص الموازي كآلية ناجعة "للغوص في لاشعور النص، من أجل كشف المسكوت عنه من الإشكالات الأيديولوجية، وأنساق التمثيل، وكل ما يمكن تجريده من النص، واعتبر في مراحل سابقة خارج النص، وغير مسموح له بالدخول"[3]، وهي طريقة يقظة لذهن المتلقي، وتبين الاتصال التام بالمرسل واستقبال ما بين السطور استقبال المنطوق.

ونظرا لأن خطاب الأزهر شديد الحساسية ومحط أنظار العالم من المتربصين به أو المؤيدين له نراه لا يذكر كل تفاصيل القضايا بل يمر عليها مرورا، فيذكر أشياء ويحذف أخرى معتمدا على قدرة القارئ أو السامع في ملء الفرغات وسد الفجوات، بهذه النماذج التي سكت عنها الخطاب لكنه عرَّض بها تعريضا أقرب إلى التصريح؛ ومنها: الصراعات في المنطقة العربية،

---

[1] البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، ص١٨٥.

[2] النص والخطاب والإجراء، ص٣٤٢.

[3] حكومة البلاغة دراسة في النقد الثقافي، خضر محجز، ص٣١.

والمفارقة الشاسعة بين أقوال أعضاء مجلس الأمن وأفعالهم، والسخرية من الحضارات المزيفة ومهاجمة الفلسفات والنظريات الحديثة التي ترى من نفسها بديلا للأديان وإثبات فشلها في إسعاد الإنسان وتقليل همومه ومشكلاته، ثم يرى العلمانية سبب مشكلات العالم، ويعرِّض بالحركات الجهادية المنسوبة إلى الإسلام، وتفصيل ذلك في النقاط التالية:

١-الصراعات في المنطقة العربية

لم يتطرق الخطاب لوجازته وقصره إلى أمور كثيرة وحروب متنوعة المقاصد والأغراض شهدها العالم عامة والمنطقة العربية، وبخاصة من فترة ٢٠١١م وحتى ٢٠١٧م، هذه الفترة التي شهدت صراعات جديدة في دول شتى؛ كسوريا والعراق واليمن وليبيا وغيرهم، واستمرار صراعات قديمة؛ كالصراع في فلسطين وبورما والسودان والصومال ونيجيريا وغيرهم، فيقول معرِّضا بهذه الصراعات في سياق الدعوة إلى السلام، **(هَذَا السَّلام الضَّائع الذي تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى، وهائمون على وجوههم في الصحراء، وفارُّون من أوطانهم...)**، فالصراع في سوريا مثلا يدور بين أمم كثيرة، مختلفة الأعراق واللغات، كل يبحث عن مصالحه وأهوائه، وقد سكت الخطاب عن ذكر الصراع الدائر هناك أو حتى الإشارة إليه إشارة واضحة، وإنما فهم القصد إليه من ذكر الدمار.

٢-المفارقة بين أقوال أعضاء مجلس الأمن وأفعالهم.

يتكون مجلس الأمن من خمس دول أساسية كأعضاء دائمين لهم حق الفيتو -الاعتراض على القرارات- فعضويتها هذه تجعلها توقف القرارات التي ربما تنفع البشرية لكن تعطل مصالحها، وهي المنوط بها حفظ الأمن في العالم، وفي الوقت نفسه هي من تصنع السلاح وتبيعه؛ فتجارة السلاح هي التجارة الرائجة لهم، وهنا يسكت الخطاب عن ذكر هذه الدول وتسميتها للمتلقي معرِّضا بدورها في تأجيج الصراع وتأزم عملية السلام، حيث يفهم من قوله عن السبب في كثرة الكوارث: **(تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت، والإثراء الفَاحِش من صفقاتٍ مُريبةٍ، تسبقها قَرارَاتٌ دوليَّةٌ طائشة)**، كل هذه الأمور دون ذكر لمن يروج له ويبيعه ويصنعه.

٣- السخرية من الحضارات المزيفة ومهاجمة الفلسفات والنظريات الحديثة التي ترى من نفسها بديلا للأديان وإثبات فشلها في إسعاد الإنسان وتقليل همومه ومشكلاته.

بدا الخطاب هادئا في إلقائه عنيفا في اختيار ألفاظه اللغوية من خلال الهجوم على الحضارات التي لا تؤمن بما تقول ويشوبها التناقض؛ فالمنجزات الكلامية -القولية- أكبر بكثير من الملموسات العملية -الفعلية- فمع كثرة المؤسسات التي تدعو إلى السلام وحقوق الإنسان، ومجالس الأمن، وتجريم استخدام القوة، والمذاهب الفلسفية التي تخدم هذه الأفكار؛ كالتبشير بالمساواة ومجتمع الطبقة الواحدة وما إلى ذلك، يصبح هذا الأمر ضربا من المحظور إذا خالفت هذه الدعوات مصالحها ومست مقدراتها؛ فيتحول القانون الدولي إلى أداة طيعة في يد من يطبقه، فيكيل بمكيالين في وقت واحد، والسبب اتباع الهوى لا النصوص الإلهية ولا القوانين الوضعية السليمة الصارمة التي هي مشتقة من روح هذه النصوص، وبخاصة أن هذه الدول قد نجحت في تطبيق قوانين صارمة على المواطنين في بلادها؛ فسادت العدالة والمساواة ورفع الظلم عن كثير من الضعفاء، هذه الدول هي نفسها التي تنتهك حرية الآخرين وتبيع السلاح ليقتل شخص بريء.

كما هاجم الفلسفات التجريبية والنظريات الفكرية والاجتماعية التي تدعو إلى اتباعها بدلا من الأديان في الوقت الذي تتناقض هي في مكوناتها وتكوينها الداخلي، ولم تقدم شيئا ذا بال.

٤-العلمانية سبب مشكلات العالم.

من الأمور التي سكت الخطاب عن ذكرها صراحة هي العلمانية التي نبذت الأديان وراء ظهرها ودعت إلى الاحتكام إلى أفكار البشر في حل مشاكلهم دون الرجوع إلى النصوص الإلهية، وحبست الأديان داخل المباني في المساجد والكنائس والمعابد، وهي السبب في تفجير قضايا الإلحاد واللادينية ونظريات تأليه الإنسان التي لم تخل من السقوط فيه أمة من الأمم، يقول معرضا بهذا الأمر في دعوة إلى **(إعادةِ الوعى برسالاتِ السَّماء، وإخضاع الخِطاب الحَدَاثى المُنحَرِف لقِراءةٍ نقديَّةٍ عَميقة تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية وخُوائها، وجموحِ العقلِ الفردى المُستبد وهيمنَتِهِ على حياة الأفراد)**، والمتأمل للخطاب يرى

هدمه لكل هذه الدعوات الهدامة التي أضرت بالمجتمعات، وضاعفت مشكلات الإنسان بدلا من حلها.

٥-الحركات الجهادية المنسوبة إلى الإسلام.

صمت الخطاب عن ذكر الحركات الجهادية والفرق التي فهمت الدين الإسلامي فهما يتفق مع هيكلة بنائها فلم يسمِّها بأسمائها؛ كداعش وغيرها واكتفى بالتلميح بها معتمدا على فهم المتلقى وثقافته في قراءة الواقع المحيط؛ يقول: **(وألَّا نُحاكِم الأديان بجرائمِ قِلَّةٍ عابثةٍ من المؤمنين بهذا الدِّين أو ذاك، فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ويقتلون الأبرياء ويروعون الآمنين، ويجدون مَن يمدهم بالمال والسلاح والتدريب..)**، كما صمت عن أمر آخر مهم وهو رحيل الاستعمار مع بقاء عملائه بالوكالة من هذه الفرق وغيرها حيث يمدها بالسلاح والتدريب لخدمة مصالحه ونهب خيرات المنطقة التي يريد الاستيلاء على مقدراتها.

ثالثا: تنظيم الخطاب والتناسب بين فقره وأجزائه

جاء الخطاب متسلسلا تسلسلا منطقيا يأخذ فيه الكلام بعضه برقاب بعض، ويضع كل جملة في موضعها الملائم، وساعد على ذلك قصر الخطاب وتكثيفه مع وجود غرض رئيس وأغراض فرعية تخدم المقصد الأساسي، ويتضح من الخطاب تقسيمه إلى مقدمة وصلب وخاتمة، ويبدو الترابط الدلالي في الخطاب من خلال عرض فقراته وتقسيماته وما بينها من علاقات طبيعية ليس فيها نفور أو شذوذ، وجاءت العلاقات الدلالية بين الفقرات على النحو الآتي:

بدأ الخطاب في الفقرة الأولى بتحية الحاضرين وعلى رأسهم البابا فرنسيس بابا الفاتيكان وآباء الكنائس تحية من الأزهر الشريف ومجلس حكماء المسلمين، وهنا ينوب شيخ الأزهر عنهما لرئاسته لهما، ثم عرض للسلام الضائع، يقول: (**هذا السلام الضائع الذى تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى، وهائمون على وجوههم فى الصحراء، وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائيةٍ لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ والهَلاكُ والغَرَقُ والأشلاءُ والجُثَثُ المُلقَاةُ على شواطئ البِحار**)، وبدا التناسب بين البدء والختام في العودة إلى ذكر هؤلاء في دعوة الأزهر إلى احتواء أزماتهم، يقول: (**فلْنَسْعَ معًا من أجلِ المُستضعَفِين والجائِعين والخائفين والأسرى والمُعذَّبين فى الأرضِ دون فرزٍ ولا تصنيفٍ ولا تمييز**).

وفي الفقرة الثانية تطرق إلى أسباب هذا الدمار ومعاناة المظلومين والضعفاء، مشفوعة بالدليل والبرهان المتمثل في تجارة السلاح، يقول: (**هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء واليتامى والأرامل والمُسنِّين، اللَّهُمَّ إلَّا سَببًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه**)، فقدم في هذه الفقرة توصيفا واضحا لأسباب الكوارث التي تقف حائلا ضد السلام المنشود.

وفي الفقرة الثالثة يسخر من حدوث ذلك في القرن الواحد والعشرين قرن التحضر والرقي، وأنه عصر القانون بلا منازع وظهور النظريات والفلسفات التي لم يشهدها العالم من قبل في العلوم التقنية والإنسانية.

وفي الفقرة الرابعة يتساءل: **(كيف أصبحَ السَّلامُ العالمى الآن وسط كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقُود؟ وكيفَ شَهِدَ عصر حُقُوق الإنسان من الأعمال الهَمَجِيَّة ما لم يَشْهَدَه عصرٌ مِن قَبلُ؟)** ويجيب هو مستخدما أسلوب التشارك مع المتلقي في الجواب، والسبب يكمن في **(تجاهل الحضارة الحديثة للأديان)**، مبينا أن هذا التقدم والنظريات والمنجزات الاجتماعية والفلسفية وقفوا جميعا عاجزين عن حل مشكلات العالم، وفي هذه الفقرة يبدأ في طرح الأديان كأصل انحرف عنه فرع، إلا أن الفرع لم يستطع تحمل المسئولية وفشل في ذلك؛ ذاكرا ما في الأديان من أمور يصعُب تجاوزها وهو موضوعيتها وعدالتها وقيمها المقبولة عند جميع البشر.

وفي الفقرة الخامسة يحصر الحل في رأي المفكرين من الغرب والشرق في تأكيدهم على إعادة الوعي برسالات السماء مثبتا هذه القضية، ومنكرا الأخرى وهي عدم قدرة الحداثة والفلسفات التجريبية على حل مشكلات الإنسان.

وفي الفقرة السادسة يخرج بنتيجة بعد الفقرتين السابقتين بأنه لا يمكن بعد هذا التسلسل المنطقي إنكار دور الأديان في تسلم القيادة في سياسة البشرية، ومن بين هذه الأديان الإسلام بكتابه المنزل على رسوله وهو القرآن الذي يحث في نصوصه على تفضيل ما فضَّل الله وهو الإنسان، وكذلك يدعو القرآن الناس إلى التعارف والتراحم.

وفي الفقرة السابعة مناورة خطابية، يقول: **(ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل على تنقِية صُورة الأديان مِمَّا عَلِقَ بها من فهومٍ مغلوطةٍ، وتطبيقاتٍ مغشوشةٍ وتديُّنٍ كاذبٍ يُؤَجِّجُ الصِّراعَ ويبث الكراهية ويبعث على العُنف.. وألَّا نُحاكِمَ الأديان بجرائمِ قِلَّةٍ عابثةٍ من المؤمنين بهذا الدِّين أو ذاك)**، قال ذلك بعدما عرض أفكاره ورؤية الأزهر في دور الأديان؛ ليعود ويجيب عن سؤال مثار في ذهن المتلقي، كيف يكون لهذه الأديان وخاصة الإسلام هذا الدور الكبير وهو دين إرهاب؛ فيرد قائلا: **(فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ويقتلون الأبرياء ويروعون الآمنين، ويجدون مَن يمدهم بالمال والسلاح والتدريب)**، كما فعل ذلك مع الديانات الأخرى والحضارات القائمة مشيرا إلى أن مناهج الأديان بريئة من طيش أفهام الأفراد.

ثم في الفقرات الثلاثة الأخيرة بدا الاستعداد لختام الخطاب، فشكر البابا فرنسيس بابا الفاتيكان وآباء الكنائس الغربية والشرقية وثمَّن دورهم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد تهمة الإرهاب الباطلة، وفيه نوع من استمالة قلوبهم فالنفس أميل إلى الاستئناس بالمديح، "فبواسطة تقريظ المتكلم للجمهور، يستطيع الحصول على تأييدهم لأقواله وأفعاله، واستمالة نفوسهم إليه، وكسر شوكة معارضتهم له، استنادا إلى أن النفس البشرية مجبولة على حب التقريظ"[1]، وهذا الشكر والتقريظ دليل على عمق العلاقات مع البابا فرنسيس بابا الفاتيكان الحالي، وكلمات التقريظ لدوره ومواقفه، كما تعرِّض بالبابا السابق بندكيت السادس عشر الذي كان له مواقفه المعادية وتدخله في شئون المسيحيين في مصر، فقد "جمد الأزهر الحوار مع الفاتيكان في ٢٠يناير٢٠١١ م إلى أجل غير مسمى بسبب ما اعتبره تهجما متكررا من البابا بندكيت السادس عشر على الإسلام ومطالبته بحماية المسيحيين في مصر بعد حادث تفجير كنيسة القديسين بمدينة الإسكندرية، وبدوره اعتبر أحمد الطيب أن حماية المسيحيين شأن داخلي تتولاه الحكومات باعتبار المسيحيين مواطنين مثل غيرهم من الطوائف الأخرى"[2]، بل واشترط الأزهر اعتذار بندكيت السادس عشر عن كل تدخلاته وتصريحاته المعادية.

ثم انتقل إلى الختام لبيان دور الأزهر وسعيه الدائم للتعاون في مجال الدعوة إلى توسيع مساحات الاتفاق بين الأديان وهي كثيرة جدا لأن منبعها واحد، كما دعا إلى السعي من أجل المستضعفين والمقهورين في الأرض، والعمل على استنقاذ الأسرة لأنها الأصل في بناء المجتمعات الخالية من التطرف والإرهاب، والوقوف ضد الانحرافات البشرية بجميع أشكالها، وأنهى الخطاب بدعاء الله تعالى أن يبارك هذا اللقاء ويجعله خطوة حقيقية للتعاون على (**نَشْرِ ثقافة السَّلام والتآخي والعَيْش المُشتَرَك بين الناس**)، وهي كلمات مترادفة تحمل جميعها معنى (السلام) ليظل محفورا في قلب السامع وعقله فترة من الوقت، وكما بدأ الخطاب بتحية الإسلام وهي (**السَّلامُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُه**) ختم بها الحديث أيضا.

---

[1] إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، د. عماد عبد اللطيف، ص٢٠٢.

[2] الأزهر يجمد حواره مع الفاتيكان،www.aljazeera.net ، ٢١/١/ ٢٠٠١م.

وهناك عوامل ربط أخرى نحوية ومعجمية أسهمت في تنظيم الخطاب وترتيب أجزائه؛ ومن المستوى النحوي: حرف الواو مثلا، فقد تكرر في الخطاب أكثر من ١٤٥ مرة، في حين أن عدد كلمات كله جاء فيما يقرب من ٨٧٩ كلمة، ولهذا كان تكرار الواو أمرا ملفتا للانتباه، فقد قام بدور ربط الكلمات، والفقرات بعضها ببعض؛ فلا تخلو فقرة في أولها من استخدام الواو، وقد جاءت رؤوس الفقرات كالآتي: **(ولايَزالُ العُقَلاء، ومِمَّا يُثيرُ الإحباطَ، والسُّؤالُ المحورى فى هذه المُفارقة، ولا حَلَّ فيما يُؤَكِّدُ عُقلاءُ المُفَكِّرين، وفى اعْتِقَادى أنَّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهَّدة، ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل، وإنَّا لنقدِّرُ لكم -حضرة البابا- تصريحاتِكُم المُنصفَةَ، وفى خِتامِ كَلِمَتِى)**، إلا فقرة واحدة كان الربط معنويا مستخدما أداة الإشارة (هذا) لضرورة التنبيه على علاقة السابق باللاحق.

كما قامت الواو بدور الربط بين الجمل والمتتاليات النصية داخل الفقرات -كما تقدم من ذكر عدد مرات ورودها-، ويبدو توظيف هذا الحرف ومناسبته للخطاب من خلال وجود نظائر وشبكات لمفردات وتراكيب متقاربة في الشكل والوظيفة تحتاج إلى الربط بينها للتشريك في القضايا والحكم اللذين يتضحان من مقصدية الخطاب، وهو الحديث عن السلام الذي استدعى تشكيلة خطابية تدور حول هذا العنوان.

أداة آخرى من أدوات الربط بين الفقرات والجمل وهي الإشارة؛ مثال ذلك استخدام أداة الإشارة هذا لربط ما سيأتي بما تقدم من الخطاب، فقد يؤتى "باسم الإشارة لربط الكلام اللاحق بالسابق على طريقة العرب في أمثاله إذا طال الفصل بين الشيء وما ارتبط به من حكم أو علة أو نحوهما"[1]، يقول شيخ الأزهر في الخطاب: **(هَذَا السَّلام الضَّائع الذي تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى...)**، لربط ما سيأتي من حديث عن السلام بما سبق من عنوان المؤتمر وهو السلام العالمي، وفي موضع آخر، يقول: **(هذَا، ولا يَزالُ الأزهرُ يسعى من أجلِ التعاون فى مجال الدَّعوَةِ...)**، لربط آخر الخطاب بما تقدم في صلبه، ولتقديم النتائج والعلاج لما طرح من مشكلات، ودور الإشارة هنا "جعل الخطاب متماسكا من خلال

[1] التحرير والتنوير ١٢٦/٢.

استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله"[1]، وذلك لأن المشار إليه مختزن في ذاكرة المستمع يستدعيه عند ذكر الإشارة إليه، وهذه العناصر النحوية أسهمت في تماسك الخطاب وترابطه.

وهناك ترابط وتماسك يعتمد على المستوى المعجمي ويظهر أيضا كآلية إقناعية تأثيرية وظاهرة مكثفة تكثيفا مقصودا؛ كأدوات الإشارة هذا، وهذه، وكلمات الدين، السلام، الحضارة، الله، الإرهاب، الإنسان، عصر، المؤمنين، الأرض، الإسلام، الأزهر، الناس، الحداثة، حقوق، صراع، التاريخ، العيش، الفلسفة، مأساة، العنف، عقلاء، عقائد، دماء، أرواح، شعوب وغيرها، ويتضح من اختيار الكلمات وتكرارها بهذا العدد تعمد قرع ذهن السامع كل لحظة لتأكيد الحجة.

وإذا كان هناك مقاصد وراء تنظيم الخطاب وتماسكه بهذه الطريقة، فإن خروج فقرة عن الترتيب والنص على تأخرها أو تقدمها أمر يدعو إلى البحث وراء سر هذه المخالفة أو تأخير ما حقه التقديم، يقول: (**ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل على تنقية صُورة الأديان مِمَّا عَلِقَ بها...)** بعد قوله: **(إنَّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهَّدة لأن تأخذ الأديان دورها فى إبرازِ قيمَة السَّلَام...)**، وهذا التقديم والتأخير في ترتيب بعض أجزاء الخطاب على بعض للاهتمام والإدراك بالقيم الخلقية للأديان التي لا تعدلها حضارة ولا نظرية.

وقد بدا في الخطاب غلبة استعمال نماذج الخطابات التأثيرية التي تلتزم طريقة عرض معينة بأن يكون "ترتيب الأجزاء يسير في ثنائية عبر عنها في مجال البراهين بطريقة أخرى، وهي الدعوة العاطفية في المقدمة والخاتمة، والدعوة إلى الواقع والعقل في العرض والدليل"[2]، وهو نظام يتفق مع مقام الخطاب وموضوعه.

---

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص١٧٧.

[2] في بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري، ص١٣٩.

رابعا: الآليات والظواهر البلاغية والأسلوبية في الخطاب ودورها التأثيري.

يدور خطاب شيخ الأزهر حول السلام ظاهرا وحول نفي تهمة الإرهاب التي ألصقت بمنهج الإسلام باطنا، فقد لمس الأزهر تنامي هذه الظاهرة المفزعة في وسائل الإعلام الغربية والعربية التابعة للفكر الغربي، كلما وقع حادث عرضي يمكن أن يكون فرديا يعود إلى الفهم الخاطئ لهؤلاء الأفراد، أو حتى إلى استئجار من يقوم بهذا الجَلَبة، مع سرعة نسبة ذلك إلى منهج الإسلام، فكانت هذه الدعوة للتعريف بالإسلام وخطابه، وبدا الخطاب متسامحا يدعو إلى نبذ ثقافة العنف مستشهدا بالآيات القرآنية التي تتبرأ من هذه الأفعال الفردية، وقد اعتمد الخطاب في بنائه اللغوي والبلاغي على أمور تسهم في سرعة التواصل وبيان الحجة، وترك الأثر في نفوس المتلقين لهذا الخطاب، وجاءت على النحو الآتي:

١-التكرار ودلالاته في الخطاب

اعتمد الخطاب على عنصر التكرار كقيمة بلاغية وأسلوبية تبوح بأسرار النص، ويستطيع القارئ معرفة اتجاه الخطاب من خلال تكرار ألفاظ لا شك أن المرسل يبغي تأكيدها في ذهن السامع، ويقصد بالتكرار "أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده. وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متحدا، وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا، فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين"[1]، فاتفاق اللفظ المكرر لفظا ومعنى له دوره في التثبيت والتقرير وهو ما كان مدار خطاب شيخ الأزهر عليه، ولم يخل الخطاب من تكرار المعنى واللفظ مختلف المعروف بتكرار الترادف نظرا لتنوع الألفاظ مع أن مآلها واحد، للإحاطة بأنواع الدوال على اختلافها مع اتفاق المدلول.

وقد تنوعت طرق التكرار حسب التشكيلة الخطابية لكل مفردة وشبكاتها الدلالية، فكثر تكرار بعض الكلمات، وتكرار المترادفات، وكذلك تكرار تراكيب محددة.

أ-تكرار كلمة

[1] مقدمة تفسير ابن النقيب، لأبي عبد الله جمال الدين البلخي، ص٢٢٦، ومعجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، ٣٧٠/١.

تكررت كلمات بكثرة في هذا الخطاب ولكثرتها دلالة تستفاد من واضع ذكرها، و"قد تحمل مفردات الخطاب إيحاءات إيجابية أو سلبية تبعا للمجال الدلالي الذي تنتمي إليه، وطريقة تعبير كل منها عن الفكرة أو المعنى المنقول"[1]، ومن هذه تكرار أدوات الإشارة، هذه وهذا للفت الانتباه إلى المشار إليه وتمييزه في الخطاب، وليجعله محط عناية السامع؛ **هذه:** تكرار أداة الإشارة هذه تسع مرات في خطابه لتعظيم المشار إليه ودعوة للمتلقي إلى الاهتمام بمواضعها لما تحمله من دلالات تعبيرية موجهة، وبخاصة أن أداة الإشارة تأتي مبتدأ ينتظر السامع خبره بشوق واستعداد نفسي خاص، يقول: (هذه الزيارة، هذه المآسي، هذه الكوارث، هذه الأزمة، هذه المنجزات، هذه المفارقة، هذه الإنجازات، هذه الانحرافات، هذه الكوكبة) فالمتأمل لما يشار إليه في النص يمكن أن يعرف طبيعة سريان الخطاب ومدى الإحباط التي يحمله الخطاب؛ مآسي، كوارث، أزمة، انحرافات، مفارقة؛ فالإشارة إلى كل هذه الألفاظ يوحي بالدمار والهلاك وسيطرة السأم والظلام على المشهد.

هذا: وكرر هذا خمس مرات إشارة إلى أهمية المذكور، يقول: هذا السلام الضائع، هذا الدين، هذا الباب من الاتهام، هذا اللقاء، ويكفي المتلقي الوقوف على مواضع المشار إليه بهاتين الأداتين ليعرف مواضع العناية والتركيز، وفي الموضع الخامس تأتي هذا للربط بين أجزاء الخطاب وتماسك السابق باللاحق.

ثم تكرار كلمات بعينها مع وضوح الدلالة على العناية بها؛ نحو: **لفظ الجلالة الله:** ورد لفظ الجلالة في الخطاب سبع مرات منها مرة بصيغة (اللهم)، وهذا الورود في سياق شبكة المفردات المشكِّلة للخطاب الديني، الجامع لتعاليم الأديان فيما يخص السلام، حيث ورود اللفظ بكثرة في سياق الحديث القيم الخلقية للأديان وهي مناهج إلهية أكثر نفعا للإنسان، فالله تعالى هو خالقه ويعلم ما يصلح شانه، وأما عن لفظة (اللهم) فتأتي في سياق الاستثناء وتستعمل "تمكينا للجواب ودليلا على الندرة، كقول العلماء: (لا يجوز أكل الميتة اللهم إلا أن يضطر فيجوز)"[2]، يقول في البحث عن **(سَببٍ مُقنِع وراء هذه المآسى... فلا يظفرون بِسَببٍ واحدٍ منطقى... اللَّهُمَّ إلَّا سَببًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه)،**

---

[1] من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، محمد لطفي الزليطني، ص٧.

[2] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي،٦٣/٢.

نظرا لقلة الأسباب التي تستطيع صنع كل مثل هذه الكوارث على عظمها وانتشارها وبقاء آثارها تعاني منه أجيال وأمم قادمة.

الدين: ورد لفظ الدين في الخطاب بصيغ مختلفة؛ الأديان جمعا ست مرات، والدين مفردا معرفا مرة، ومفردا منكرا مرة، وبالإضافة (دين إرهاب) ثلاث مرات، ومرة واحدة (تدين كاذب -دينه)، وذكر (اللادينية) مرتين؛ فجملة ما ذكر من مشتقات الدين خمس عشرة مرة، في توجيه صريح وجذب للانتباه إلى العناية بالدين فهو الأساس المتين الذي يسهل عملية الاتصال والتواصل بين البشر، وأن ما بين الأديان من نقاط اتفاق كثيرة في أصولها وثوابتها، أما الشرائع فتختلف من عصر إلى عصر، وبدا من تكرار الكلمة الإصرار على المقارنة بين الدين واللادين، وبخاصة عندما ذكر هذه النظريات والفلسفات التي تدعو إلى تهميش دور الأديان لمخالفتها لمصالحهم وأهوائهم.

السلام: هي الكلمة المفتاحية في الخطاب وعليها دورانه؛ فالمؤتمر تحت عنوان المؤتمر العالمي للسلام، وقد كررها ثماني مرات، هي: السلام الضائع، مؤسسات السلام، السلام العالمي، قيمة السلام، السلام والتآخي، وكان قد ذكر السلام في التحية أول الخطاب كما ختم به، وعند ذكر نبي الله موسى (عليه السلام) سلم عليه، فقال ثناء عليه (عليه السلام)، ولتكرار هذه اللفظة تذكير بقيمتها وحرص الإسلام عليها في كل حركة من حركاته.

الحضارة: وردت لفظة الحضارة في خطابه ثماني مرات، معرفة مفردة ثلاث مرات، ومعرفة جمعا مرتين، ومعرفة مضافة مرتين، ومنكرة مرة واحدة، وهذه الكلمة لدورانها معنى؛ لأن السلام لم يك منشودا من قبل كما هو منشود الآن نظرا للتطور التقني الهائل، وأن الحضارات الموجودة هي خلاصة ما تقدم من حضارات حيث يجعلها ذلك على دراية بأخطاء السابقين لتجاوزها، وبخاصة فيما يخص السلام.

الإرهاب: تكررت كلمة إرهاب في الخطاب سبع مرات، جاءت معرفة بالألف واللام ومقترنة بلفظة العنف في موضعين، ومضافة إلى لفظة الدين في ثلاثة مواضع، نحو: (دين إرهاب)، وفي موضعين آخرين مضافة إلى لفظة الحضارة في (حضارة إرهاب)، والملاحظ أن

جميع مواضع ذكر الكلمة ينفي وجودها عن الدين الإسلامي وعن الأديان قاطبة، وكذلك عن الحضارات القائمة على العقل والمنطق، وبخاصة الحضارتين الأوربية والأمريكية.

الإنسان: وردت اللفظة بمشتقات مختلفة سبع مرات، في قوله: (العقل الإنساني، احترام الإنسان، حقوق الإنسان مرتان، مأساة إنسانية، الفلسفات الإنسانية، تأليه الإنسان)، والإنسان هو صانع السلام وصانع المشكلات التي تقف حائلا أمام حدوثه، وهو محور هذا الخطاب وصانعه، وفي الاستشهاد القرآني ورد لفظ الإنسان في قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) إشارة إلى وحدة الأصل، وليس هناك تمييز إلا بالنفع و إقامة السلام.

عصر: وردت خمس كلمة مرات في إشارة إلى العصر الحديث **(عصر مؤسسات السلام، عصر المذاهب، عصرنا الحديث، عصر حقوق الإنسان)** وفي قوله: **(ما لم يشهده عصر من قبل)** جاءت كلمة (عصر) منكرة تفيد العموم، وبخاصة العصور الماضية التي مرت على الإنسانية، وهو عتاب صريح للعصر وحضارته التي لم تحقق ولو قدرا ضئيلا من الاطمئنان والسكينة للبشرية، مع تناقض منجزات العصر مع ما يشهد من تقدم غير مسبوق في كل المجالات.

وكرر كلمة المؤمنين أربع مرات، كما وردت كلمات تكررت ثلاث مرات مثل: الأرض، الإسلام، الأزهر، الناس، الحداثة، حقوق، صراع، التاريخ، العيش، الفلسفة، مأساة، العنف، وكرر كلمات مرتين نحو: عقلاء، عقائد، دماء، أرواح، شعوب.

وتبرز دور الكلمات المكررة في نص قصير كعنصر معجمي مهم شغل بال المرسل، وأراد من خلال هذا المحفل المهم أن يبث أفكاره وألفاظه ويكررها للمتلقي، كنوع من تثبيت الفكرة، وجميع الألفاظ المكررة تدور في فلك الغرض الرئيسي وهو السلام والأديان، وحضارة العصر الحديث وعلومه المتنوعة، والمصائب والدمار بأنواعه الذي حل بالبشرية.

ب- تكرار ترادف

وهذا النوع من التكرار يعني ألا يكرر اللفظ بنفسه صراحة، وإنما تكرر المعاني؛ لتأكيدها وتقريرها في النفس بطريقة غير مباشرة، والإيعاز إلى المستمع بضرورة مراعاته لكل معنى على حدة؛ لأن كل معنى يحمل دلالة غير صاحبه، وفي ذلك يقول الجاحظ في وصفه: "وجملة

القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه ولا يؤتى إلى وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص"[1]، وقد اهتم خطاب شيخ الأزهر بالمظلومين والمشردين فذكرهم في أكثر من موضع، يقول: **(هَذَا السَّلام الضَّائع الذى تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى، وهائمون على وجوههم فى الصحراء، وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائيةٍ لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ)**، ثم يقول: **(هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء واليتامى والأرامل والمُسنِّين)**، ثم يقول: **(فلْنَسْعَ معًا من أجلِ المُستضعَفِين والجائِعين والخائفين والأسرى والمُعذَّبين فى الأرضِ دون فرزٍ ولا تصنيفٍ ولا تمييز)**، فقد كرر هذه الفئات المتشابكة في دلالاتها ووظائفها والمتشابهة في أحوال تشردها وضياعها؛ لرفع الظلم عنهم أيا كانت دياناتهم ولغاتهم وأعراقهم وألوانهم، ولأنهم الأضعف من بين كل فئات المجتمع.

ومثل ذلك لما أراد أن يبين حجم الكارثة كرر لفظة الموت بأكثر من لفظ ليحيط خطابه بجميع صنوف الموت مع اختلاف أشكاله لهؤلاء المظلومين، يقول: **(وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائيةٍ لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ والهَلاكُ والغَرَقُ والأشلاءُ والجُثَثُ المُلقَاةُ على شواطئ البِحار)** في تعريض بصنوف الموت وأشكاله الموت جوعا وحرقا وغرقا وقتلا وتفجيرا وهجرة لحياة مأموله مطموع في نيلها.

ومثل ذلك من المترادفات قوله عن الأديان وقيمها الخلقية الأصيلة: **(التى لا تتبدَّل بتبدُّل المصالح والأغراض، والنَّزوات والشَّهوات)**، ومثله أيضا في تطبيق العدالة لمساعدة المحتاجين، يقول: **(دون فرزٍ ولا تصنيفٍ ولا تمييز)**، حيث يلحظ اتفاق المعنى واختلاف اللفظ، والألفاظ لا تتطابق تطابقا تاما في المعاني ولكن يفهم من اللفظ معنى عاما تتفق فيه مفردات كل مجموعة سيقت لغرض تعبيري خاص.

ج- تكرار تراكيب

تؤدي التراكيب وظيفة أكثر تأثيرا من المفردات إذا ما كررت في الخطاب؛ لزيادة مبناها الذي يضاعف المعنى، ويكون الغرض من وراء صياغتها وتكرارها نوع من تأكيد القضية

---

[1] البيان والتبيين، ص٧٠.

المطروحة، يقول ابن جني: "إن العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته واحتاطت له فمِن ذلك التوكيد"[1]، وهو أساس كل تكرار خاصة إذا كان في المبنى لأن في ذلك مزيد عناية وزيادة تأثير.

ولما أراد الخطاب أن ينفي عن الإسلام تهمة الإرهاب؛ كرر تراكيب متناسقة أعادها بالطريقة نفسها؛ لجذب انتباه السامع إلى تشابه جميع الأديان في ظروف شذوذ بعض أتباعها وتأويلهم النصوص وفقا لأفهامهم غير مراعين ظروف النص ومناسبته ودون دراية بمفرداته وصياغته ودلالته؛ يقول: (**فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به... ولَيْسَت المَسيحيَّة دين إرهابٍ بسبب أن طائفة من المؤمنين بها...وليست اليهودية دين إرهاب بسببِ توظيف تعاليم موسى (عليه السلام) –وحاشاه- توظيفها فى احتلالِ أراضٍ**)، ومثل ذلك الحضارات، يقول (**بل لَيْسَت الحضَارة الأوروبيَّة حضارةَ إرهاب بسببِ حربين عالَميتَين... ولا الحضارة الأمريكية حضارة إرهاب بسبب ما اقترفته قنابلها**)، وهذا التكرار المتعمد في نفي الإرهاب عن الحضارات يرتبط ارتباطا وثيقا بمخزون المتلقي، وبخاصة إذا كانت الأحداث المذكورة لا تنكر لذيوعها وانتشارها؛ "لأن إثارة المتلقي المرجوة تحدث عندما تستدعي خبرات المتلقي المختزنة والمتجانسة مع معطيات الصور المتخيلة، فيتم الربط على مستوى اللاوعي من المتلقي بين الخبرات المختزنة والصور المتخيلة، فتحدث الإثارة المقصودة"[2]، ولذا فالتكرار الجملي التركيبي له هدف تثبيت الفكرة في ذهن المتلقي وهي نفي الإرهاب عن جميع الأديان ونفيها ومن بينها الإسلام لمشابهته لظروفها، ولأنه الأكثر اتهاما من أي دين آخر، ولهذا النوع من الأساليب دوران حيث "يقوم التكرير أولا: بالربط؛ أي: الجمع بين الكلامين، والثانية: الوظيفة التداولية المعبر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب، أي لفت أسماع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا يمكن إغفالها"[3]، وللتكرار قيم أسلوبية بارزة، ودور لفظي هو الربط، ومعنوي هو التأثير.

---

[1] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ١٠٦/٣.

[2] إشكالية التلقي والتأويل، سامح الرواشدة، ص١٧.

[3] لسانيات النص، محمد خطابي، ص١٧٩.

٢- سُلطة الاستفهام في الخطاب

لم يكثر من الاستفهام في الخطاب وإنما جاء قليلا يحمل تعددا في الطرح والصياغة مرة على سبيل التساؤل، كقوله: (وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائيةٍ لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ) فخروج الاستفهام إلى غرض الإنكار يطرح مسئولية ما يحدث على عاتق المستمعين، وبخاصة أن الخطاب موجه في الأساس إلى صفوة رجال الأديان، ولهم دورهم وعلاقاتهم بالساسة، ويمكن لهم أن يصنعوا قرارا في هذا لقدرتهم على التأثير النفسي في الحكومات خاصة في أوربا وعلى رأسهم ممثل أكبر مؤسسة دينية فيها.

تتنوع آليات توظيف الاستفهام كسلطة حوارية يمتلكها صانع الخطاب حسب الحدث؛ فمرة يفهم من الصياغة وجود سؤال بل ووجود إجابة، وهذا النوع ضرب من السؤال الضمني في ثياب الخبر الذي يثير اهتمام المتلقي ويبعثه على صياغة سؤال وفي الوقت نفسه ينتظر من المتكلم ذكر الإجابة وهي سلطة تأثيرية للمتكلم مؤثرة جملة وتفصيلا إذا أحسن حبكها وتوظيفها، وفيها "يكون صاحب الخطاب مصدرا للخبر، عالما به، مدركا لتفاصيله وحيثياته، ويكون المخاطَب متلقيا ينتظر من صاحب الخطاب أن يمده بالمعلومات وافية، ومن الطبيعي والحال هذه أن يكون الأول مهيمنا على الموقف، ومثال ذلك جملة الاستفهام التي يكون السائل فيها متحكما في المشهد ينتظر من المتلقي أن يرد ويستجيب"[1]، ومما ورد في هذا الشأن، يقول : **(ولايَزالُ العُقَلاء وأصحاب الضَّمائر اليَقِظَة يبحثونَ عَن سَببٍ مُقنِع وراء هذه المآسى...فلا يظفرون بِسَبَبٍ واحدٍ منطقى، يُبرِّر هذه الكوارثَ... اللَّهُمَّ إلَّا سَببًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه)**، فكأن سائلا سأل ما السبب وراء هذه المآسي والكوارث؟ فيلقن المتكلم الإجابة للمستمع المتلهف لمعرفة السبب.

وأحيانا يطرح السؤال تلو السؤال بصيغة السؤال وشكله ومضمونه بل يفصح عن وجود سؤال؛ كقوله: **(والسُّؤالُ المحورى فى هذه المُفارقة هو: كيف أصبحَ السَّلامُ العالمى الآن وسط كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقُود؟ وكيفَ شَهِدَ عصر حُقُوق الإنسان من الأعمال الهَمَجِيَّة ما لم يَشْهَدَه عصرٌ مِن قَبلُ؟ والإجابة التى أعتقد أنَّ حضراتِكم توافقُونَنِى عليها هى**

---

[1] من تحليل الخطاب إلى الخطاب النقدي، ص١٨، ١٩.

تجاهلُ الحضارةِ الحديثة للأديان الإلهيَّة)، وفي كل هذه الاستفهامات يتبين المتابع سلطة المتكلم في الهيمنة على المشهد، واستدراجه السامع للإصغاء إلى ما يريد بل ويصوغ مقاصد الخطاب وأغراضه في صورة الاستفهام ويجعله -في المواضع التي اختارها من الخطاب- أداة تكثيف وتركيز وجذب.

٣- مراعاة النظير والجمع بين المتقاربات.

ظاهرة لغوية بلاغية اعتمد عليها خطاب شيخ الأزهر بكثرة واضحة وطريقة قصدية ملفتة، لبيان الحقول المعرفية المتقاربة وجمْع كل المتناسبات في تشكيلة واحدة بغية تأكيد المعنى في ذهن السامع، على طريقة مراعاة النظير وهو فن بلاغي "يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة، وهو في الاصطلاح: أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى، أو لفظا للفظ، أو معنى لمعنى؛ إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه، أو ما يلائمه من أحد الوجوه"[(١)]، ومن نماذجه في الخطاب، يقول عن سبب الكوارث والمآسي: **(وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت، والإثراء الفَاحِش من صفقاتٍ مُريبةٍ، تسبقها قَرارَاتٌ دوليَّةٌ طائشة)**، فالتناسب بين تجارة السلاح، ومصانع الموت، والصفقات المريبة، والقرارات الطائشة كل ذلك يسهم إسهاما مباشرا في قتل الأبرياء وترويع الآمنين، فقد ذكر هنا كل الأدوات المتشابهة لصنع هذه الكوارث؛ فتجارة السلاح هي مصانع الموت، وهي الصفقات المريبة سواء في بيعها والتربح منها أو في استخدامها في احتلال أراض، أو دعم فريق على آخر لضمان الهيمنة والسيطرة، والقرارات الطائشة سواء في اتخاذ قرار الحرب من جانب من يملك السلاح، أو هي قرارات مجلس الأمن غير المجدية، ويقول أيضا عن القرن الواحد والعشرين ومنجزاته الحضارية: **(قرن التحضُّر والرُّقى وحُقُوق الإنسان، والتقدُّم العلمى والتِّقنى الهائل، وفي عَصْرِ مؤسَّسَات السَّلام ومجالسِ الأمنِ، وتجريمِ استخدام القُوَّة، والتَّهديد بها فى العَلاقات الدوليَّة)**، حيث يعدد في هذا المتناسبات التقدم بأشكاله: التقني والمؤسسي والحقوقي والقانوني، ثم لا يوجد صدى لهذا التقدم، ويقول أيضا: **(عصرِ المَذاهِب الاجتماعيةِ والفلسفات الإنسانيَّة، والتبشير بالمُسَاواةِ**

[(١)] خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين بن عبد الله الحموي، ص ٢٩٣/١.

المُطْلَقة ومُجتمع الطَّبقة الواحدة، والحَدَاثة اللادينيّة، ومَا بعد الحَدَاثة، إلى آخرِ هذه المُنجزات الاجتماعيّة والفلسَفيّة)، يذكر هنا ذروة التقدم في العلوم الإنسانية والنظريات الاجتماعة والفلسفية، مما يجعلنا ننتظر من هذا التقدم الكثير ولكن لا جدوى، وفي الجمع بين النظائر إحاطة الخطاب بكل هذه العلوم في محاولة لإثبات فشلها وإقامة الحجة عليها وعجزها عن تقديم حلول لمشاكل البشر ورفاهية لعيشهم، وبذلك يكون الاتجاه إلى الأديان بالدراسة والتمحيص واستنباط ما ينفع البشر منها، حيث يدعو إلى إعطاء الفرصة لها. ويقول مؤكدا على انتهاج مبدأ السلام: **(إبرازِ قيمَة السَّلَام، وقيمَة العَدْلِ والمُسَاواةِ، واحترامِ الإنسان)**، وكلها أمور تتصل بالسلام وتسهم في الارتقاء به، ومثله الدور الذي يقوم به الأزهر في نشر ثقافة السلام؛ يقول:**(يسعى من أجلِ التعاون فى مجال الدَّعوَةِ إلى ترسيخ فلسفة العَيْش المُشترَك وإحياء منهجِ الحوار، واحترام عقائد الآخرين، والعملِ معًا فى مجالِ المُتفق عليه بين المؤمنينَ بالأديان)**، ويختم بقوله: **(نتعاونُ فيها جميعًا على نَشْرِ ثقافَة السَّلام والتآخي والعَيْش المُشترَك بين الناس)**.

ويقول في موضع آخر: **(تنقِية صُورة الأديان مِمَّا عَلِقَ بها من فهومٍ مغلوطةٍ، وتطبيقاتٍ مغشوشةٍ وتديُّنٍ كاذبٍ)**، فالغلط والغش والكذب آفة أتباع الأديان، وهم سبب رئيس في نفور كثير من الناس عنه؛ لأن كثيرا من المتابعين للأديان يحكمون عليها من خلال تصرف أتباعها، ويقول عن حماية الأسرة: **(استنقاذِ كيانِ الأُسرة مِمَّا يُتربَّص بها من انفلاتِ الأخلاق، وانحرافاتِ البَحث العِلمى)**، فيذكر ما يسوء الأسرة؛ لأن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي ينهل الطفل منها صحيح الأفكار والمعتقدات، وهي المنوط بها تطبيق صحيح الأديان ومنطق الحضارات، ويقول: **(ولنقف معًا فى وجهِ سياسات الهيمنة، ونظريات: صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، ودعوات الإلحاد، والعقلية الميكيافيليّة، والحداثة اللادينيّة، وفلسفاتِ تأليهِ الإنسانِ)**، يجمع هنا كل الشطط الذي لحق بالعصر الحديث، وكان سببا في دمار العالم، وكلها أمور تعود إلى الأهواء والفهم المغلوط للأديان والحياة.

وقد ارتكز الخطاب على ذكر الأشياء المتقاربة؛ كنوع من تأكيد المعنى والحصر، ليعطي كل مستمع ما يناسبه من الألفاظ وما يروق له من كلمات لها تأثيرها في وعيه وقَبوله، وقد أدى مراعاة النظير دورا في بسط الكلام وجمع ما يمكن أن يجمع في باب واحد مع التناسب

والتقارب، وقيمتة البلاغية في ذلك "أن تضم إلى ذكر الشيء ما يليق به ويجري مجراه، أي؛ تجمع الأمور المناسبة"[1]، وقد اعتمد عليه الخطاب في عملية التوصيل والبسط والتعديد، لأن وقع الأمور المتناسبة مع حاجة المقام إليها أمر يطيل أمد الفكرة حتى تستقر استقرارها المكين في نفس السامع.

٤-الاستعارة في الخطاب تخيُّر وتوظيف

الاستعارة عند البلاغيين ضرب من المجاز؛ أي مجاوزة الحقيقة، وعند الأسلوبيين انحراف وعدول عما وضع له اللفظ، والمعنيان واحد؛ إلا أن اختيار البلاغيين للمجاز أدق وأعمق من الانحراف؛ لأن الانحراف معناه الخروج نهائيا عن المألوف وهذا غير مطلوب، وإنما المراد أن يجاوز اللفظ الحقيقة مجاوزة وهو انحراف بضوابط وهي أن يكون هناك علاقة بين اللفظ الأصلي واللفظ الجديد المنقول إليه، فبين الحقيقة والمجاز تقارب وتشابه أو علاقات أخرى غير المشابهة، أما الانحراف فلا يشير إلى ذلك.

وقد تناقل العلماء تعريف الاستعارة وصفتها وحدها؛ يقول الرماني موجزا: "وحد الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"[2]، فالأصل في الخروج عن أصل اللغة التوضيح والتقريب، ومجاوزة الحقيقة لا تكون اعتباطا بل "لابد أن تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها؛ لأن الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها"[3]، ونظرا لطبيعة الخطاب الذي يواجه علاجا لمشكلة الصراعات القائمة في المنطقة العربية والعالم، بدا استدعاء الاستعارة أمرا حتميا، وبخاصة إذا عجزت الحقيقة عن صياغة الواقع وتجليته، والاستعارات في الخطاب كثيرة جدا؛ منها: قول شيخ الأزهر: **(هَذَا السَّلام الضَّائع الذى تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ)**، والسلام ليس شيئا ماديا فيضيع وإنما هو أمر معنوي، وإذا ضاع لا يبحث عنه؛ لأن البحث عنه لن يؤدي إلى إيجاده، ولكن نظرا للحالة النفسية المؤلمة التي سيطرت على الخطاب جعل من السلام شيئا ماديا يبحث عنه ويرجى الوصول إليه، لعلاقة هي أن الشيء المبحوث عنه؛ كأمر يري ويحس ويلمس يمكن أن

---

[1] نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، ٨٩/٧ .

[2] النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني،ص٨٥.

[3] خزانة الأدب وغاية الأرب ١٠٩/١.

يتوصل إليه حتى لو طال البحث زمانا، فالاستعارة هنا مقصودة وتحمل دلالات تقريب السلام من المخاطبين، و"الاستعارة أن تريد تشبيه الشي بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه"[(١)]، وتصوير السلام كأمر مادي يضيع، هو من العدول عن المألوف ومجاوزته، ولهذه الأمور تأثيرها في المتلقي؛ لأنها تستميل شعوره وإحساسه، وتضع غير المحسوس موضع المحسوس.

ويقول عن بحث العقلاء عن سبب المآسي التي يمر بها العالم: (**فلا يظفرون بِسَبَبٍ واحدٍ منطقى، يُبرِّر هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء واليتامى...**)، يركز الاستعارة هنا على إقامة الكوارث ومكوثها واستقرارها في زمن الصراعات الذي لا يأمن فيه الضعيف والفقير على نفسه، بل لا يرجو أن يحل الأقوياء مشاكله، وفي هذه الصراعات اللامتناهية تقبع الكوارث في أمان منقطع النظير، كأنها أقوام بلغت الماء في البيئة العربية القديمة ولما وردته بعد عناء ونصب لن يسهل إقناعها بتغييره، ويكني تعبير (أناخت مطاياها) عن طول المكث والإقامة، والاستعارة مع الكناية قامتا بدور فاعل في اتساق النص وبيان هذه المعاناة.

وترتبط هذه الصورة بصورة أخرى يعرض فيها لأسباب هذه الكوارث، ويعزو ذلك إلى تجارة السلاح الرائجة المربحة للأقوياء، وتظهر الاستعارة ذات الوقع الأليم، مع بيان سبب المآسي يقول: (**اللَّهُمَّ إلَّا سَبَبًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت**)، والموت ليس له مصانع، وإنما أراد تكثيف هذه الصورة مع ما قبلها ليعطينا صورة كاملة للصراع، وفاعلية الاستعارة تتجلى في "إحداث الصورة الرائعة تلك التي تبدو جديدة أمام العقل، بالربط دون المقارنة بين حقيقتين واقعيتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات سوى العقل"[(٢)]، وكلما كان الادعاء بكمال المشابهة في الاستعارة كانت قوتها وعمق تأثيرها، وحظوتها بالقبول عند السامع.

ومن نماذج الاستعارة أيضا قوله عن تقدم العصر وما فيه من رقي لا ينكره مبصر في العلوم الطبيعية والإنسانية، يقول: (**إلى آخرِ هذه المُنجزات الاجتماعيَّة والفلسَفيَّة التى يتيه بها**

---

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٦٧.

(٢) الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، ص١٣٤.

عصرنا الحَديث)، والعصر لا يفخر بالمنجزات وإنما يفخر بها الإنسان، شبه العصر بإنسان يتيه ويفخر، ومغزى الاستعارة وعي من في هذا العصر بكل هذه المنجزات ثم لا تغيّر من رفع العناء عن الناس فيه، فما قيمة هذه المنجزات وتلك النظريات وفي هذا تعريض بزيفها وخوائها والأصل الرجوع للأديان ومناهجها السليمة، ويرتبط هذا الكلام بموضع آخر يدعو فيه إلى نبذ هذه الفلسفات الفارغة التي لا تقدم شيئا للإنسان، يقول: **(ولا حَلَّ فيما يُؤَكِّدُ عُقلاءُ المُفَكِّرين فى الغَربِ والشَّرقِ إلَّا إعادةِ الوعى برسالاتِ السَّماء، وإخضاع الخِطاب الحَدَاثى المُنحَرِف لقِراءةٍ نقديَّةٍ عَميقة تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية وخوائها، وجموحِ العقلِ الفردى المُستبد وهيمنَتِهِ على حياة الأفراد)**؛ ولذلك يجب أخذ الصورة الاستعارية على أنها "كل متكامل، فإنها بما تعقده من تداخل بين طرفيها، تتيح الظهور لمعنى ما كان له أن يوجد بأية وسيلة أخرى، وذلك لأن كلا من الطرفين يكتسب بداخلها دلالة جديدة"[1]، وجل استعارات الخطاب يطغى عليها التشخيص وهو تحويل الجمادات إلى شخوص، والتجسيم ويعني تحويل المعنويات إلى محسوسات، فيلبس غير العاقل لباس العاقل حتى يحملها ما يريد من معاني، وقد كان لذلك دور في توصيل أزمات العصر التي يستغيث فيها غير العاقل استغاثة العاقل؛ يقول في أكثر من موضع: **(إنَّ التَّاريخَ لَمْ يَعْرِف لها مَثيلًا مِن قَبلُ- تجاهلُ الحضارةِ الحديثة للأديان الإلهيَّة- وإخضاع الخِطاب الحَدَاثى المُنحَرِف- تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية- تأخذ الأديان دورها- بسبب ما اقترفته قنابلها من تدمير البَشَر والحَجَرَ)**

وقد تكون الاستعارة عن قصد عند إضفاء صفات الحيوانية عند إرادة الثورة والهياج دون ضابط من عقل أو فهم، يقول: **(وجموح العقلِ الفردى المُستبد وهيمنَتِهِ على حياة الأفراد)**، وعند تصوير البشرية دون قانون إلهي يضبط تصرفاتهم، وعجز القوانين الوضعية عن حل مشكلات العالم، وأنها إذا نجحت في ضبط مناطق وبلاد إلا أنها لن تستطع حل مشكلات المجتمعات كافة، في هذه الحالة يتحول المجتمع البشري إلى مجتمع حيواني بلا قواعد ولا أنظمة تحكمه، يقول: **(حتى لا يتحوَّل العالَم إلى غابةٍ من الوحوشِ الضَّارية يعيش بعضُها على**

---

[1] حركات الشعر الحديث في سوريا من خلال أعلامه، أحمد بسام ساعي، ص٣٠٤.

لحوم البعضِ)، ومع تواصل الخطاب وتكامله يبدو التماسك والانسجام بين أجزائه، ويرجع ذلك إلى طبيعة الخطاب ودورانه حول فكرة السلام ودور الأديان، فيظهر اتساق الاستعارة الماضية مع الاستشهاد القرآني في الخطاب؛ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء :٧٠)، وقد تكررت الفكرة أكثر من مرة بصياغات مختلفة للإقناع وترك الأثر فترة من الزمن.

وفي موضع آخر عندما أراد أن ينفي عن الإسلام تهمة الإرهاب نسبها إلى أفراد لم يمكثوا حتى يتلقوا تعاليم الإسلام بفهم سليم، وتطبيق صريح، وتدين صادق، بل فعلوا ما فعلوه في غفلة من المجتمع ومناهج الدين الواضحة، يقول: **(فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا)**، والنصوص لا تختطف، وإنما تتلقى بالعلم والرواية والشرح والاختبار، ثم يجاز حاملها لينقلها إلى غيره، فصور طريقتهم في إزهاق الأرواح نتيجة سرقتهم لهذه النصوص، فالسارق لا ينتفع بسرقته أبدا وإن بدا له ولغيره النفع منها.

خامسا: التناص والاستشهادات وقيمتها الإقناعية.

تتداخل النصوص وتستدعى عند الحاجة إليها حسب موضع ورودها وأسباب هذا الاستدعاء كثيرة يفهم غرضها عند الوقوف على الاستشهاد بها، وهذا التداخل بين النصوص يعني: "الوجود اللغوي سواء كان نسبيا، أم كاملا، أم ناقصا لنص آخر، وربما كانت أوضح صور التداخل الاستشهاد بالنص الآخر داخل قوسين"[1]، ولم يقف الأمر هنا عند نقل نصوص لتقوية الخطاب وزيادة تأثيره بل توجيه الخطاب إلى الاستشهاد بنصوص دينية وتاريخية لتقوية الفكرة الرئيسية، والمتكلم يعرف منزلة هذا الخطاب في نفوس المتلقين له، لا الجمهور الموجود في قاعة المؤتمر فحسب بل يمتد أثره ليصل إلى كل بقاع العالم، نظرا لكون المتكلم شخصية تمثل المسلمين مع كثرة عددهم وكذلك المسيحيين في كل بقاع الأرض لحضور شخصية البابا فرنسيس، وكذلك المهتمين بالخطاب من اليهود والمثقفين والنقاد وغيرهم في ربوع الأرض، وبخاصة أن "أساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضا"[2]، وقد استشهد الخطاب هنا بالآيات المشهورة في سياق تكريم الإنسان وتفضيله في العقيدة الإسلامية مقدما ما تؤمن به هذه العقيدة كتطبيق فعلي للدعوة إلى السلام للبشرية؛ يقول هذه العقيدة تدعو إلى: **(احترام الإنسان أيًّا كان دينُه ولَونُه وعِرقُه ولغتُه)**؛ ثم يستشهد بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء:٧٠)، كما استشهد عقِبه بآية أخرى مقدما لها بقوله: (كما نقرأ فى باب التعارف والتراحم؛ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات:١٣)، ويبين الاستشهاد تكريم الإسلام لبني آدم جميعا لتكريم الله لهم، ويوضح قيمة التعارف مع الشعوب لا العزلة التي يبغيها أعداء الإسلام، ثم يوجهوا إليه سهامهم وسبابهم وينعتوه بالإرهاب معتمدين على تخويف الناس منه بتجهيلهم وصرفهم عن معرفته معرفة واضحة.

---

[1] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، ص١٥٢.

[2] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ص١٢٣.

وليس الإسلام دين إرهاب وإنما ينسب الإرهاب إليه قصدا لمآرب أعدائه وخوفهم من انتشاره، حيث لو أعطي للمنهج السليم فرصة لعرض أفكاره لا شك أنه سينتشر انتشار النار في الهشيم، ولذلك تأتي محاربته بتسليط الضوء على الأخطاء الفردية من المنتمين إليه، ومع تطور التاريخ وظهور القنوات الفضائية تصعب محاربة الإسلام بالطريقة التقليدية في الاحتلال والحروب الصليبية وغيرها؛ فكان لابد من تغيير وجه الغزو. وقد لبست الحروب ثوبا جديدا الآن وهو ثوب الحرب ضد الإرهاب العالمي، الذي تقوده أمريكا ضد الشعوب الإسلامية، وأن الاستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامي هي محاربة الإرهاب، وهناك عشرات المقالات والأقوال لساسة الغرب ومفكريهم تؤكد أن المستهدف من شن الحروب الغربية بزعامة أمريكا هو الإسلام وليس شيئا آخر[1]، والمتكلم هنا على دراية بهذه المعلومات لذا حاول من خلال الخطاب إبطال هذه التهمة.

كما أنه يخاطب بابا الفاتيكان وآباء الكنائس الشرقية والغربية وهم على دراية بكثير من نصوص القرآن؛ فإن كان استشهاده معروفا عندهم أكده لهم، وإن كان غير معروف أخبرهم به وبينه لهم، وبخاصة أن التناص "وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه إذ لا يكون هناك مرسل بغير متلق متقبل مستوعب مدرك لمراميه، وعلى هذا فإن وجود ميثاق وقسطا مشتركا بينهما من التقاليد الأدبية، ومن المعاني ضروري لنجاح العملية التواصلية"[2]، وهذه أقصر طرق التواصل بينهما.

ومن النصوص المتداخلة في الخطاب ما هو منسوب إلى النبي ﷺ، ولم يذكره شيخ الأزهر كحديث نبوي، وإنما كقول مأثور مقبول عند المسلمين، يقول في سياق حديثه عن قيم الأديان الخُلقية؛ ومنها: **(قيمة الأُخوَّة والتَّعارُف والتَّراحُم بين الناس، وتذكيرهم الدائم بأنَّ الخَلْقَ كلّهم عِيَالُ الله، وأنَّ أحبَّهُم إلى الله أنفعهم لِعيالِه)**، ذكره شيخ الأزهر كعنوان للتكامل والتساوي بين البشر، مادحا من يساعد الإنسانية للخروج من كبوتها، وهو قول مأثور لم أقف على نسبته إلى النبي ﷺ إلا في بعض المراجع التي أجمعت جميعها على ضعف سنده، يقول الأثر:"حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا يوسف بن عطية، حدثنا ثابت، عن أنس، قال رسول

---

[1] انظر/ الحرب النفسية، أضواء إسلامية، د.فهمي النجار، ص٣٢٨.

[2] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ص١٣٤.

الله ﷺ: "الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ"[1]، وإسناده ضعيف كما يقول محقق الكتاب، ويقول البوصيري في شأن هذا الأثر وطريقة إسناده: "ومدارُ إسناد حديث أنس هذا على يوسف بن عطية الصفار، وهو مُجْمَعٌ على تَرْكِهِ"[2]، وقد سيق هنا كقول مأثور فحواه تساوي الخلق جميعا في الحقوق والواجبات وعدم المساس بحقوق الناس حتى لو اختلفوا دينا ولغة ولونا وعرقا فكلهم لأب واحد، بل جعل منزلة الإنسان من الله بقدر إحسانه إلى البشرية.

ولم يكتف الخطاب بالاستشهاد على مبادئه بالنصوص الدينية المباشرة وغير المباشرة في نفي تهمة العنف والإرهاب عن الإسلام والمسلمين بل اتجه إلى التاريخ- الإحالة إلى التاريخ- يستشهد بأحداثه التي لا ينكرها أحد من الحضور من غير المسلمين خاصة، وهي أحظى بالقبول عندهم؛ لأنها أحداث يعرفونها ويؤمنون بحدوثها بل هي أقوى عندهم من النصوص الدينية للمسلمين، ولم يكن ليذكر نصوصا من القرآن إلا ليبين دعوة القرآن الكريم إلى تفضيل الإنسان من بني آدم، ودعوته إلى التعارف والأخوة في الإنسانية؛ فاستشهد بالحروب الصليبية، واحتلال فلسطين عام ١٩٤٨م، وقيام حربين عالميتين، وإلقاء قنابل أمريكا على اليابان، للتذكير بأن ما ينسب إلى المسلمين من نعت بالإرهاب يمكن أن ينسب إلى كل الأديان وجميع الحضارات، فليست كل الأديان أديان إرهاب بسبب طائفة ضلت الطريق، ولا الحضارات كذلك، ثم يصل إلى نتيجة وحجة قاطعة، يقول: **(هذه كلها انحرافات عن نهج الأديان وعن منطق الحضارات، وهذا الباب من الاتهام لـو فُتِحَ -كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن-فلَنْ يسلَمَ دينٌ ولا نظامٌ ولا حضارةٌ بل ولا تاريخٌ من تُهمة العُنف والإرهاب).**

وقد وظف التناص المباشر في الخطاب من خلال النصوص القرآنية والأحداث التاريخية التي استدعاها منشئ الخطاب، لتأييد وجهة نظره دون إفراط منه في كثرتها، بل وظف كل استشهاد في موضعه المناسب له، ولم يقتصر الأمر على هذا النوع من التناص بل هناك في الخطاب نماذج لتناص الأفكار والمعاني؛ ومنها على سبيل المثال أن كل ما جاء في الخطاب من

---

[1] مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى التميمي، برقم ٣٣١٥، ٦٥/٦.

[2] المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن المصري، ص ٣١٥.

أوله إلى آخره، وفي حضور رئيس أكبر مؤسسة دينية في العالم المسيحي يكاد أن يجمعه، قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٦٤)، فالدعوة إلى أن تأخذ الأديان دورها، ونفي تهمة الإرهاب عن الإسلام، والدعوة إلى الوقوف ضد الغلو ومنها تأليه الإنسان كل هذه معان واردة في الآية الكريمة.

سادسا: آليات الحجاج في الخطاب

اعتمد خطاب شيخ الأزهر اعتمادا واضحا على المبادئ الحجاجية والحقائق المتعارف عليها والمقبولة جملة وتفصيلا عند جمهور السامعين، فلم يتطرق لقضايا خلافية، بل يفهم من الخطاب نبذ الخلاف نظريا وتطبيقيا عبر البحث عن آليات التواصل والتقارب لا الانقطاع والتباعد، والمبادئ الحجاجية "هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها"(١)؛ أي هي مجموعة من المبادئ والآليات المتفق عليها بين المرسل والمستقبل، ويكون المستقبل على دراية بها ويسلم بصحتها.

كما ظهر لمعالم الحجاج في الخطاب؛ تصوران: أحدهما كان في جانب الدفاع عن العقيدة من خلال إرساء دعائم الفهم الصحيح للأديان وخاصة الإسلام، وتصويب المفاهيم المغلوطة من خلال الاعتماد على عرض الحقائق الواضحة التي ليس فيها جدال أو مراء، والثاني تصور سياسي من خلال الاتكاء على فشل الحضارات وحدها في القضاء على تجارة السلاح والكوارث التي يتعرض لها البشر في القرن الواحد والعشرين، مما يجعل العودة إلى قيم الأديان الخلقية أمرا لا مفر منه لحل هذه المشكلات، وكذلك حضور القضية الفلسطينية في المشهد له دلالة على اهتمام مؤسسة الأزهر بها اهتماما خاصا.

ومن خلال المبادئ الحجاجية للخطاب نتوقف إزاء أمرين في غاية الأهمية من الأدوات الحجاجية: أولهما: العوامل الحجاجية متمثلة في توظيف أدوات القصر، وليس من بين أدوات النفي، وثانيهما: الروابط الحجاجية متمثلة في توظيف بل، ولكن، ولأن، ثم نعرج على وظيفة

---

(١) اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ص٣٣.

القياس الحجاجي في تأكيد الأدلة والبراهين، ثم وضوح دور السلم الحجاجي في العملية الإقناعية.

أ- العوامل الحجاجية

استخدم الخطاب العوامل الحجاجية قصد التأثير والإقناع، وهذه العوامل لا تحد من طغيان الحجة بل تضبطها، ذلك لأنها "لا تربط بين متغيرات حجاجية؛ أي: بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما"[1]، وهو دور محوري لهذه العوامل في بناء الحجج واستثمارها.

ومن هذه العوامل الحجاجية استعمال أداة القصر؛ النفي والاستثناء (لا...إلا)، عند البحث عن سبب للمآسي والكوارث التي حلَّت بالمجتمعات، يقول: **(فلا يظفرون بِسَبَبٍ واحدٍ منطقى، يُبرِّر هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء واليتامى والأرامل والمُسنِّين، اللَّهُمَّ إلَّا سَبَبًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه)**، وكأنه يقول لاسبب وراء هذه الكوارث إلا تجارة السلاح وليس هناك سبب آخر، فقصر هذا الدمار على هذه التجارة، وكأنه ينكر جميع الأسباب الأخرى من فقر وجهل ومرض ويجعل تجارة السلاح هي السبب الرئيس في تفجير الصراعات التي تصل بالمجتمعات إلى مراتب الانحطاط والفقر.

ومن خلال عامل القصر يعرض قضية حل مشكلات العالم من خلال طريق واحد لا ثاني له، يقول: **(ولا حَلَّ فيما يُؤَكِّدُ عُقلاءُ المُفَكِّرِين فى الغَربِ والشَّرقِ إلَّا فى إعادةِ الوعى برسالاتِ السَّماء، وإخضاع الخِطاب الحَدَاثى المُنحَرِف لقِراءةٍ نقديَّةٍ عَميقة)**، فلا حل موجود غير هذا الحل، فقصر حلول مشكلات البشرية على شي واحد لا شيء سواه، وهو العودة إلى رسالات السماء(الأديان)، فجعل الأديان هي وحدها القادرة على ضبط العقل من الخواء والجموح وهما نقيضان دائما ما يقع فيهما العقل إذا خرج عما خلق من أجله.

---

[1] السابق، ص٢٥.

ومن خلال المثالين اللذين ذكر فيهما هذا العامل الحجاجي المهم، يكون الخطاب قد ركز على قضيتين جوهريتين يجب علاجهما إذا كانت هناك مساع لحل مشكلات البشر؛ وهما وقف تجارة السلاح بالكلية، والإذعان دون تفكير لرسالات السماء.

ب- الروابط الحجاجية

جرى استدعاء الروابط الحجاجية بكثرة في الخطاب نظرا لطبيعته الحجاجية وقد بين البحث من خلال إحصاء أداة العطف الواو التي وردت ما يقرب من ١٤٥ مرة، كما أن أدوات مثل: بل، ولكن، لأن، كان لها دور الربط الحجاجي.

الإضراب بل وحجاجية الانتقال في الخطاب، إن القيمة التعبيرية والتأثيرية التي يحدثها الإضراب على المتلقي عميقة الدلالة، لأن أصل الإضراب التحول من أمر إلى أمر آخر لإبطاله أو للانتقال عن الأول إلى الثاني لغرض يبغي المتكلم توضيحه حسب السياق، ودائما ما ينظر إلى غرض الإضراب؛ للوقوف على قصد المتكلم من ورائه، وبخاصة إذا كان وروده ظاهرة في الخطاب تدعو إلى البحث وراء دلالاتها لخدمة غرض الخطاب ومقاصده، والإضراب له أداة معروفة هي (بل)، "ومعناها الإضراب عن الأول والإثبات للثاني؛ نحو قولك: ضربتُ زيداً بلْ عمراً"[(١)]، وهو الإضراب الإبطالي وهذا المعنى هو الأكثر شهرة، ولكن هناك معنى آخر يتنازع هذا المعنى يفهم من السياق، وهو الإضراب الانتقالي، ويمكن التفريق بين المعنيين بالتمثيل، "فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب؛ إما الإبطال، نحو: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦)؛ أي: بل هم عباد، وإما الانتقال من غرض إلى آخر، ومثاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(الأعلى:١٤-١٦)"[(٢)]، فالإضراب إما إبطالي يبطل الحكم السابق عليه، أو انتقالي ينقل من غرض إلى آخر.

ويتضح من سياق الخطاب قيمة أداة الإضراب (بل) كأداة حجاجية حيث "لا يريد المرسل إبطال ما بعد بل، بقدر ما يريد الانتقال من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة أعلى"[(٣)]، فقد كُررت ثلاث مرات في مواضع مختلفة، فيذكر قولا ثم ينتقل منه في إضراب

---

(١) اللمع في العربية، أبو الفتح بن جني، ص٩٣، وانظر/ الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج البغدادي، ص ٥٧/٢.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ص١٥١، ١٥٢.

(٣) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٥١٥.

انتقالي إلى قول آخر من قبيل التتميم، مثال ذلك قوله: **(ومِمَّا يُثيرُ الإحباطَ أنْ تَحدُثَ هذه الأزمة الحادَّة فى القرنِ الواحدِ والعِشرين، قرنِ التحضُّر والرُّقى وحُقُوق الإنسان، والتقدُّمِ العلمى والتِّقنى الهائل، وفي عَصْرِ مؤسَّسَات السَّلام ومجالسِ الأمنِ، وتجريمِ استخدام القُوَّة، والتَّهديد بها فى العَلاقات الدوليَّة، بل عصرِ المَذاهِب الاجتماعيةِ والفلسفات الإنسانيَّة، والتبشير بالمُسَاواةِ المُطْلَقة ومُجتمع الطَّبقة الواحدة، والحَدَاثَة اللادينيَّة، ومَا بعد الحَدَاثة)**، فالإضراب هنا انتقالي ينتقل به من أوصاف القرن الواحد والعشرين وما فيه من تقدم تقني هائل وتطور في المؤسسات والقوانين، إلى مجالات أخرى شهدت أيضا تطورا غير مسبوق؛ كتطور العلوم الإنسانية من مذاهب اجتماعية وفلسفات، وكل العلوم المنوط بها حل مشكلات المجتمعات، وتتوسط (بل) بين شبكة الحقول الدلالية الأولى والثانية؛ فبين الجمل الأولى تناسب وتوافق في كونها مؤسسات متقدمة عما سبق من عصور الظلام التي عاشتها القرون السابقة، وبين الثانية توافق في كونها علوما معدَّة لخدمة البشرية، كما تحمل الأداة معنى التوبيخ لكل هذا التقدم المتنوع غير القادر على حل مشكلاته.

وفي الموضع الثاني وبعد أن ذكر براءة الأديان من تهمة العنف والإرهاب، وأن ما يحدث من تجاوزات ينسب إلى فهم الأتباع المغلوط، انتقل إلى الحضارات لينفي عنها التهمة نفسها، فقال: (**بل** لَيْسَت الحضَارة الأوروبيَّة حضارةَ إرهاب...)، فأتاح الإضراب الانتقال من نفي التهمة عن الديانات أولا، ثم عن الحضارات ثانيا ليخاطب العقل الذي يؤمن بالحضارات ولا يؤمن بالأديان، وليقيم عليه الحجة في ذلك، مع التناسب بين الألفاظ وتقارب حقولها المعرفية.

وفي الموضع الثالث؛ يقول: **(وهذا الباب من الاتهام لـو فُـتِحَ –كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن-فلَنْ يسلَمَ دينٌ ولا نظامٌ ولا حضارةٌ بل ولا تاريخٌ من تُهمة العُنف والإرهاب)**، ومجيئ (بل) هنا بعد أن عقَّب على براءة الأديان والحضارات ثم ارتقى إلى التاريخ وهو أعم وأكبر؛ لاستيعاب كل جوانب الأزمنة والأمكنة من بدء الخليقة حتى العصر الحديث، وقد قصر إضرابه على الإضراب الانتقالي وفيه فائدة التأكيد والاستمرار وتكامل الفكرة.

لكن وأثر الاستدراك في الخطاب، وردت لكن في الخطاب مرة واحدة تفيد استدراك المتكلم لقضية مهمة، فبعد أن بين عبر التسلسل المنطقي دواعي تسلم الأديان راية القيادة

كبديل أصيل لمنتجات العقل البشري التي يشوبها التناقض والنقص، بادر مستدركا حتى يؤكد هذه القضية وليستدرك إلى جذب فئة من السامعين ربما تقول وماذا عن هذه الأديان التي تخرج الإرهاب ولا تستطيع نفع نفسها، فاستدرك قائلا: (**ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل على تنقِية صُورة الأديان مِمَّا عَلِقَ بها من فهومٍ مغلوطةٍ، وتطبيقاتٍ مغشوشةٍ وتديُّنٍ كاذبٍ يُؤجِّجُ الصِّراعَ ويبث الكراهية ويبعث على العُنف..**)، فكان لهذا الاستدراك قيمته في اكتمال أركان الحجة وجذب أكبر قدر من المتلقين الذين يُبعدون عن الأديان بهذه الأسباب أو يعرفون هذه الانحرافات عن أتباع الأديان لكنهم يخلطون بين تصرفات الأتباع ومناهج الأديان.

لأن وتأكيد النتيجة، يقول: (**وفى اعْتِقَادى أنَّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهَّدة لأن تأخذ الأديان دورها فى إبرازِ قيمَة السَّلَام...**)، حيث جاءت (لأن) كأداة لإقامة الحجة، وعرض النتائج المتوصل إليها عقلا؛ فبعد فشل العقل ومنجزاته، جاء بهذه الحجة التي أدرجها في سياق المحصلة لهذه الأسباب، كما ربطت بين القضايا السابق عرضها لانحراف الحضارات والفلسفات، وبين النتيجة المفهومة من كل هذا.

ت- القياس الحجاجي

وظف الخطاب آلية القياس الحجاجي في العملية الإقناعية، وجاءت على نحو يقطع الشك باليقين في براءة الإسلام من تهمة الإرهاب، وأن ما يشاع من نسبة هذه التهمة إلى الإسلام تلحق هذه التهمة بنظائره من الأديان الأخرى والحضارات أيضا؛ يقول: (**وألَّا نُحاكِمَ الأديان بجرائمِ قِلَّةٍ عابثةٍ من المؤمنين بهذا الدِّين أو ذاك، فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ويقتلون الأبرياء ويروعون الآمنين، ويجدون مَن يمدهم بالمال والسلاح والتدريب.. ولَيْسَت المَسيحيَّة دين إرهابٍ بسبب أن طائفة من المؤمنين بها حملوا الصليب وراحوا يحصدون الأرواح لا يفرقون فيها بين رجل وامرأة وطفل ومقاتل وأسير، وليست اليهودية دين إرهاب بسببِ توظيف تعاليم موسى (عليه السلام) –وحاشاه- توظيفها فى احتلالِ أراضٍ، راحَ ضَحِيَّته الملايين من أصحاب الحُقُوق من شَعْبِ فلسطين المَغلُوب على أمرِه، بل لَيْسَت الحضَارة الأوروبيَّة حضارةَ إرهاب بسببِ حربين عالَميتَين اندَلعتَا فى قلبِ**

أوروبا وراحَ ضَحِيَّتها أكثر من سبعين مليونًا من القتلى، ولا الحضارة الأمريكية حضارة إرهاب بسبب ما اقترفته قنابلها من تدمير البَشَر والحَجَرَ فى هيروشيما ونجازاكى، هذه كلها انحرافات عن نهج الأديان وعن منطق الحضارات وهذا الباب من الاتهام لـو فُـتِحَ –كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن-فلَنْ يسلَمَ دينٌ ولا نظامٌ ولا حضارةٌ بل ولا تاريخٌ من تُهمة العُنف والإرهاب)، والفقرة على طولها الذي جاء في صورة الإطناب بزيادة اللفظ على المعنى لفائدة، رغم قصر الخطاب وإيجازه بشكل عام إلا أن الخطاب أطنب في هذا الجانب لفرط أهميته في نفي تهمة العنف عن الإسلام، فلم يترك دينا من الأديان السماوية، ولا حضارة من الحضارات الباقية القائمة إلا ويمكن وصمها بالإرهاب لتشابه ظروف الفهم الخاطئ عند جميعها.

وقد كان للأداة (ليس) دور النفي في الخطاب، وقد قرع تكرارها الأسماع أربع مرات ثم عدل عنها إلى الأداة (لا) في الخامسة حتى يدفع الملل بتكرارها خمس مرات فتحدث انتكاسة في العملية التأثيرية التي تركها استخدام أداة النفي (ليس).

ث- السلم الحجاجي

يتكئ السلم الحجاجي على سلامة ترتيب الحجج واعتدالها بطريقة تأخذ المتلقي من حجة أدنى إلى أخرى أعلى، لخدمة الغرض الرئيسي للخطاب، مع منطقية التسلسل في عرض الأفكار، وألا تناقض بين الحجج في الترتيب، ويكون الاعتماد على أن "كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه، وكل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"[1]، وقد اعتمد خطاب الأزهر على هذه الآلية في سوق حججه بطريقة منظمة ومرتبة ترتيبا منطقيا بدءا من عرض أسباب المشكلات إلى الدعوة إلى حلها، مرورا بعدد من الحجج التي يأخذ بعضها برقاب بعض للوصول إلى السلام الضائع.

ويبن هذا الشكل طريقة سير القضايا وترتيبها من الأدنى إلى الأعلى

← دعوة الأزهر إلى السلام والعمل معا على تقديم الحلول لمشكلات العصر.

[1] اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، ص٢٧٧.

- وبالتالي نفي تهمة الإرهاب عن الإسلام لسوء فهم بعض الأتباع، وإلا فكل الديانات والحضارات متهمة بهذا (وذكر أمثله للأديان السماوية الموجودة، والحضارات الباقية المشاهدة).
- لا نحاكم الأديان بسبب قلة عابثة فهمت مناهج الأديان فهما خاطئا.
- تنقية صورة الأديان مما علق بها من أخطاء في الفهم.
- إعادة الوعي برسالات السماء (العودة إلى مناهج الأديان).
- السبب في ضياع السلام تجاهل الحضارة الحديثة للأديان.
- فشل القرن الواحد والعشرين (تقنياته الحديثة وفلسفاته الحداثية) في حل مشكلات العالم.
- تجارة السلاح سبب معاناة البشر.
- البحث عن السلام الضائع.

فمن خلال تراتب القضايا في الخطاب، يتبين حرص خطاب شيخ الأزهر على استعمال الحجج المنطقية المنظمة القابلة للتصديق، وذلك لتقريب المسافات بين الأفكار والمعتقدات المتباينة لحل مشكلات البشر على اختلاف دياناتهم وأعراقهم وألوانهم ولغاتهم.

وقد جاءت القضايا كما في الشكل الماضي مرتبة من أول قضية في الخطاب إلى آخر قضية، كما عرض الشكل السابق، لكن يمكن تمثيل أدق الحجج من خلال السلم التالي:
ويبن هذا الشكل طريقة سير الحجج وترتيبها من الأدنى إلى الأعلى

- لا حل إلا في تسلم الأديان راية القيادة لحل المشكلات.
- فشل الفلسفات والنظريات الاجتماعية في حل المشكلات.
- فشل التطور التقني والتكنولوجي في حل المشكلات.

- تجارة السلاح هي الأصل في الكوارث والمشكلات.

وقد حمل الخطاب بين طياته اهتماما بالعملية الحجاجية الإقناعية، من خلال وضوح استخدامه لأدوات الحجاج من الروابط والعوامل الحجاجية، والقياس الحجاجي، وأخيرا آلية السلم الحجاجي القائمة على التدرج في الإقناع.

سابعا: التصفيق ونقاط التلاقي مع الجمهور

التصفيق أحد نقاط التلاقي بين المتكلم والمستمع، وهو آلية من آليات التواصل والشعور بالتقارب بين الجانبين، بل ويدل دلالة واضحة على أن المتلقي قد جاوز مرحلة الارتياح النفسي الداخلي ثم بدا على وجهه التبسم كطغيان للرضا الداخلي، ثم تطور ذلك إلى إبراز هذا الرضا في صورة ضرب اليدين فرحا بما يقول المتكلم، وتشجيعا له وإعلاما صريحا بقبوله لما يعرض من أفكار، وليس كل التصفيق قبولا ورضا عن المتكلم، فهناك أنواع أخرى؛ كالتصفيق البطيء المتباعد الرافض لما يقوله المتكلم، أو تصفيق التأبين، وتتنوع مقاصد التصفيق حسب الغرض والموقف ونوعية الجمهور، ولكن المراد هنا تصفيق الرضا والقبول، و"التصفيق مفردة من مفردات لغة الجسد سواء أكان للفرد أو للمجموع، قد لا يزيد عن رمز لكنه يكشف عن مستوى الوعي وما إذا كان الناس يتصرفون في حدود المعقول أو يبالغون في الخروج على الأصول."[1]

ويستطيع الناقد الحكم على صدق المشاعر من خلال الجمل التي يصفق بعدها الجمهور ابتهاجا بما يقول المرسل مع تحديد أهمية تلك الجمل والعبارات المختارة وقراءة الخطاب ثقافيا واجتماعيا؛ لأن "التصفيق ممارسة ثقافية؛ لذلك تختلف طريقة استخدامه ووظائفه وكيفية تأويله من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر. ومع ذلك فقد أدى كون التصفيق شعيرةً تواصلية في كثير من أشكال التواصل الجماهيري في الوقت الراهن إلى تحوله في بعض الأحيان إلى عرف مستقر، لا يختلف مداه الزمني أو مواقع حدوثه من ثقافة إلى أخرى"[2]، ومن خلال تقنية الفيديو(التسجيل) لوحظ عدد من المواضع التي صفق فيها الجمهور لخطاب شيخ الأزهر نلقي

---

[1] التصفيق، إبراهيم عرفات، صحيفة الأهرام المصرية، العدد ٤٧٠٢٥.

[2] التصفيق صوت سحري في عالم البشر، د. عماد عبد اللطيف، مجلة العربي، سبتمبر ٢٠٠٩م.

الضوء على هذه المواضع مع بيان دورها في الخطاب، وما فيها من استثارة وقبول عند متلقي الخطاب:

ففي الموضع الأول بعد أن ذكر المآسي التي يتعرض لها البشر والكوارث التي يراها الناس كل وقت وحين مع انتشار القنوات الفضائية، والشبكات العنكبوتية العملاقة، ومواقع التواصل الاجتماعي المتنوعة الأغراض، يحاول العقلاء أن يجدوا مبررا مقنعا لتلك الكوارث والمآسي، فيقول: **(اللَّهُمَّ إلَّا سَببًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت، والإثراء الفَاحِش من صفقاتٍ مُريبةٍ، تسبقها قَرارَاتٌ دوليَّةٌ طائشة)**، وطريقة عرض الفكرة هنا من حيث التشويق والإطالة في الترغيب وجذب انتباه السامع عبر طرح الأسئلة، ومحاولة إشراكه في التفكير في هذه الكوارث والمآسي، وبعد طول عرض لمقدمات الأمر وما يعانيه الناس من ويلات الحروب والهجرة غير الشرعية التي تودي بهم وتلقي بهم على شواطئ البحار غرقا وجثثا، يفاجأ الجميع بأن ما يحدث من هذه الأفاعيل بسبب تجارة السلاح الرائجة ذات المكاسب السريعة.

وبلاغة المتلقي هنا تتجلى في توقع السبب، لكن السبب بعيد كل البعد عن الذكر والإشارة إليه محظورة؛ لأن القائمين على مثل هذه التجارة أشد فتكا وبطشا لمن يلوح برفضها ويحشد الحشود للوقوف في وجهها؛ لذا كان تلقي الجمهور للسبب، يتنوع حسب مستوى الاهتمام بالقضية، فبعضهم فوجئ بالسبب واستحسنه، والبعض الآخر قرأ السبب وتوقعه، فلما ذكر السبب كان كالمنتبه اليقظ للحوادث من حوله؛ لذا بادر الجميع بالتصفيق قبولا لهذا السبب.

وأما الموضع الثاني فقد جاء عندما أراد أن يبرئ الإسلام من تهمة العنف والإرهاب حيث عدّد كثيرا من الانتهاكات التي فعلها أتباع الأديان والحضارات، ناسبا هذه الانحرافات إلى فئات قليلة فهمت مناهج الأديان فهما خاطئا وكذلك منطق الحضارات، ولما وصل إلى قوله: **(وليست اليهودية دين إرهاب بسببِ توظيف تعاليم موسى (عليه السلام) –وحاشاه- توظيفها فى احتلالِ أراضٍ، راحَ ضَحِيَّته الملايين من أصحاب الحُقُوق من شَعْبِ فلسطين المَغلُوب على أمرِه)**، فضجت القاعة بالتصفيق؛ لأن قضية فلسطين قضية شعوب عربية

وإسلامية في المقام الأول، وذات اهتمام عند المسيحيين من المشارقة لوجود مقدسات الدين المسيحي هناك وهي تحت سيطرة اليهود، وكذلك رفض رجال الدين من الجانبين ومن خلفهم بقية المسلمين والمسيحيين لما يتعرض له الفلسطينيون من مآس وحروب والجميع يعرف أنها أرضهم فيتعاطفون معهم، كما أنه استخدم مصطلحا دارجا عند المصريين وهو (المَغلُوب على أمرِه)، ويقال هذا عندما يصبح صاحب الحق غير قادر نهائيا على مواجهة الظلم.

الموضع الثالث: بعد كلمة التقريظ التي قالها شيخ الأزهر في الخطاب متوجها بها إلى البابا فرنسيس بابا الفاتيكان، وآباء الكنائس الغربية والشرقية وقدم الغربية على الشرقية لوجود البابا ومن تبعه من أساقفة الكنائس في الغرب، وهم ضيوف عند آباء الكنائس الشرقية فقدمهم للعناية بهم، يقول في تقريظه: (**وإنَّا لنقدِّرُ لكم -حضرة البابا- تصريحاتِكُم المُنصفَةَ، التى تدفعُ عن الإسلام والمسلمين تُهمَةَ العُنف والإرهاب، وقد لمسنا فيكم وفى هذه الكوكبة من آباء الكنائس الغربية والشرقية، حِرصًا على احترام العقائد والأديان ورموزها...**)، فصفق الحضور لهذا التقريظ لسببين: الأول: شكر البابا وآباء الكنائس على هذه المودة والعدل والإنصاف للدين الإسلامي خاصة من المسلمين، والثاني: شكر شيخ الأزهر على هذا التقريظ من جانب آباء الكنائس وجمهور المسيحيين، فحدث التوافق من جانب المتلقين مع اختلاف الأيديولوجيات والثقافة والأسباب والدواعي، وهناك مواضع أخرى للتصفيق كالتصفيق في بداية الخطاب وفي آخره وتلك عادات طبيعية في مثل هذه الخطابات.

ملحق

نص خطاب شيخ الأزهر في المؤتمر العالمي للسلام ١٢ إبريل ٢٠١٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الضيف الكبير الأخ العزيز حضـرة البابا/ فرانسيس بابا-الفاتيكان

السادة الحضور الكريم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وتحِيَّةً خالصَةً مِن الأزْهَرِ الشَّريف ومن مجلسِ حُكَمَاء المسلمين لحضراتِكم، ممزوجةً بالشُّكر لاستجابتكم الكَريمة وزيارتِكم التاريخيَّةِ لمصرَ وللأزهر الشريف، هذه الزيارة التى تَجِيءُ في وقتِها تلبيةً لنداء الأزهر وللمُشاركةِ في مؤتمَرِهِ العالمى للسَّلامِ، هَذَا السَّلام الضَّائع الذى تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى، وهائمون على وجوههم فى الصحراء، وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائيةٍ لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ والهَلاكُ والغَرَقُ والأشلاءُ والجُثَثُ المُلقَاةُ على شواطئ البِحار، فى مأساةٍ إنسانيَّةٍ بالِغة الحُزنِ، لا نَعْدُو الحَقِيقةَ لَوْ قُلنَا: إنَّ التَّاريخَ لَمْ يَعْرِف لها مَثيلًا مِن قَبلُ.

ولايَزالُ العُقَلاء وأصحاب الضَّمائر اليَقِظَة يبحثونَ عَن سَببٍ مُقنِع وراء هذه المآسى التى كُتِبَ عَلَينا أن ندفعَ ثمَنَها الفادِحَ من أرواحِنا ودمائِنَا، فلا يظفرون بِسَبَبٍ واحدٍ منطقى، يُبرِّر هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء واليتامى والأرامل والمُسنِّين، اللَّهُمَّ إلَّا سَببًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت، والإثراء الفَاحِش من صفقاتٍ مُريبةٍ، تسبقها قَرارَاتٌ دوليَّةٌ طائشة.

ومِمَّا يُثيرُ الإحباطَ أنْ تَحدُثَ هذه الأزمة الحادَّة فى القرنِ الواحدِ والعِشرين، قرنِ التحضُّر والرُّقى وحُقُوق الإنسان، والتقدُّمِ العلمى والتِّقنى الهائل، وفي عَصْرِ مؤسَّسَات السَّلام ومجالسِ الأمنِ، وتجريمِ استخدام القُوَّة، والتَّهديد بها فى العَلاقات الدوليَّة، بل عصرِ المَذاهِب الاجتماعيةِ والفلسفات الإنسانيَّة، والتبشير بالمُسَاواةِ المُطْلَقة ومُجتمع الطَّبقة الواحدة، والحَدَاثَة اللادينيَّة، ومَا بعد الحَدَاثة، إلى آخرِ هذه المُنجزات الاجتماعيَّة والفلسَفيَّة التى يتيه بها عصرنا الحَديث.

والسُّؤالُ المحورى فى هذه المُفارقة هو: كيف أصبحَ السَّلامُ العالمى الآن وسط كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقُود؟ وكيفَ شَهِدَ عصر حُقُوق الإنسان من الأعمال الهَمَجِيَّة ما لم يَشْهَدَه عصرٌ مِن قَبلُ؟ والإجابة التى أعتقد أنَّ حضراتِكم توافقُونَنِى عليها هى تجاهلُ الحضارةِ الحديثة للأديان الإلهيَّة، وقيمِها الخُلقيَّة الرَّاسِخة التى لا تتبدَّل بتبدُّل المصالح والأغراض، والنَّزوات والشَّهوات، وأوَّلُها: قيمة الأُخوَّة والتَّعارُف والتَّراحُم بين الناس، وتذكيرهم الدائم بأنَّ الخَلْقَ كلّهم عِيَالُ الله، وأنَّ أحبَّهُم إلى الله أنفعهم لِعيالِه، وذلك حتى لا يتحوَّل العالَم إلى غابةٍ من الوحوشِ الضَّارية يعيش بعضُها على لحوم البعضِ.

ولا حَلَّ فيما يُؤكِّدُ عُقلاءُ المُفكِّرين فى الغَربِ والشَّرقِ إلَّا فى إعادةِ الوعى برسالاتِ السَّماء، وإخضاع الخِطاب الحَدَاثى المُنحَرِف لقِراءةٍ نقديَّةٍ عَميقة تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية وخوائها، وجموحِ العقلِ الفردى المُستبد وهيمنَتِهِ على حياة الأفراد. وفى اعْتِقَادى أنَّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهَّدة لأن تأخذ الأديان دورها فى إبرازِ قيمَة «السَّلَام» وقيمَة العَدْلِ والمُساواةِ، واحترامِ الإنسان أيًّا كان دينُه ولَونُه وعِرقُه ولغتُه، وفى القُرآن الكريم الذى يَتلوه المسلمون صباحَ مساء نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسـراء :٧٠]، كما نقرأ فى باب التعارف والتراحم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل على تنقِية صُورة الأديان مِمَّا عَلِقَ بها من فهومٍ مغلوطةٍ، وتطبيقاتٍ مغشوشةٍ وتديُّنٍ كاذبٍ يُؤجِّجُ الصِّراعَ ويبث الكراهية ويبعث على العُنف.. وألَّا نُحاكِمَ الأديان بجرائمِ قِلَّةٍ عابثةٍ من المؤمنين بهذا الدِّين أو ذاك، فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ويقتلون الأبرياء ويروعون الآمنين، ويجدون مَن يمدهم بالمال والسلاح والتدريب.. ولَيْسَت المَسيحيَّة دين إرهابٍ بسبب أن طائفة من المؤمنين بها حملوا الصليب وراحوا يحصدون الأرواح لا يفرقون فيها بين رجل وامرأة وطفل ومقاتل وأسير، وليست اليهودية دين إرهاب بسببِ توظيف تعاليم موسى (عليه السلام) –وحاشاه- توظيفها

فى احتلالِ أراضٍ، راحَ ضَحِيَّته الملايين من أصحاب الحُقُوق من شَعْبِ فلسطين المَغلُوب على أمرِه، بل لَيْسَت الحضَارة الأوروبيَّة حضارةَ إرهاب بسببِ حربين عالَميتَين اندَلعتَا فى قلبِ أوروبا وراحَ ضَحِيَّتهما أكثر من سبعين مليونًا من القتلى، ولا الحضارة الأمريكية حضارة إرهاب بسبب ما اقترفته قنابلها من تدمير البَشَر والحَجَرَ فى هيروشيما ونجازاكى، هذه كلها انحرافات عن نهج الأديان وعن منطق الحضارات وهذا الباب من الاتهام لـو فُـتِحَ –كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن-فلَنْ يسلَم دينٌ ولا نظامٌ ولا حضارةٌ بل ولا تاريخٌ من تُهمة العُنف والإرهاب.

وإنَّا لنقدِّرُ لكم -حضرة البابا- تصريحاتِكُم المُنصفَةَ، التى تدفعُ عن الإسلام والمسلمين تُهمَةَ العُنف والإرهاب، وقد لمسنا فيكم وفى هذه الكوكبة من آباء الكنائس الغربية والشرقية، حِرصًا على احترامِ العقائد والأديان ورموزها، والوقوف مَعًا فى وجه مَن يُسيء إليها، ومَن يُوظِّفها فى إشعال الصِّراع بين المؤمنين.

هذَا، ولا يَزالُ الأزهرُ يسعى من أجلِ التعاون فى مجال الدَّعوَةِ إلى ترسيخ فلسفة العَيْش المُشتَرَك وإحياء منهجِ الحوار، واحتِرام عقائد الآخرين، والعملِ معًا فى مجالِ المُتفق عليه بين المؤمنينَ بالأديان وهو كثيرٌ وكثيرٌ..

فلْنَسْعَ معًا من أجلِ المُستضعَفِين والجائِعين والخائفين والأسرى والمُعذَّبين فى الأرضِ دون فرزٍ ولا تصنيفٍ ولا تمييز. ولنعملْ معًا على استنقاذِ كيانِ الأُسرة مِمَّا يُتربَّص بها من انفلاتِ الأخلاق، وانحرافاتِ البَحث العِلمى، واستنقاذِ البيئة من الفَسَادِ والمُفْسِدِينَ في الأرض. ولنقف معًا فى وجهِ سياسات الهيمنة، ونظريات: صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، ودعوات الإلحاد، والعقلية الميكيافيليَّة، والحداثة اللادينيَّة، وفلسفاتِ تأليهِ الإنسانِ، وما ينشأ عن كلِّ ذلك من مآسٍ وكوارثَ فى كل مكانٍ.

وفى خِتامِ كَلِمَتِى أتوجهُ إلى الله الرَّحمن الرَّحيم أن يُبَارِكَ هذا اللِّقاءَ، وأنْ يَجْعَلَ منه خطوةً حقيقيةً نتعاونُ فيها جميعًا على نَشْرِ ثقافَة السَّلام والتآخى والعَيْش المُشتَرَك بين الناس.

شكرًا لكم والسَّلامُ عَلَـيْكُم ورَحْمَـةُ اللهِ وبَرَكَاتُه

المصادر والمراجع

الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، د. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٧٤م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٩٩٥ مـ.

إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار اليمامة، دمشق - بيروت، ط٤ ، سنة ١٤١٥ هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

بحر العلوم، أبو الليث نصر بن مُحَمَّد السمرقندي، دار الفكر ، بيروت.

البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر – بيروت.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشره د. حسن عباس زكي، القاهرة، ط ١٤١٩هـ.

البرهان فى تناسب سور القرآن، أبو جعفر بن الزبير الثقفي الغرناطي، مُحَمَّد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٩٩٠ م.

البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، مُحَمَّد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٩٢م.

البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م

البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١٩٩٣،١م.

تحرير التحبير، عبد العظيم بن أبي الإصبع العدواني المصري، د. حفني مُحَمَّد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ

التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم بن جزي الكلبي الغرناطي، د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ .

تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن مُحَمَّد المروزى السمعاني، ياسر بن إبراهيم وآخرون، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٧م.

تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زَمَنِين المالكي، أبو عبد الله حسين بن عكاشة وآخرون، الفاروق الحديثة، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.

تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٦م.

تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د.مُحَمَّد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

التكرير بين المثير والتأثير عز الدين السيد، عالم الكتب، بيروت ط٢، ١٤٠٧هـ.

تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، جلال الدين السيوطي، ت/عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٨٦م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط٢٠٠٠،١م.

جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله مُحَمَّد شمس الدين القرطبي، أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤ م.

حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مُحَمَّد الأمين بن عبد الله العلوي، د. هاشم مُحَمَّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

دراسات لأسلوب القرآن الكريم، مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.

درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، د. مُحَمَّد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط١١، ٢٠٠١ م .

دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط١.

دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية، د. منير محمود المسيري، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠٠٥.

الربط في اللفظ والمعنى، د. محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط١ ٢٠١٠م

روح البيان، أبو الفداء إسماعيل حقي، دار الفكر ، بيروت.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

شرح المفصل، موفق الدين الأسدي ، المعروف بابن يعيش، ت: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ م.

العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، د. أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان ديك، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن مُحَمَّد النيسابوري، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٦هـ.

فتح القدير، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١٤١٤،١هـ.

فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيب، إياد مُحَمَّد الغوج وآخرون، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ٢٠١٣.

الفصل والوصل في القرآن الكريم، منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية،ط٢، ١٩٩٧م.
فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، د.السيد خضر، مكتبة الآداب، ط٢٠٠٩، القاهرة.
في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق ، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ .
الكتاب، عمرو بن عثمان أبو بشر، الملقب سيبويه، عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
الكشاف، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
كشف المعانى فى المتشابه من المثانى، بدر الدين بن جماعة الحموي، د.عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩٠م.
اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، ت. غازي مختار، دار الفكر، دمشق، ط١.
اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين بن عادل، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
لسانيات النص، د. مُحَمَّد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير الكاتب، مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات حافظ الدين النسفي، د. يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، دار السلام ، القاهرة، ط٢٠٠٢،١م.
مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
-المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية دمشق، ط١٤١٢،١هـ.

المفصل في صنعة الإعراب، جار الله الزمخشري، د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

مقاييس اللغة، أحمد أبو الحسين بن فارس، عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

من بلاغة القرآن، أحمد أحمد البدوي، نهضه مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

المنار (تفسير القرآن الحكيم)، مُحَمَّد رشيد بن علي رضا شمس الدين القلموني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩٠م.

منهاج البلغاء، أبو الحسن حازم القرطاجني، مُحَمَّد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس ٢٠٠٨م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل الأول: علم النص..... ٥ -٦٢

النص لغة واصطلاحا

معايير النصية:

السبك أو الانساق (الربط النحوي)

الحبك أو التماسك الدلالي.

القصدية وهو الهدف من إنشاء النص.

القبول أو المقبولية ويتعلق بموقف المتلقي من النص من حيث قبوله أو رفضه.

الإخبارية أو الإعلامية وتتعلق بأفق انتظار المتلقي وتوقعه للمعلومات الواردة في النص .

السياق أو المقامية وتتعلق بمناسبة النص للموقف والظروف المحيطة به.

التناص .

الفصل الثاني: بلاغة النص وتطبيقاته ٦٣- ١٢٠

- المناسبة.

- التناسق بين أجزاء السورة ومقاطعها.

- تنوع الجمل وأثره على تماسك نظم السورة (الجملة الطلبية والجملة الشرطية).

- أساليب التأكيد والتقرير ودورها النصي (ويشمل: التكرار، والتوكيد).

- العدول في بناء الجملة وأثره على تماسك نظم السورة وتناسقها.

- دور الفواصل في التماسك والتناسق في السورة.

الفصل الثالث: تحليل الخطاب وتطبيقاته. ١٢١-١٧٢

الإشاريات في الخطاب ودلالاتها.

الحذف أو النص الموازي دراسة وعرض لما سكت عنه الخطاب من ملفوظات.

طريقة تنظيم الخطاب والتناسب بين فقره وأجزائه.

أدوات التحليل الأسلوبي والبلاغي للخطاب.

التناص والاستشهاد بالنصوص والأحداث التاريخية.

الروابط والعوامل الحجاجية في الخطاب، و القياس الحجاجي، والسلم الحجاجي.

ردود أفعال الجمهور تجاه الخطاب عن طريق ظاهرة التصفيق.

المصادر والمراجع ١٧٣-١٧٥

الفهرس..... ١٨٢- ١٨٣